العدد ٣٤٣ السنة الثلاثون يونيو ١٩٨٧

مجلة ثقافية مصورة
تصدر شهرياً عن وزارة الاعلام
بدولة الكويت

رئيس التحرير
د. محمد الرميحي

Issue 343 June 1987 P.O.Box : 784
Postal C 'e No. 13008
Kuwait. A Cultural Monthly-Arabic Magazine in Colour Published by : Ministry Of Information - State Of Kuwait.

ص ب ٧٤٨ - الصفاة
الرمز البريدى 13008 - الكويت
تلفون ٢٤٣٩٧٢٨ - ٢٤٦٨٢٤٢ - ٢٤٢٧١٤١
برقيا "العربي" الكويت - تلكس : MITR 44041KT
تلفون فكسيملى ٢٤٢٤٣٧٥
المراسلات باسم رئيس التحرير

يتفق عليها مع الإدارة - قسم الإعلانات

ترسل الطلبات إلى . قسم الاشتراكات - المكتب الفني
وزارة الإعلام - ص ب ١٩٣ - الكويت
على طالب الإشتراك تحويل القيمة بموجب حوالة مصرفية
أو شيك بالدينار الكويتي باسم وزارة الاعلام طبقاً لما يلى :
الوطن العربي ٤ د ك - باقي دول العالم ٦ د ك

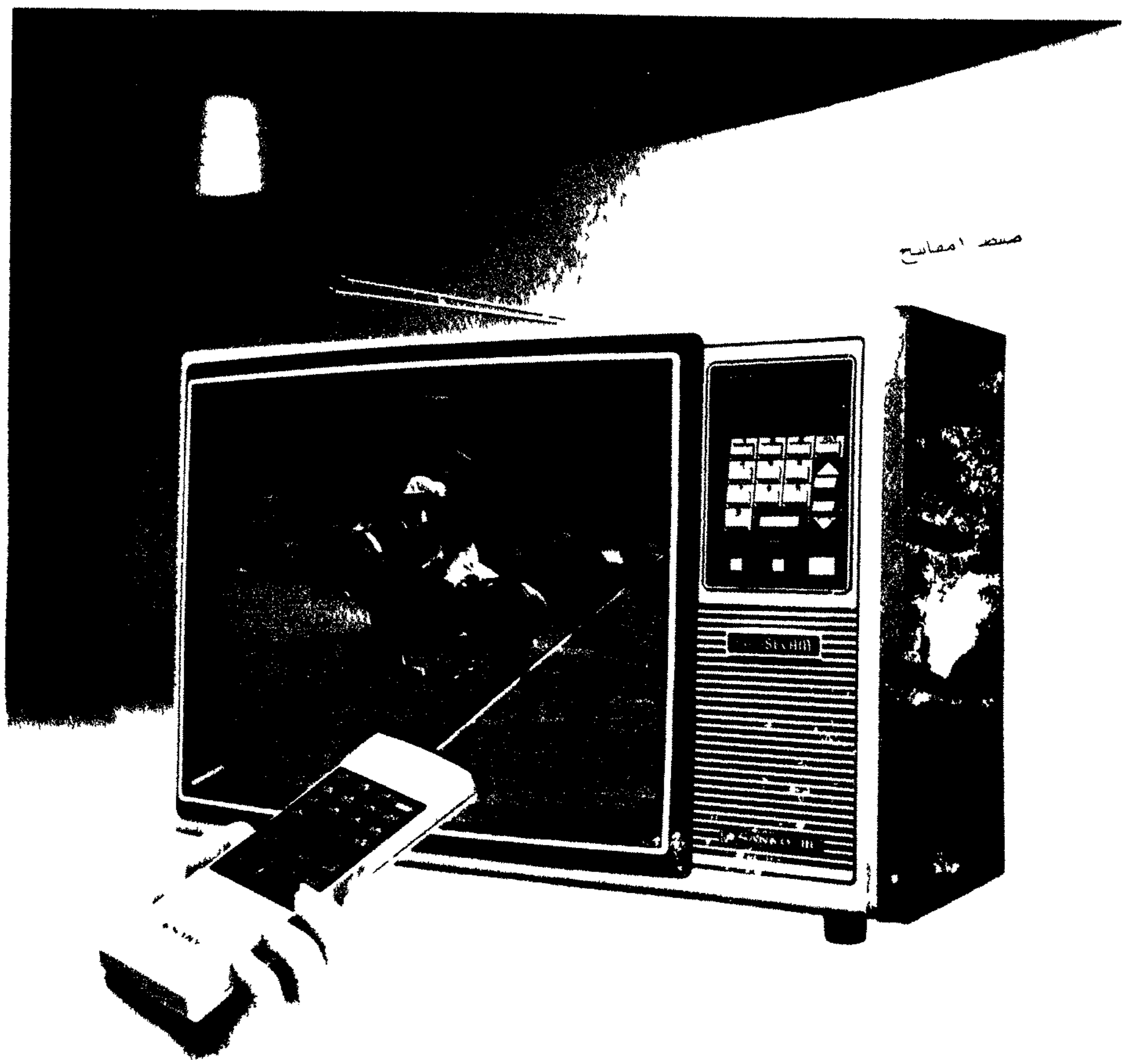
الكويت ٢٥٠ فلساً	تونس ٤٠٠ مليم	الامارات ٥ دراهم
العراق ٢٥٠ فلساً	الجزائر ٤ دنانير	المغرب ٣ دراهم
الاردن ٢٠٠ فلس	السعودية ٥ ريالات	ليبيا ٣٥٠ درهما
البحرين ٣٠٠ فلس	اليمن الشمالي ٣ ريالات	سلطنة عمان ربع ريال
اليمن الجنوبي ٢٥٠ فلساً	قطر ٥ ريالات	أوروبا دولاران أو جنيه استرليني
مصر ٢٠ قرشا	لبنان ٣ ليرات	فرنسا ١٥ فرنكا
السودان ٢٠ قرشاً	سوريا ٣ ليرات	امريكا دولاران

شوال [illegible] يونيو (حزيران) ١٩٨٧ م

العربي

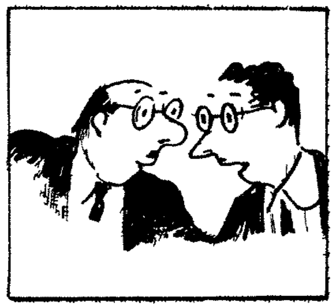


SANYO سـانيـو



احصـــل فـــورا
على المحطات وبدون ضبط مسبق

محتويات العدد



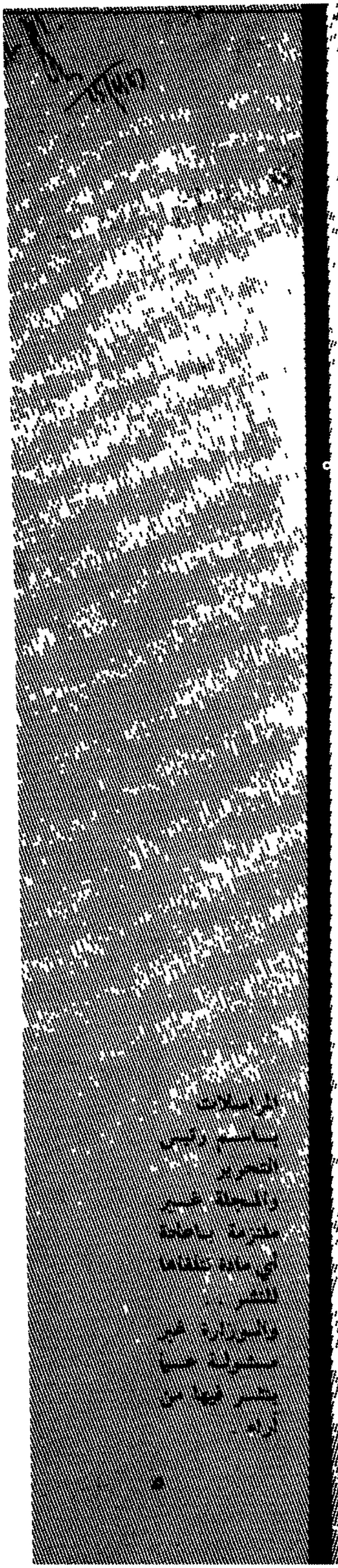
علاج قصر النظر ص٤٠



طابور الجياع يتقدم ص٥١



عبقري العمارة الاسبانية ص٨٨



المراسلات باسم رئيس التحرير والمجلة غير ملتزمة بإعادة أي مادة تتلقاها للنشر . والوزارة غير مسؤولة عما ينشر فيها من آراء .

صورة الغلاف



على ضفاف النيل الخالد ..
وعند بحيرة السد العالي في أسوان نقرأ سطور ملحمة خطها أهالي النوبة .. أرض الذهب وشعب المأساة . (طالع ص ١٣٢)



باكستان .. سنوات الصراع والأحلام ص ٦٨



صناعة الألبان في الكويت .. ص ١٥٠



رسول حزاتوف



سليمان الشيخ

استطلاعات ومقابلات

أبواب ثابتة :

البيت العربي
مجلة الأسرة والمجتمع



عزيزي القارئ

هناك مفاهيم كثيرة خاطئة في صراعنا مع العدو الاسرائيلي ، فصراع العرب والمسلمين مع المغتصبين صراع حضاري ، وبمناسبة مرور عشرين عاما على هزيمة حزيران ، ١٩٦٧ ، والتطورات السريعة على الساحة العربية التي حدثت بعد ذلك ، يتناول « العربي » هذا الموضوع المهم في حديث الشهر .

وفي هذا العدد أيضا ذكريات مؤرخ وأديب ، هو الدكتور شاكر مصطفى ، عن مسيرة الثلاثي الماسي الذي ملأ آفاق الفن في وطننا العربي ، ثم جاءت لحظة انكسر فيها أحد أركان هذا الثلاثي ، بل وغاب عن الوجود ، إنه الثلاثي الرحباني .

كما يساهم الأستاذ فتحي رضوان بموضوع جديد ، قد يبدو غريبا ، وهو : هل أدب العبث عبث ؟

يعتقد الكاتب أن في جوانب الحياة كثيرا مما يمكن أن يسجل في خانة العبث ، فهل لو عبر الأدب عن ذلك يكون عبثا ؟

وعن مجمع الخالدين بالقاهرة الذي عقد اجتماعاته قبل فترة قريبة يكتب لنا الاستاذ عبد الرزاق البصير عما دار فيه من نقاش حول اللغة العربية ، ومواكبتها للعصر وأحداثه .

في الاستطلاعات تزور « العربي » جمهورية باكستان ، وتسجل بالقلم وبالصوره كثيرا من الوقائع والأحداث ، وسنوات الصراع والأحلام والطموحات .

كما تذهب « العربي » إلى أقصى الجنوب في جمهورية مصر العربية ، حيث أرض النوبة ، وشعبها الذي ما زال يعيش آثار مأساة التهجير والانتقال من موطن إلى آخر .

أما في الطب فإن « العربي » تطرح موضوعا يتعلق بمصير السرطان ، وهل دخل في مرحلة الاحتضار ؟ الدكتور عماد شمسى باشا يجيب باستفاضة عن هذا السؤال المصيري ، وفى الموضوعات العامة تنقل لك « العربى » بعض الوقائع والحقائق عن التعلم عن بعد أو الجامعات المفتوحة .

وتدخل « العربي » إلى بيت الشاعر السوفيتي الداغستاني الكبير رسول حمزاتوف في مدينة ماختشكلا ، وتحاوره حول كثير من القضايا الثقافية .

كما تنقل إليك ملخص تجربة مهمة من تجارب عالمنا الثالث ، تتمثل في حق كل إنسان بأن يكون ذكيا .

و « العربي » وهي تقوم بدورها في رفد الثقافة العربية بكل ما هو جديد ومفيد تقدم هذا العدد لقرائها ، وهي تستعد أيضا لتقديم باقة جديدة من الثقافة في فصل الصيف القادم . .

المحرر

العربي ـ العدد ٣٤٣ ـ يونيو ١٩٨٧

حديث الشهر

بقلم الدكتور
محمد الرميحي

عشرون عاماً على الهزيمة

نظرة إلى الخلف، وأخرى إلى الأمام

في هذا الشهر من هذا العام (يونيو ١٩٨٧) تمر على هزيمة العرب الكبرى في هذا العصر عشرون عاما بالتمام والكمال .

وخلال هذه الأعوام العشرين جرت مياه كثيرة في النهر العربي والنهر الاقليمي والدولي ، وأصبحت هزيمة حزيران ـ أو كادت تصبح ـ محجا للبكاء العربي ، كلما صادفت في التاريخ حلقة مفردة ، كعشرين شهرا وعشر سنوات ، وأخيرا عشرين سنة ، وأحسب أن هذا الموضوع سوف يعود اليه كثيرون بعد هذا التاريخ .

لا أريد في هذا الحديث أن أكرر ماحَفَّظْناه لأبنائنا ـ عن القضية الام ـ قضية فلسطين ـ لكنني أرجو أن أضع بين يدي القاريء العربي صياغة قد



تكون جديدة لدروس تلك السنوات العشرين الماضية ـ كما راقبتها ـ محاولا الوصول الى نتائج أحسب أنها ستؤثر علينا جميعا عربا ومسلمين في القادم من السنين .

الهزيمة العربية في سنة ١٩٦٧ ـ في تقديري ـ كانت أكبر وأعمق من الهزيمة الاولى في ١٩٤٨ ، واذا كانت هزيمة ١٩٤٨ قد جرى حسم البحث عن أسبابها لدى كثيرين ، ووضعت على عاتق الأنظمة العربية حينذاك ، ثم جرى التخلص من كثير منها في وقت لاحق ، وجاءت الخمسينيات والستينيات لتقول إننا قد تجاوزنا الأسباب ، وهاهي ذي أنظمة جديدة تأخذ مكانها في الساحة العربية ، وتستطيع أن تقف بصلابة في وجه التحدي الاسرائيلي تم جاءت هزيمة ١٩٦٧ لتقول لنا أشياء كثيرة وعميقة أيضا ، وبعيدة عن التفسير المبسط .

فقد قالت لنا ان « اسرائيل » قد توسعت أكبر من ثلاثة اضعاف مساحتها قبل ١٩٦٧ ، وقالت لنا أيضا ان قضية المواجهة معها أكبر من تغيير نظام ، أو شكل علم ، أو معزوفة نشيد وطني .

مايحزنني حقا أننا ـ نحن العرب ـ قد طفقنا نبحث من جديد عن كبش فداء ، نلقي عليه أسباب تلك الهزيمة ، وتفرقت بنا السبل الاجتهادية و « الايديولجية » خلال السنوات العشرين الماضيه ، وأصبح بعضنا خصما لبعضنا الاخر ، يخاصمه حتى الموت على قضايا ـ هي في تقديري ـ جانبية ، وليست جوهرية ، ان دققنا فيها النظر ، وغلبنا المصلحة القومية ، وحسبناها بميزان مايضمر لنا الاعداء ويظهرون ، متحدثين بكثرة عن النيات ، ومتجاوزين الأعمال وقدرتها على المواجهة وتغيير الصورة .

وحتى لا آخذ القاريء في طريق يطول ، وتتشعب مخارجه ، أقول : ان هناك أربع حقائق جوهرية برزت منذ ١٩٦٧ وحتى اليوم :

● الحقيقة الاولى أن كثيرا مما نعانيه اليوم « نحن العرب » ، هو نتيجة لصراعنا مع « اسرائيل » وقدرتها على الاستمرار بالعمل « كقوة تشتيت » .

● والحقيقة الثانية هي أن العرب منذ ١٩٦٧ اتسموا بردود فعل ، لا بمبادرة وفعل .

● والحقيقة الثالثة أن العمل الفلسطيني ـ نتيجة للحقيقتين السابقتين ومدخلات أخرى ـ أصيب بكثير من العطل .

● والحقيقة الرابعة أن المستقبل العربي مرهون ـ شئنا أم أبينا ـ بمستقبل القضية الجوهرية وهي « القضية الفلسطينية » .

ولنعد الى تفصيل ما أوجزنا هنا .

أولاً : السياســة الصهيونيــة :

■ لعل بعضنا قد غفل عن حقيقة أساسية ـ في خضم خلافاتنا مع بعضنا البعض ـ هي أن « اسرائيل » ومن قبلها السياسات الصهيونية التي مهدت لها ، تسير نحو هدف محدد ، وهو أن تكون عامل عدم استقرار في المنطقة مأأمكنها ذلك وبأي الطرق الممكنة .

قبل قيام « اسرائيل » ، وبعد قيامها ، كانت هناك سياسات صهيونية واضحة المعالم تجاه العرب ، كل العرب ، وهذا ليس كلاما انشائيا أو عاطفيا ، ولاحتى تبريريا ، انه واقع بكل ماتحمله هذه الكلمة من معنى وتؤ يده الوثائق . فالهدف المستمر والواضح « لاسرائيل » هو تغيير الحكومات والحكام ، واضعاف الأقطار العربيةالمحيطة بها ، والبعيدة عنها ، والتغلغل بنفوذها المباشر وغير المباشر للسيطرة على هذه المنطقة ، وضمان تحطيم عناصر مقاومتها .

وليس ضرب الطائرات الاسرائيلية في يونيو ١٩٨١ للمفاعل النووي العراقي الا علامة واحدة على ذلك ، وليس ضرب الطائرات الاسرائيلية لتونس في اكتوبر ١٩٨٥ الا علامة أخرى ، مرورا باجتياح لبنان فيما بين العمليتين . وعمليات أخرى ظاهرة وباطنة يشمل مسرح عملياتها كل منطقة الشرق الاوسط .

تلك علامات فقط ، فرغم الاختلاف في المسميات الحاكمة فإن الزعامات الاسرائيلية الحاكمة كانت دائما ـ مهما اختلفت المظلة السياسية التي تستظل بها ـ قد خدمت تحت هذا النظام الاسرائيلي أو ذاك سنوات طويلة ، سواء كانوا عسكريين أو سياسيين ، وقد مثلوا بهذه الصفة كل السياسات الاسرائيلية .

اتسمنا برد الفعل.. دون المبادرة والفعل!

اسحق شامير عمل لمدة ستة عشر عاما في الموساد (المخابرات الاسرائيلية) ، تحت قيادة (ليفي اشكول) ، و (بن جوريون) .

ايريل شارون ، رجل المذابح الشهير ، كان من المقربين من الأخير .

مناحيم بيجن الذي عاش في المعارضة فترة طويلة كان يعرف كل سياسات « اسرائيل » تحت حكم تحالف حزب العمل ، ويباركها ، بل المعروف أن (ليفي اشكول) قد أجرى تعديلا وزاريا قبل أيام قليلة من حرب ١٩٦٧ (في ١٩٦٧/٦/١) أدخل فيه موشي ديان ، ومناحيم بيجن ،

وكذلك يوسف سابير ، أي أدخل فيه المعارضة في حكومة تكتل وطني ، وذلك من أجل شن تلك الحرب على العرب .

سرّ « قرار الحرب » الإسرائيلي :

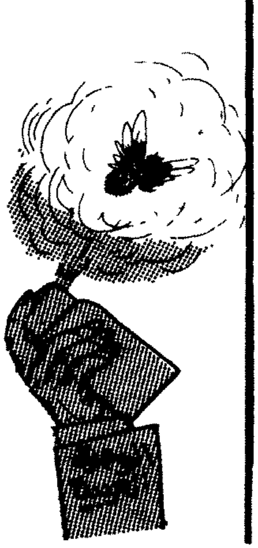
■ حرب ١٩٦٧ نفسها ـ كما تحدثت عنها المصادر الاسرائيلية بعد ذلك ـ كانت حربا قد خطط لها ثم شنت ضد العرب بتصميم سابق ، واستفادت القيادة الاسرائيلية من أخطائها في ١٩٥٦ عسكريا وسياسيا ، عسكريا بقيامها بالحرب دون شركاء ، وسياسيا بالظهور بمظهر المعرض للتهديد أمام العالم !

وقد اقدمت الحكومة الاسرائيلية على سابقة لانظير لها تاريخيا ، عندما أفرجت يوم الاحد ٤ حزيران ١٩٧٢ عن نص القرار الذي اتخذته قبل خمس سنوات وهو (قرار الحرب) .

يقول القرار (ان الحكومة الاسرائيلية ـ بعد أن استمعت الى التقارير التي رفعها كل من رئيس الوزراء ووزير الخارجية ووزير الدفاع ورئيس الأركان العامة والمخابرات العسكرية حول الوضع العسكري والسياسي ـ قررت اتخاذ الخطوات والاجراءات العسكرية اللازمة لتحرير « اسرائيل » من ربقة العدوان ، وتفوض الحكومة رئيسها ووزير الدفاع ، وهيئة الأركان ، صلاحية تعيين موعد البدء في العمليات العسكرية . . .)

حرب ١٩٦٧ لعبتها « اسرائيل » مدّعية أنها مهددة بالابادة من العرب ! والوثائق الاسرائيلية اليوم تؤكد لنا ـ كما أكد لندون جونسون الرئيس الامريكي وقتها بعد ذلك في مذكراته ـ أنه لاهو ولا وزارة الدفاع الامريكية اعتقدا جديا بالخطر العربي !

لقد قرر (عاموس ايلون) في كتابه الشهير « الاسرائيليون . . المؤسسون والأبناء » : ان قول الاسرائيليين عن اسباب حرب حزيران ١٩٦٧ بأنها كانت نتيجة تعرض « اسرائيل » (للإباده) هو خدعة ولدت ونمت بعد الحرب !



حقيقة الأمر أن هناك وفاقا بين الأطراف السياسية الاسرائيلية والصهيونية قبلها وبين حلفائهم تجاه الوطن العربي ، وقليلا مايختلف على هذا الوفاق أو يكون موضع تهديد . هذا الوفاق أحد مكونات قوة « اسرائيل » ، والهدف هو السيطرة على المنطقة ، وهذه السيطرة لاتظهر تجاه فلسطين أو الفلسطينيين فقط ، ولكنها تتوجه الى أبعد من ذلك ، الى مصر وسوريا والعراق والاردن ولبنان ثم الى مناطق عربية أخرى .

التاريخ المقيت للحركة الصهيونية :

■ وهذا هو تاريخ الحركة الصهيونية ، ففي العشرينيات - على سبيل المثال - ركز الجهد الصهيوني جل نشاطه في بريطانيا ضد الحركة الوطنية المصرية التي كان يقودها سعد زغلول وحزب الوفد ، يذكر لنا كرستوفر ماهيو - ومن الوثائق البريطانية - أن حاييم ويزمان وفليدمير جوبوتنسكي ، الصهيونيين العتيدين ، عارضا (التنازلات البريطانية للحركة الوطنية المصرية !) وايزمان عارض كل حركة عربية وقد فعل ذلك ببشاعة ، ودعا بشكل من أشكال العنصرية ضد العرب لدى أصدقائه البريطانيين . كتب وايزمان في ٣٠ مايو ١٩١٨ :

(العرب الذين يبدو أنهم أذكياء ظاهريا يعبدون شيئا واحدا ، وشيئا واحدا فقط ، هو السلطة والنجاح ، والسلطة البريطانية تعرف الطبيعة الغادرة للعرب ، وعليها أن تتابع نشاطهم بدقة ، حتى لايعطوا الفرصة لضرب الجيش البريطاني من الخلف ، فكلما أراد النظام الانجليزي أن يزداد عدلا أصبح العربي أكثر تكبرا) !

ولانستطيع ان نقرأ التاريخ الحديث إلا ونجد دلائل لاتقبل الشك على هذا الخط الاسرائيلي لإشاعة عدم الاستقرار ومايتبعه من نزع سبل المقاومة لدى العرب . ففي فضيحة لافون التي أصبحت مشهورة اليوم ، حاولت الاجهزة الاسرائيلية ضرب بعض المنشآت الاجنبية في مصر ، حتى يظهر المصريون بمظهر (الارهابيين) ، وهو المفهوم الذي وسعته أجهزة الدعاية الصهيونية بعد ذلك ويكاد اليوم أن يكون لصيقا بالعرب في كل مكان .

لوفا الياف - اعترف في سنة ١٩٧٢ أنه رأس مجموعة عمل بالتعاون مع الفرنسيين وبعض يهود مصر للقيام بانقلاب في ١٩٥٦ ، ولم توقف الخطة الا عندما اكتشف الانجليز أنها دبرت من وراء ظهورهم .

ونظام حسني الزعيم في سوريا (٤٩ - ٥٠) الذي كان يعتمد على قاعدة اجتماعية ضيقة قرر أن يحصل على دعم أمريكي للبقاء في منصبه ، وكانت الطريقة أنه اقترح استيعاب الفلسطينيين وتوطينهم بعيدا عن فلسطين . والخطة كانت سارية حتى سقط حسني الزعيم مقتولا ، في دمشق ، وتزامن ذلك مع وجود عضو من المخابرات الامريكية يمثل الاسرائيليين ، لاتمام التفاوض على الخطة ، فقد دخلت اسرائيل - كما هي دائما - على الخط للسيطرة على نظام ضعيف ، والملفت للنظر أنه عندما ظهرت وثائق هذه القضية من الارشيف الاسرائيلي - حسب النظام المعمول به باذاعة الوثائق بعد ثلاثين



عـلينـا
أن نـعي
دروس
المـاضي..
لنستخلص
عِـبر
المستقبل

عاما - قامت حملة في الصحف الاسرائيلية - ربيع ١٩٨٥ - منتقدة بن جوريون رئيس الحكومة الاسرائيلية وقتها ومتهمة إياه أنه لم يتابع الموضوع متابعة جادة !

وقصة يهود العراق وخروجهم منه في أوائل الخمسينيات دليل آخر على تلك السياسة الاسرائيلية المستمرة ، ومن وثائق الأرشيف الاسرائيلي أيضا تأكد ماكان في اطار الاحتمال في السابق ، وهو أن هذا الخروج كان بالتعاون التام مع عملاء اسرائيليين كانوا وقتها في بغداد وتفاوضوا مع الحاكم العراقي الأقوى نوري السعيد ، وربما كـان أحد أسبـاب سقوط النـظام العراقي في ١٩٥٨ علاقته المريبة باسرائيل .

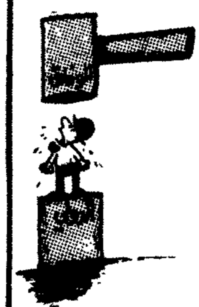
بعد مارس ١٩٧٩ - أي بعد اتفاقية السلام المصرية/ الاسرائيلية - بدأت « اسرائيل » حملة منظمة للتوسع في بناء المستعمرات في الضفة الغربية ، ولان الصراع العربي الاسرائيلي يدور حول الارض ، فان هدف الاسرائيليين هو خلق واقع جديد على الارض وإزاحة معالم قديمة ، وفي سبتمبر ١٩٧٩ اشتركت « اسرائيل » مع جنوب افريقيا في تجربة تفجير نووي في جنوب المحيط الاطلسي . وبعد ذلك بعامين تقريبا - في ديسمبر ١٩٨١ - أعلنت اسرائيل تطبيق القانون والسيادة الاسرائيلية على مرتفعات الجولان السورية ، وبعد أيام قليلة فقط من توقيعها لاتفاق أمني مع الولايات المتحدة .

وبين يوليو ١٩٦٧ وفبراير ١٩٨٦ ، تقول لنا الاحصائيات الاسرائيلية أن الجيش الاسرائيلي والأمن الاسرائيلي قد اقتلع من فلسطين (٢٠٦١) شخصا بما فيهم رؤساء بلديات وأعضاء اتحادات وسياسيين ، وقد سحب للتحقيق ٢٥٠,٠٠٠ شخص ، وهدم ١٤٢٥ بيتا لشكوك في أن سكانها لهم علاقة بالمقاومة . . ! وأحسب أن الأرقام الحقيقية اكبر من ذلك بكثير .

خلاصة الحديث أن اسرائيل طوال السنوات العشرين الماضية ، سائرة لتحقيق أهدافها في السيطرة على المنطقة بشكل مباشر أو غير مباشر . . إما بالطائرات العسكرية ، أو بالتوسع الاستيطاني ، مرورا بالاستفادة من أي صراع أو خلاف بين العرب وجيرانهم أو بين العرب بعضهم بعضا. إنها (قوة تشتيت) اقليمية بكل ما تعنيه الكلمة .

ردود الفعل العربية على هزيمة ١٩٦٧ :

■ عدم استيعاب (الخطر الصهيوني) بشكل علمي ومنظم على المستوى القومي ، وفهم دوره (كقوة تشتيت) يقودنا الى الحقيقة الجوهرية الثانية في حديثنا هذا ، وهو ردود الفعل العربية .



لقد استجاب العرب لفعل الصهاينة اليهود بردود فعل على مرحلتين ، مرحلة ما بعد ١٩٤٨ ، ومرحلة ما بعد ١٩٦٧ .

الظاهرة الاولى في فترة ٤٨ ـ ١٩٦٧ هي تنامي الموقف الدولي الغربي تجاه الصراع العربي الاسرائيلي ، ولعل التصريح الثلاثي الفرنسي البريطاني الامريكي في سنة ١٩٥٠ بتحجيم الصراع واحتوائه ـ إن أمكن ـ كان بدء الدخول في اللعبة الدولية ، وسرعان ما تنامت هذه اللعبة لتدخل في صراع الجبارين خاصة بعد ١٩٦٧ .

ردود الفعل العربية على الهزيمة الاولى كانت نظرة داخلية انتهت بمجموعة من التغييرات الداخلية ـ كما أسلفنا ـ على رأسها ما حدث في مصر . وبين عامي ١٩٤٨ و١٩٦٧ شهدت الساحة العربية مجموعة من التغييرات الهيكلية في الحكم على امتداد معظم الساحة العربية ، وقدمت الوعود على أن المرحلة مرحلة انتظار فقط سرعان ما تنتهي بحل عادل ومشرف .

واختلطت أمور كثيرة في هذه المرحلة . . اختلطت مواجهة « اسرائيل » والقضية الفلسطينية من جهة بقضايا الصراع الاجتماعي والاقتصادي الداخلي ، واختلطت بقضايا مواجهة بقايا الاستعمار القديم وأشكال الاستعمار الجديد ، واختلطت أيضا بعقبة كأداء هي الخلاف العربي/العربي ، فكانت مرحلة شديدة الاضطراب ، ويمكن الآن تبين الاختلاف بين الرؤ ية الاسرائيلية والرؤ ية العربية في تلك الفترة .

الرؤ ية الاسرائيلية ـ كما أسلفنا سابقا ـ كانت مكوناتها ثابتة : التوسع العسكري والنفوذ السياسي ما أمكن مع الاحتفاظ بالمبادرة دائما . وكانت الرؤ ية العربية ـ في تقديري ـ تجاه القضية متذبذبة آنية لم تحكمها استراتيجية محددة المعالم ، أي الاجابة عن سؤال : ماذا نريد بالضبط ؟ وما هي قدرتنا على تحقيق ما نريد ؟

■ الرؤية الاسرائيلية ثابتة تحتفظ بالمبادرة .. بينما الرؤية العربية آنية ومتذبذبة

وعندما جاءت الهزيمة الثانية ، وقعت وقع الصاعقة على النسج الاجتماعي والسياسي العربي ومازالت تفعل . .

والسبب في تقديري أن العلاقة العربية بالواقع الاسرائيلي لم تحسم نظريا على الأقل . فقد تتجمد ، وتتأزم ، وقد تنفرج قليلا ، ولكنها لم تحسم ،

والأطراف العربية القليلة التي كانت لها رؤية واضحة تغلبت تكتيكاتها السياسية الآنية على النظرة الاستراتيجية البعيدة فجاءت نتائج أعمالها كنتائج أعمال من افتقد الرؤية الواضحة .

حجر الزاوية هو توازن استراتيجي حضاري وعسكري ، قاعدته العربية الدنيا (توافق عربي) وهذا بالضبط ماهو غائب .

في غياب ذلك ـ وأحسب أن غيابه سيطول لفترة ـ سيظل المواطن العربي المفجوع بالهزيمة هائما على وجهه ، تتصيده الأطروحات النظرية هنا وهناك ، إما أطروحات مزايدة أو مغالية . . وتظل أهداف « اسرائيل » ـ من خلال تعذر هذا التوافق العربي ـ محققة .

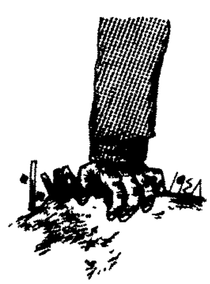
على الساحة الدولية ظل بعضنا يتأرجح كبندول الساعة تارة غربا وأخرى شرقا ، وفوتنا على أنفسنا أهم درس في ١٩٥٦ عندما اقتنع السوفييت من جهة والأمريكان من جهة أخرى بعدالة قضيتنا . الدرس الذي وعته اسرائيل ومازالت تجاهد حتى لا يتكرر ، هو منع الوفاق الدولي .

تآكل حقوق الفلسطينيين :

■ يبدو أن الزمن أحد العناصر التي لا نحسب حسابها ، ففي سنة ١٩٤٨ وقعت ٧٨٪ من أرض فلسطين التاريخية تحت الاحتلال الاسرائيلي ، ومن ضمن العرب الفلسطينيين وقتها أصبح ٦٠٪ من بينهم لاجئين ، إما في فلسطين نفسها أو في الأقطار العربية المجاورة . . كما اقتلع ما بين ٨٣٪ و ٩٣٪ من السكان العرب في المنطقة المحتلة في « اسرائيل » من أماكنهم وأبعدوا الى المنفى ، وفي ١٩٦٧ أصبح معظم اللاجئين الفلسطينيين لاجئين للمرة الثانية .

وفي السنوات العشرين الماضية تبين ـ لأي مراقب منصف ـ أن أحد المكونات الصعبة في الصراع العربي الاسرائيلي هو مكون الفلسطينيين أنفسهم !

كيف ذلك ؟



لقد وقع الفلسطينيون في مرحلة من أصعب مراحل التقلصات والشد والجذب بين (الشعور القومي) والواقع (الاقليمي العربي) . القضية الفلسطينية قضية قومية . . نعم . ولكن الدور العربي ليس موحدا ، تلك حقيقة ، والأقطار العربية لها اجتهادات وتلك حقيقة أخرى . لذلك شهدت

كيف استمرّت "إسرائيل" قادرة على العمل "كقوّة تشتيت" للعرب ؟

سنوات ما قبل ١٩٦٧ تنافسا بين الهيكل الرسمي الفلسطيني (منظمة التحرير بقيادة الشقيري كما اعترف بها مؤتمر القمة العربي الثاني في ديسمبر ١٩٦٤) والمنظمات الفدائية المتنامية والكثيرة (العمل الشعبي الفلسطيني) وأصبحت الهوية الفلسطينية تسير في مسارين متوازيين تقريبا ، أحدهما منظمة التحرير والثاني المقاومة الفلسطينية . وقد هيأت هزيمة ١٩٦٧ المناخ الموضوعي لنمو المقاومة ، وجاءت معركة الكرامة في أعقاب الهزيمة فزادت من شعبية المقاومة أضعافا مضاعفة ، وما أن جاء فبراير ١٩٦٩ حتى أصبح ياسر عرفات زعيم فتح كبرى حركات المقاومة رئيسا للمنظمة ، وتوحد الخطان المتوازيان ، ولكن ليس دون تقلصات جديدة .

أثرت هزيمة ١٩٦٧ أيضا على الحركةالسياسية العربية عموما وبالأخص الجناح الفلسطيني منها ، فتحول ذلك الجناح من حركة القوميين العرب الى الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين ، وسرعان ما انشقت من جديد لتولد الجبهة الشعبية الديمقراطية .

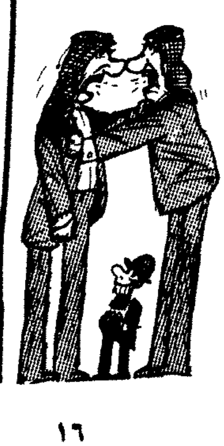
أصوات فلسطينية عربية عديدة ارتفعت وقتها ـ ونتيجة لهول الصدمة ـ تدعو الفلسطينيين لتبني طريقة النضال الكوبي ، أو الطريقة الفيتنامية ، أو الجزائرية ، ولكن الجغرافيا السياسية ـ وان سمحت بسيطرة (المقاومين) على المنظمة ـ لم تسمح بأكثر من ذلك ، ونظر الى الفلسطينيين المقاومين على أنهم فروخ طائر « الوقواق » .

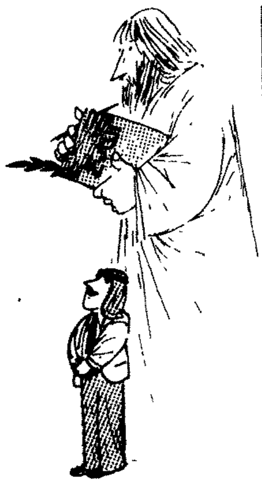
وتركبت منذ ذلك الوقت العلاقة المعقدة بين حرب عربية نظامية للتحرير وحرب مقاومة لم تولد شروطها بعد .

وتحولت تدريجيا على مدى السنوات الماضية المطالب اللاحقة لسنة ١٩٤٨ من التحرير الكامل ، الى تحرير الأرض المحتلة بعد ١٩٦٧ ، بأشكال الصياغات المختلفة .

المطالب قبل ١٩٤٨ التي كانت واضحة بسيطة يفهمها الجميع وغير قابلة للمزايدة أصبحت معقدة ، أما المطالب بعد ١٩٦٧ ولأنها ظهرت في ظروف موضوعية قاسية فقد اختلفت ، فاختلف فلسطينيو الخارج ـ على الأقل ـ عليها ، وأصبح الدم الفلسطيني مباحا بين الإخوة ، كما هو مباح للأعداء .

حرب ١٩٧٣ أضافت أبعادا أخرى دولية واقليمية على حركة الفلسطينيين وموقف الأقطار العربية منهم . . وكذلك معاهدة الصلح المصرية الاسرائيلية . لقد ظهر أن حقوق الفلسطينيين في الداخل أيضا بدأت تتآكل لشراسة الاحتلال الاسرائيلي .





مبادرة برجنيف ١٩٨١ وقرارات فاس (٢) في عام ١٩٨٢ حددت الاطار الذي يمكن أن يتحرك فيه الفلسطينيون سياسيا ، وبقي تحريك ما بداخل الاطار ، إلا أن الاجتياح الاسرائيلي للبنان عصف بالحدود الدنيا من الوفاق الفلسطيني / الفلسطيني الذى كان من الممكن ان يشكل أحد آليات دفع المقاومة الى الامام الا ان الخلاف الفلسطيني / الفلسطيني والعربي مرر خمس سنوات عجاف على العمل الفلسطيني المقاوم ، وعلى الجهد العربي السياسي ، واختلطت بمقدرات اقليمية بالغة الصعوبة ، ونزفت دماء فلسطينية وعربية غزيرة وعزيزة .

ووحدت فصائل المقاومة الفلسطينية نفسها في ابريل الماضي ، فهي تعود الى بعضها تدفعها الحاجة المشتركة للتقارب ، واذا كانت هذه الفصائل بعودتها الى منظمة التحرير لا تستطيع أن تهرب من أثقال الماضي بمرارته ، الا أنها تستطيع على ضوء دروس الماضي القريب أن تؤثر في المستقبل .

المستقبل :

■ دروس الماضي نذكرها كي نستخلصْ عبرا للمستقبل .

والدروس تقول لنا بوضوح شديد ان الصراع هو صراع حضاري فيه ثقل الماضي وشراسة الاستعمار الجديد ، وبدون تحديد الأولويات بدقة ومرونة ندخل في الحلقة الخبيثة .

وفي اعتقادي أن « اسرائيل » تعتبر أن أي قوة عربية خارج (نطاق أخضر) تقرره هي ، يجب ضربها في التو واللحظة ، وأن أي وفاق دولي عادل يجردها من طموحاتها ، وأن مقاومة صلبة - كما حدث في جنوب لبنان - توجعها . وأن أي وفاق عربي يخيفها ، وفوق ذلك أي تحرك داخلي لأهلنا العرب هناك يصيبها بالاضطراب . تلك حلقات منطقية في تقديري يجب أن يبنى عليها العمل المقاوم القادم ، ولا يعني ذلك أنه لا يوجد لاسرائيل خطواتها المضادة لتلك الحلقات ، ولكن يعني أن الصبر الطويل للجماهير العربية بعد عشرين عاما من هزيمة ١٩٦٧ ، وما يقارب الاربعين عاما من الهزيمة الأولى ، قد يفقدها الصبر الجميل الذي تلتحف به .

فهل نعي دروس التاريخ !

محمد الرميحي



ابن خلدون مفكرًا اقتصاديًا

بقلم : الدكتور ابراهيم عويس*

هذه وقفة مع نزاهة البحث العلمي وأمانته ، ودعوة متواضعة لرد الاعتبار إلى الحقيقة بشأن شخصية علمية فذة ، كاد المؤرخ أن يهملها أو يظلمها .

كلنا نعرف شيئا كثيرا أو قليلا عن ابن خلدون كمؤسس لعلم الاجتماع ، لكن ماذا عن ابن خلدون المفكر الاقتصادي ؟ وما هو إنجازه في هذا الحقل ؟ المقال التالي اجتهاد خاص للكاتب في هذا المجال .

طرح ابن خلدون (١٣٣٢ - ١٤٠٦) في مقدمته الشهيرة كثيراً من المباديء والأسس لكافة فروع العلم والمعرفة ، لكن أفكاره العظيمة في الاقتصاديات تجعله - بحق وبجدارة - أبا لهذا العلم ، لكن هذا اللقب التشريفي قد منح لآدم سميث ، ذلك المفكر الذي عرفه العالم بعد ابن خلدون بأكثر من ٣٧٠ عاما .

إن ابن خلدون لم يطرح البذرة الأولى لعلم الاقتصاد التقليدي في مجالات الانتاج والعرض والتكلفة فحسب ، بل إن أفكاره كانت رائدة أيضا في مفاهيم الاستهلاك والمنفعة والطلب التي تعتبر حجر الزاوية في نظريات علم الاقتصاد الحديث .

ومن المعروف أن بعض الفلاسفة الأقدمين قد تناولوا هذا الموضوع إلا أن أفكارهم كانت بسيطة ساذجة بدائية ، فقد تحدث أفلاطون - مثلا - عن مبدأ التخصص ، وتقسيم العمل ، واستطاع المصريون

* أستاذ الاقتصاد في جامعة جورج تاون

القدماء أن يطبقوا هذه المقولة عمليا في نحتهم للمسلات ، خصوصا في عهد الأسرة الثامنة عشرة قبل الميلاد ، وذلك برفعهم مستوى الانتاجية لساعة العمل الواحدة ، كما حاول ارسطو أن يعزف علم الاقتصاد ويحدده ، ويطرح بعض التحليلات في استعمال المال ومبدأ التبادل .

لكن ابن خلدون استطاع في نظريته الضرائبية أن يطور أفكار طاهر بن الحسين (٧٧٥ ـ ٨٢٢) التي كان قد كتبها لابنه ـ حاكم خراسان في ذلك الوقت ـ وأوصاه أن يعمل بها .

وقد كان لهذه النظرية أثرها البالغ على سياسة الاقتصاد المعاصر حتى داخل الولايات المتحدة الأمريكية نفسها ، ولعل هذه الدراسة المتواضعة تكون مجرد محاولة جادة لرد الاعتبار لهذه الشخصية العربية الفذة التي كان علم الاقتصاد قبلها مجرد مجموعة من الأفكار المشتتة الساذجة المبعثرة التي حولها ابن خلدون إلى ثروة فكرية منظومة

ابن خلدون وفائض القيمة

باستثناء جوزيف سكوجيترا الذي اكتشف ابن خلدون مؤخرا فإن معظم مفكري الغرب الاقتصاديين ـ وعلى رأسهم جوزيف سبينجلر ـ يرجعون فضل اكتشاف نظرية القيمة إلى « آدم سميث » ، وإلى « دافيد ريكاردو » ، باعتبارهما أول من حاول تفسير ذلك اللغز المحير لمفهوم القيمة ، فقد ذكرا ـ كلاهما ـ أن القيمة التبادلية للأشياء يجب أن تكون مساوية للوقت المستهلك في إنتاجها ، ومن هذا المنطلق ذكر ماركس « أن أجور العمل يجب أن تكون مساوية لانتاج هذا العمل نفسه ، ثم خرج بمقولته الثورية القائلة بأن قيمة الفائض ليست إلا ثمنا استغلاليا ـ لايمكن تبريره ـ تكسبه الرأسمالية المستغلة على حساب عرق الكادحين من (البروليتاريا) .

في هذا المجال نستطيع القول أن ابن خلدون كان أول من اكتشف نظرية القيمة للعمل قبل كارل ماركس ، فالعمل بالنسبة لابن خلدون هو مصدر القيمة وأساسها ، وهو أول من فسر ذلك تفصيليا في الجزء الثاني من مقدمته ، وقد وجدنا ذكر هذا المفهوم لدى « دافيدهيوم » في محاضراته السياسية المنشورة سنة ١٧٥٢ . قال : « إن كل شيء في العالم يمكن شراؤه بالعمل » وقد ذكر هذا المفهوم آدم سميث قائلا : « إن ما يشتري بالمال أو بسلعة أخرى يمكن شراؤه بالعمل ، فالمال يحتوي على القيمة الفعلية لانتاج عمل ما،والقيمة يمكن استبدالها بقيمة أخرى مساوية لها من حيث الكم ، لأن قيمة أي سلعة يمتلكها إنسان ما،ولا ينوي الاحتفاظ بها أو استعمالها لأغراضه الشخصية ، لكنه يريد استبدالها بسلعة أخرى ، هي ـ في الحقيقة ـ مساوية تماما مقدار العمل المبذول فيها ، وهذا ما يمكنه فيما بعد من شرائها أو استحقاقها ، إذن فالمال هو المعيار الحقيقي للقيمة التبادلية بين السلع المختلفة .

ولو حللنا هذه العبارة المنشورة عام ١٧٦٦ م لوجدنا بذورها الأولية في الجزء الثاني من مقدمة ابن خلدون ، لكن ابن خلدون يجمل هذا الدخل المالي في فئتين اثنتين ، إحداهما الربح ، وهو الدخل الكلي الشامل ، وأخراهما الكسب ، وهو ما يفي بكسب معيشتنا وقوت يومنا . والربح يمكن أن يتخذ شكلا ماديا آخر عندما يعمل الانسان مستقلاً عن غيره ، ثم يبيع منتجاته للآخرين ، فالقيمة عندئذ تشمل المواد الخام والموارد الطبيعية الأخرى ، بينما الكسب هو الدخل المالي المكتسب حين يعمل الانسان لدى الآخرين لقاء أجر معين .

وابن خلدون هو أول من حاول تفسير ظاهرة الفروقات المالية في الدخل ، وعزاها إلى الفروقات النوعية في المهارة ، وحجم السوق ، والمكان ، والحرفة نفسها ، وعزاها أيضا إلى الطبقات القادرة ، باعتبارها القوة الاستهلاكية الوحيدة لهذه النوعية من

الانتاج ، فكلما زاد الطلب على سلعة ارتفع دخل صانعها ، لكن ارتفاع الدخل لمهنة ما يجذب ، بالضرورة ـ العديد لممارسة هذه المهنة ، ومن ثم الزيادة الملحوظة لمنتجات هذه المهنة ، ووفرتها في السوق ، مما يؤدي ـ حتما ـ إلى تقليص أرباحها فيما بعد ، وهذا ما انتبه له ابن خلدون في تحليلاته للتعديلات الطارئة على المهن والحرف من وقت إلى آخر ، ومن ثم التغيرات التي تحصل على طبيعة الحرفة الواحدة نفسها .

الاقتصاد الحر

كذلك سبق ابن خلدون « آدم سميث » باعتباره العمل وسيلة بناء ثروة الأمة وحضارتها ، وباعتباره زيادة الانتاج وزيادة التبادل التجاري هما الركنان الأساسيان لرفعة الأمة وازدهارها ، وأن أي هبوط في معدلات الانتاج يعني حتمية التقهقر والتخلف على المستويين الاقتصادي والمالي .

بالاضافة إلى إسهامات ابن خلدون في دراسة قيمة العمل وتحليلها قام بتحليل أدوات الاقتصاد الأخرى ، كالعرض والطلب والأسعار والأرباح ، فقد شرح كيف أن الطلب على سلعة ما يعني ـ أساسا ـ المنفعة المكتسبة من هذه السلعة ، وليس بالضرورة الحاجة إليها ، فالمنفعة إذن هي المحرك القوي للطلب ، وهي التي تخلق الحوافز الشرائية لدى المستهلكين . لقد كان ابن خلدون أول من طرح أسس هذه النظرية الحديثة التي طورها وتوسع فيها كل من « روبرت مالتوس » ، و « الفرد مارشال » ، و « جون هيكز » ، وآخرون وبما أن السلعة المرغوبة يعني بها مستهلكون كثيرون فإن ذلك يؤدي إلى تصاعد حتمي في السعر وفي النوعية أيضا ، وبالمقابل فإن أي تناقص في الطلب على حرفة ما سيؤدي إلى هبوط مبيعاتها ، وذلك يعني تدني أسعارها .

إن هذه العلاقة الجدلية بين السلعة والحرفة قد انتبه لها ابن خلدون حين قال : « إن الحرف تنمو وتتحسن مع زيادة الطلب على منتجاتها ، وإن زيادة الطلب على حرفة ما يأتي من خلال زيادة الطلب على منتجاتها في الأسواق » . وكما هو معروف حاليا فإن نظرية الأسعار الحديثة تكشف لنا أن التكلفة هي العمود الفقري لنظرية العرض .

كما بين ابن خلدون أن هناك عوامل أخرى تؤثر على الأسعار أو الأجور ، منها درجة الانتعاش الاقتصادي وازدهاره في مجتمع ما ، ودرجة تمركز الثروة ، ثم سياسة الضرائب والرسوم التي تفرضها الجهات الحكومية ورعاياها من أصحاب الطبقة الوسطى وطبقة التجار . إن العلاقة بين الدخل والاستهلاك ـ كما قدمها ابن خلدون ـ قد مهدت الطريق أمام نظرية الاستهلاك الحديثة .

ثمن المخاطرة

لقد عرف الاقتصاديون ـ في أدبياتهم ـ الربح بأنه ثمن المخاطرة ، وقد أرسى قواعد هذه النظرية « فرانك نايت » في كتاباته المنشورة عام ١٩٢١ ، لكن ابن خلدون كان قد سبقه حين قال :

« إن التجارة تعني شراء البضائع والسلع ، ثم تخزينها بانتظار تقلبات السوق ، من أجل سعر أعلى لبضائعهم ، وهذا هوالربح بعينه . » وفي فصل آخر قال : « إن الأذكياء وذوي الخبرة من أهل المدن يعلمون بأنه ليس من الحكمة خزن الحنطة بانتظار سعر أعلى ، لأنهم بذلك سيخسرون كل شيء وبصفة عامة قد يكون الربح ثمنا لمخاطرة ما ، فقد يتعرض هؤلاء المغامرون للخسارة بدل الربح المتوقع ، وسواء كان ربحا أو خسارة فإن كليهما يكون نتيجة تكهنات أو حسابات خاصة ، يقوم بها هؤلاء المغامرون .

ونظرة ابن خلدون إلى الأسعار المتدنية جدا تماما كنظرته للأسعار الفاحشة جدا ، فكلاهما يشكل إرباكا وتخلخلا اقتصاديا خطيرا ، وينصح الحكومات بعدم التدخل العشوائي لابقاء هذه

الأسعار المتدنية ، وذلك عن طريق المساعدات المالية ، أو التدخلات الاقتصادية الأخرى ، لأن هذه السياسية التعسفية قد تكون كارثة بشكل أو بآخر ، لأن تطبيقها يعني اختفاء هذه السلع من السوق ، دون أي حوافز لدى الموردين لانتاجها ، لأن بيع المزيد منهاوبهذه الصورة قد يؤثر على أرباحهم . وكذلك يلعب ارتفاع الأسعار الدور التخريبي نفسه ، لأن عدم البيع يعني التكديس ، والتأثير - بالتالي - على حركة السوق وتنشيطه .

إن التطور الاقتصادي - بموجب هذا المفهوم - يبقى رهن الجهود الانسانية « الاستثنائية » التي توفر ذلك الفائض المالي المحرك للتطور . وتلعب الحكومات الدور الأكبر في عملية الانماء والتطور الاقتصادي من خلال مصروفاتها الواسعة ، وخدماتها ، وسياستها الضريبية ، وإنفاقها العام ، فالحكومات هي التي بمقدورها خلق الحافز الوظيفي لدى المواطنين ، وخلق الانتعاش المطلوب لرعاياها ، وذلك بتهيئة الفرص الوظيفية ضمن برامجها السنوية ، وخططها الاقتصادية الدورية ، ومن هذا المنطلق نستطيع القول ان النظام القمعي التسلطي يحمل في أحشائه بذور الاجهاض لهذه الفرص المتاحة للعمالة المنتجة ، وهي أشبه ما تكون بالهزيمة الذاتية لذلك المجتمع على المدى البعيد . إن الانفاق الحكومي هو المحرك الأساسي للعملية الاقتصادية ، وذلك عن طريق زيادة الدخل الذي يقوم تلقائيا بالتأثر بعملية الانتاج نفسها والتأثير فيها ، فبالاضافة إلى المساعدات التي يجب أن توفرها لطبقة الفقراء والمعوزين والمعوقين يجب أن تقوم الحكومات بإنفاق ما تجنيه من ضرائب ورسوم لتحسين أوضاع مواطنيها ، ودفع الأذى عنهم .

ولعلنا نجد أصداء لما قاله ابن خلدون في رأى الرئيس الأميركي الراحل جون كندي الذي قال في إحدى المناسبات : « إن الاختيار الصحيح ليس بين تخفيض الضرائب من ناحية وتفادينا لعجز فيدرالي من ناحية أخرى ، فإن الاقتصاد الذي يتبناه نظام ضرائبي واهن لن يكون قادرا على توفير المبالغ اللازمة لمواكبة الميزانية الطموحة ، وهذا يعني بأنه لن يكون قادرا على توفير الوظائف المطلوبة أو الانتاجية الكافية » .

قال كندي هذه الكلمات ردا على بعض الأصوات المطالبة بتعليق قيمة الضرائب ، وكأنه كان يردد نفس العبارات التي قالها ابن خلد والتي مازال صداها يتردد منذ ستة قرون . يقول ابن خلدون : « بمقدور النظام الضريبي جباية مبالغ كبيرة من خلال الرسوم القليلة ، ولكنه سيتوفر له جباية قليلة من خلال الضرائب الكبيرة » ، وكأنه يريد أن يقول بأنه كلما زادت حدة الضرائب قلت العائدات ، وكلما قلت الرسوم وانخفضت زادت العائدات الضريبية ، فإن العائدات تزداد تلقائيا من خلال الازدهار التجاري ، ومن خلال تجنب الضرائب الفاحشة التى تعيق حركة الانسان وإبداعاته ، فكلما انخفضت الرسوم والضرائب تصاعدت الطاقات والرغبةفي الابداع ، والعمل لدى المواطنين ، مما يساعد على نمو المشاريع ، واتساع حركة العمران المدني .

أما إذا كانت السياسة الضريبية في غير محلها ، وليست بناء على خطة مرسومة ، فإن النتائج تكون على حساب التقدم العمراني ، تكريسا لأسباب الانحدار التي تحرم - مستقبلا - الحكومة من عائدات إضافية ، كان بالامكان جبايتها والاستفادة منها . إن ابن خلدون ضد العشوائية في هذا الموضوع الحساس والحرج ، لكنه يدعو دائما إلى نظام مثالي موضوعي في قضية الضرائب ، ونستطيع القول ان نظرية « لافير » الضريبية ليست إلا تجمعا منسقا لأفكار وآراء وضعها ابن خلدون في القرن الرابع عشر .

الملكية الخاصة

لقد كان ابن خلدون من أنصار الملكية الخاصة للانسان ، يدعو دائما لعدم التعرض لها بأي شكل من الأشكال ، لأنه يعتبر ذلك إهداراً للحوافز الفردية ،

وخنقا لها ، مما يؤدي ـ في النهاية ـ إلى الانهيار التام للنظام ، كما يعتبر نزع الملكية أشبه بعملية انتحار ذاتي وجماعي للنظام نفسه ، لأن ذلك ـ حسب مفهومه ـ يعتبر شكلا من أشكال القمع والاضطهاد والتخريب الاقتصادي .

كما كان لابن خلدون أيضا إسهامات كثيرة في نظرية المال ، فالمال في نظره لايعني الثروة إطلاقا ، كما أنه ليس شكلا من أشكال الغنى ، بل مجرد أداة ، يستطيع الانسان بها اكتساب الكثير ، وكان ابن خلدون أول من عرف الوظيفة المالية كقيمة معيارية فقط .

إن (الليبرالية) الاقتصادية الحديثة التي تنسب إلى آدم سميث ماهي - في حقيقتها ـ إلا صورة مجددة لفلسفة حرية الاختيار التي نادى بها ابن خلدون قبل « سميث » بأربعة قرون ، والغريب أن آدم سميث لم يتطرق في كتاباته إلى ذكر اسم ابن خلدون كأحد الذين أخذ عنهم أو اقتبس منهم رغم أن كافة الشواهد التاريخية تقول بحتمية تعرفه عليه ، سواء أثناء عمله الطويل في مكتبة (اكسفورد) مدة ست سنوات ، قضاها باحثا منقبا ، وهي مكتبة حافلة بمنجزات الفكر الانساني القديم ، أو عن طريق أستاذه « فرانسيس هاتشسون » في جامعة « جلاسكو » ، ـ حيث تخرج سميث ـ وكان أستاذه متأثرا في « انتوني اشلي كوبر » أحد أعمدة حركة التنوير (الليبرالية) في القرن الثامن عشر التي قامت ـ أساسا ـ بطريقة أو بأخرى على أفكار ابن خلدون .

وقد يكون عذر آدم سميث أن العادة القديمة في النقل أو الاقتباس كانت تكتفي بذكر الأفكار دون نسبتها إلى أصحابها ، أو لعل الحروب الصليبية قد أحدثت تلك الجفوة أو العداء لكل اسم عربي مسلم . إنه من المستحيل أن يكون مفكر كآدم سميث جاهلا باسم ابن خلدون، أو لم يسمع به ولو مرة واحدة في حياته ، خصوصا بعد جولته الثقافية الأوروبية ، والتقائه برموز الثقافة العالمية آنذاك ، أمثال « كويسني » ، ذلك الفيلسوف الفرنسي الذي يذكر التاريخ مدى تأثره بأفكار ابن خلدون ، ويحق لنا التساؤل عن سبب عدم وصول اسم ابن خلدون إليهم خلال الهيمنة العثمانية على جنوب شرق أوروبا التي بلغت أوجها خلال القرن السادس عشر ، أو على الأقل من خلال الجسور الثقافية المعروفة بين أوروبا ومصر التي أصبحت جزءا من الامبراطورية العثمانية عام ١٥١٧ م .

وأخيرا بالرغم من أن آدم سميث لم يذكر اسم ابن خلدون من قريب أو من بعيد لكن أفكار ابن خلدون الاقتصادية تبقى هي الأسس الأولى لعلم الاقتصاد التقليدي ، والنظريات الاقتصادية الحديثة ، فقد كان ابن خلدون أبا لعلم الاجتماع ، وكان أيضا ـ كما يقول المؤرخ « ارنولدتوينبي » ـ الرائد الذي لم يسبقه أحد في الميدان الفكري ، فلقد استطاع ابن خلدون من خلال مقدمته لتاريخ العالم أن يدرك فلسفة خاصة لعلم التاريخ ويحددها ، وهي تعتبر ـ بحق ـ أعظم إنجاز فكري من نوعه في العالم ، لم يسبقه في هذا المجال أي مفكر آخر في أي زمان أومكان ، من خلال إحساسه العظيم ، ومن خلال معرفته الدقيقة بالتاريخ جنبا إلى جنب مع ملاحظاته المجهرية الدقيقة للرجال والأزمنة والأماكن ، فقد استخدم ابن خلدون أسلوبا تجريبيا ملهما في تحليله للأفكار الاقتصادية الأصيلة وصياغته لها ، وإن عمق إسهاماته النقدية لمفهوم القيمة وعلاقتها بالعمل ، وتحليلاته لنظرية التراكم الرأسمالي ، ومدى علاقتها بنهوض الأمم ، وانهيارها ، وآرائه الجادة في (ديناميكية) العرض والطلب والأسعار والأرباح ، ومعالجته لمواضيع المال ، والدور الحكومي المطلوب ، وكذلك نظريته الخاصة بالضرائب ، كل هذه المفاهيم الرائدة ـ كما يسجلها التاريخ ـ تجعل من ابن خلدون ـ بحق وبجدارة ـ أبا لعلم الاقتصاد أيضا . □

هل أدب العبث عبث؟

بقلم : فتحى رضوان

ليس هناك نشاط انساني أكثر تفاعلا مع حياة الناس من الأدب بصنوفه ومختلف أساليبه ، فالأدب هو ثمرة انفعال بما يضطرب فيه الناس من آلام ومشكلات ، وما يخالج نفوسهم من آمال وأوهام ، وما يساور تلك النفوس من طموح وأشواق ، والأدب في الوقت نفسه مؤثر كبير الى أقصى الغاية في حياة الآدميين يحاول أن يصوغها ويغير فيها ، وهو إن نجح بقي أثره في عقول الناس وأفكارهم ، وإن فشل بقيت محاولاته تصاحب الانسان في نومه ويقظته ، توحي اليه ، وتهدي خاطره ، وتثير شجونه ، فالأدب امتداد للحياة وانعكاس لها وصدى لضوضائها .

وأدب العبث هو أدب من الأدب ، لا يختلف عن الأدب في كله وجزئه ، الرائج منه والكاسد ، والمحبوب والمرفوض ، والمعروف والمجهول . لكن ، هل هو أدب لأنه يصطنع أساليب الادباء ، وينهج مناهجهم ، ويحاول محاولاتهم ، أم لأنه يحتوي على مضمون الأدب ، ويضم بين دفتيه جوهره ؟

الأدب صورة الحياة

والأدب وإن اختلفت التعاريف ، هو صورة الحياة ، ومحاولة مضنية للوقوف على سرها ، واكتناه حقيقتها ، وتفسير غوامضها ، وتبرير متناقضاتها ، وهو محاولة للاستزادة من قوة الحياة ، والنجاة من الميل لرفضها ، أو الاستهانة بها أو الاقرار بعدم جدواها ، وباستحالة فهمها . ولكنها محاولة مقترنة بالابتعاد للانصراف عنها وتبرئتها والتنكر لها ، واتهامها بالعبث والفوضى . والأدب بين الاتجاهين ، يخرج روائعه ، ويقدم للناس مفاتنه ، ويستحثهم للثبات والتشبث بالأمل ، كجذوة نار تتقد في يده وتشتعل في قلبه ، وهي نار تقوى ولا تضعف ، وتستحث الخطا ولا تُيئس ، وتدعو الى مزيد من التأمل والتفكر ، ولا تبعث على القنوط وحب الهزيمة .

ولكن ما الذي أفضى بنا الى (أدب العبث) ؟ هل اضطربت الصلة بين النفس الانسانية والأدب كوسيلة للتعبير عنها ؟ أم أن النفس الانسانية اضطربت فأصبح من العسير أن تصدر نتاجا يتسق مع القوالب الموروثة ، والصيغ المألوفة ؟ أم أن الدنيا دخلت في دور جديد ، يختلف تماما عن السابق من عصور دنيانا ، حتى أصبح كل ما ورثناه وانتقل الينا عن الآباء والأجداد لا يصلح لما خلق له ، ولا ينفع فيما عرفه وحفظه ؟

والجواب عن هذا السؤال ، ليس بالشيء السهل ، لأن له قصة طويلة صاحبت تاريخ الانسان منذ البداوة الاولى ، والانسان بعد لم يتحضّر ، وكان كل ما يصدر عنه قريبا مما يصدر عن الحيوان . فعيشه في كهوف شبيهة بكهوف الوحوش ، وكان عاريا يسترسل شعره حتى يلامس كتفيه أو يصل الى منتصف ظهره ، ويأكل طعامه نيئا . فلما خطا خطواته نحو بدايات الحضارة ، بدت الفوارق ، ولاحت بوادر المجتمع ومواصفاته . لقد كان الانسان الاول شاعرا بالغربة في هذا الكون الذي لا يكاد يعرف شيئا من ظواهره التي تدهشه حينا ، وتقذف في قلبه بالرعب والخوف أحيانا . فالوحش يخيفه ويتهدده ، والبرق والرعد والعواصف وسيول الامطار ، كلها تؤكد له ضعفه وعجزه ، واستعصاء الطبيعة التي يعيش في جوفها عليه ، فكان الخوف اعظم مشاعره ، والرهبة من الكون أوضح احساساته ، وطلب الحماية والأمن ، أعظم حاجاته .

فلما تخلق المجتمع ، وبدت بوادر طبقاته ، كان أعظم نشاطه متجها الى إدراك مقتضيات هذه الطبقات ، ومضت قرون طويلة ، حتى تكامل المجتمع ، وأصبحت هذه الطبقات جزءا من نظامه ، وحاول الانسان أن يتحرر من تلك الطبقات ، وارهقت هذه المحاولة جوارح الانسان وأطلقت طاقاته ، وكلما ازداد ألفة مع الكون وخصائص الطبيعة ، زاد رغبة في التحرر من هذه الطبقات ، وخلق أوضاعا تزيد من قدرته على الحركة والابداع ، والتحكم في الطبيعة ، واخضاعها لارادته ، وظهر بداءة بعد شيوعه بزمن طويل ، نظام رأسمالي ، فبدأ الانسان يتكيف مع هذا النظام وينتفع بنتاجه الوفير ، وبما يمنحه الانسان من وسائل تخفيف خضوعه للطبيعة وتطويعها لارادته .

القانون وسيلة جديدة

توالت تطورات الاقتصاد الانساني وأنظمته المختلفة ، وازدادت حركة الانسان ، وتعاظمت ثروته ، وتأكدت سيادته وزادت الفوارق بين الطبقات ، ووصل بعض هذه الطبقات الى الثراء الفاحش ، والى الترف الباذخ ، وحاجته الى عمل عدد أكبر من أصحاب المهارات اليدوية ، والطاقات الجسمية ، وأصبحت عبودية الانسان لفريق من الناس.عرف كيف يستزيد من القوة والثروة والنفوذ،وظهر القانون وسيلة جديدة ترسم حدودا، لأناس بعينهم ، ونشأت الحكومات ، وازدادت قوتها وغلبتها ، وأصبح القانون وسيلة قهر تغني عن القوة البدنية التي لجأ اليها الانسان أول الامر ، ولم يعد القانون أمرا فرديا يصدر من انسان لانسان ، إذ اختفى الانسان الذي يصدره ولم يعد أحد يقابله ، أو يناقشه أو يستفسر منه عن غايات القانون وأهدافه ، وكأن القانون يخرج بفعل ساحر ، فالانسان يستيقظ في الصباح ، فيعرف أن هناك أشياء أصبحت محرمة ، وأشياء يحرم الانسان من الاستمتاع بها ، لسرّ غير معلن ، وسبب غير مفهوم . وأدرك الانسان أن هناك شيئا جديدا قد وصل اليه ، هو المدنية . وعرف أن أول ما أصابه من هذه المدنية هو خضوعه لقوى خفية ، أكثر سلطانا عليه من الطبيعة برعودها وبروقها ، وزلازلها وبراكينها ، وأنه لا يرى من حوله إلا أناسا مثله يخضعون لهذه القوى ، وإن كانوا يشكون من بطشها ، ومن خطئها ،

وتجاوزها للحدود التي أعلنت في السابق أنها حدود مقدسة ، وكان تجاوزها جريمة عقابها في أحيان كثيرة قطع الرقبة بالمقصلة ، أو إزهاق الروح على المشنقة .

وأدرك الانسان أن الحكم ضرورة لا غنى عنها ، وأن العيب ليس في فكرة الحكم إذ لا تستقيم حياته مع غيره من أشباهه وأنداده من البشر إلا بسلطة تعلوه وتعلو غيره ، لا لتبسط سلطانها ولا لتقود الناس كالاغنام بل لتوفر لهم الامن ، وتقوم عنهم بوظائف لا يمكن أن يقوموا بها جميعا ، اذ لا مفر من اختيار أناس للنهوض بها ، إنما العيب كامن في أن الذي يختار للحكم يسلح بسلطة ، وجهها ضد الناس ، حتى يألفوا الخوف منه والاذعان له ، وعندها يأخذ لنفسه أكثر مما يحتاج ، وبعد قليل يتصور هذا الحاكم أنه من طبيعة مخالفة لطبيعة المحكومين ، وأن السلطة ميزة يستحقها ، وعندها يبدأ كفاح طويل،الغاية منه الوقوف في وجه الحكام بوسائل عديدة ، وفي مواضع مختلفة ، وكان الادب أعظم أسلحة الانسان في هذا الصراع الدامي الطويل ، وما زالت المعارك تتوالى ويكتب فيها للانسان النصر حينا والهزيمة أحيانا ، والأدب يأخذ مكانا عاليا جدا في القتال ، فهو يسبقه ويمهد له طويلا ، ثم هو يذهب مع الانسان الى معارك هذا القتال ويبقى معه يثبته إذا ضعف ، ويزيد أمله إذا يئس ، ويبشره بالنصر إذا قاوم ، فإذا انتهت المعركة بفوز الانسان ، سجل هذا الفوز ، ولا يلبث حتى يعاوده الحنين الى القتال فيرى ان ما حصل عليه الانسان شيء قليل ، فيدعوه الى صراع جديد ، فيستعد له ، ويغريه به ، حتى يحسب الانسان حسابه ، ويرتدي درعه ، ويمتطي حصانه ، فيلازمه الأدب لا يدعه لحظة ، وبعد معارك طويلة ، مديدة ، متجددة ، قنع الانسان من حكامه بنظام أسماه (الديمقراطية) . وهي ليست نقضا كاملا للحكم ، ولا نسفا لقواعده ، ولكن هي قواعد مصنوعة من مادة لا هي من الحديد أو الصلب ، ولا هي من المطاط ، إنما هي شيء بين بين . متينة كالصلب لا تقتلع ، ومرنة تتسع لما يجد من الاوضاع والحاجات .

وظن الناس أنهم قد وصلوا الى الغاية وأنهم يستطيعون الاكتفاء بها .

ويعود القتال من جديد

ولكن الأدب لم يقلع عن عادته ، فهو لا يهدأ أبدا ، وكلما رأى الانسان راضيا قانعا ، لم يزل به حتى ينفره من الوضع الذي هو فيه ، ويكرهه في القواعد والانظمة التي ركن اليها . حتى يدفعه الى قتال ذي معارك . وفي هذه المرة تكون المعارك أكثر ضراوة ، والخسائر أعظم فداحة ، ذلك لأن المتقاتلين الجدد بعد عهدهم بالبداوة وبحروب السيف والخنجر والسهم والحربة ، فقد جدت صنوف جديدة من الاسلحة ، تبيد المدن ، وتدك الحصون ، وتقذف بأسباب الهلاك من السماء ، فإذا بمئات الالوف قد فارقوا الحياة ، ومئات الالوف صرعى أشبه بالموتى ، فقدوا قدرتهم على السير أو الحركة .

وكان حافز الانسان للقتال أنه اكتشف حقيقة مروعة ،وهي أن نظام الحكم الذي قاتل البشر من أجله أحقابا متوالية ، حتى ثبت له المقام ، لم يكن هو ما تمناه إذ تبين الناس أن الحرية التي منحها لهم هذا النظام البديع مفتوحة ، فالديمقراطية ، لا تمحو الفقر ، انما تساوي بين الناس ، ولا شأن لها بأرزاقهم ، فقد يتساوى الناس في الفقر ، وقد يكون لكل فرد في ظل هذا النظام الجديد صوت في إدارة بلاده ، ولكنه لا يمنح طعاما ، ولا يكسو عريا ، ولا يمحو جهلا ، ولا يشفي من علة ، ونشأت أنظمة جديدة حاولت أن تساوي الناس في الرزق ، وتوفر لهم مسكنا طيبا ، وعلاجا مضمونا ، ومدرسة بالمجان ، ولكن بقي الناس ، أشقياء ، ورأوا أن ما أخذ منهم لتشتريه الدولة مدافع وطائرات وتصنع به

ارتدادات . .
أرانا قد تجاوزنا حديث القيد والقضبان ،
والقهر وأحزان المدينة . .
واخترقنا الحاجز الماثل ما بين ارتعاش الظل ،
والنفس الحزينة ،
فإذا نحن صغيران ،
كبيران ، بحجم الكون . . نجتاز . . ونعبر .
ألأني حين أحببتك . . أحببت جناحين يطيران ،
فلا تجسر ريح أن تقاوم . .
لا ، ولا عاصفة مسكونة بالرعد يوما ، أن
تصادم
لا ، ولا قضبان هذا العالم المملوء جورا ، وقتامة
أن تزاحم
ألأني حين أحببتك ،
واجهت جحيمي ، وتنفست نسيمي ،
فانشق حجازا وتهامة ،
برزخي أنت . .
وفي دربك من عمري علامة .
كيف ألقاك هروبا وانهزاما ؟
وأنا الضارب في الارض ،
بهذا الحب أقوى ،
بهذا الفيض أبقى ،
ساريا في عبق الطين دما ،
صاعدا في ألق الجو غمامة ،
ذائبا في النيل ، شطآه امتداداتي ،
نداءاتي موجاتٌ « سجينات »
وروحي في قيود الأسر ،
تحليقٌ مدمىً ، وارتطامه ،
داخلي ذرٌ من الصحراء ،
ممزوج بطمي النيل ،



* * * *

وليكنْ . .
ما الذي يبقى من العمر
إذا ماكان هذا العمر سجنا ،
والمدى المسدود جبنا ،
والربيع الطلق حزنا ؟
وليكن . .

ما الذي نصنع بالحب اذا كان اغتيالا للخلايا ،
وانطفاء للذي يلمع في عين الصبايا ،
وانغماسا في سراديب الحكايا ؟

دون أن يرتجّ فينا كل بركان الحنايا ،
فنرى الميلاد في قلب المنايا ،
والمدى المنسوج من عزف الشظايا ،
والغد الطالع من عُرس النهار ،
ساطعا ، سِيّان ،
أو منكسرا فوق المرايا ؟

* * * *

ماالذي يجعل صحراءَ إذا امتدت حوالينا بساتين فرحٍ ؟

[illegible] ثرثرة النخل ،
[illegible]
[illegible] مواعيد انعطاف ؟
ما الذي يطلق في وجه أعاصير الطريق
عاصفا منهملا بالصبوات ،
يتخطى كلَّ ذرات الرمال الموج ،
مدفوعا الى عينيه ؟
غاصت فيها ومضة حب وانخطاف ،
تعبت أسئلتي . . فلتتوقف
إنني أعرف مابعد لماذا . .
ولهذا . .
كلما امتدت ذراعاي . . وأوشكتُ ،
تناءيتِ
تناءى الحلم ، وازداد الغد المأمول بُعدا .
آه لو تدرين آه ،
إن كيمياء الشرايين تزيد القلب صهدا ،
أمطري ياغيمتي نارا وشهدا ،
إن لي في مقبل التاريخ وعدا ،
إن لي في فحمة النيران وقدا .
وأنا المشدود كالأوتار ، كالاعصار ، كالتيار شدا .
ولقد قاربت جدا
إنني قاربت . . جدّا !

العربي ـ العدد ٣٤٣ ـ يونيو ١٩٨٧

بمناسبة مرور سنة على وفاة عـاصي الرحباني

هذا الثالوث الماسي الذي انكسر !

بقلم : الدكتور شاكر مصطفى

ماذا يقول الكـاتب والصـديق والمؤرخ . . عنـدمـا يفقـد صـديقـه الفنان . . . لنقرأ . . هذه التذكارات . . ففيها صوت وصدى أنغام ما زالت تغمر أرواحنا بالفرح أو ما يشبه الفرح .

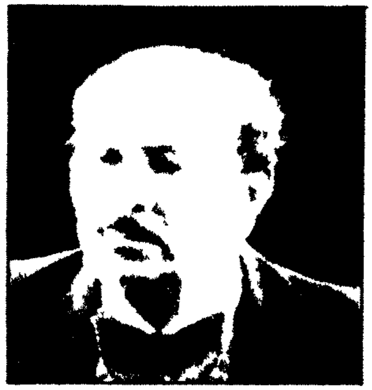
عن عاصي الرحباني ، وكُرمى لعينيـه اللتين غابتا الى الأبد ، أكتب .

وان كنت لا أستـطيع أن أصـدق . لا أجرؤ أن أصدق . هل غاب حقا ؟ ومنذ عام ؟ إن الثـالوث الماسي فيروز ـ عاصي ـ منصور الـرحباني مـا يزال يعيش ، يتوهج ، يغني في كل بيت . على كل لهاة . عنـد بوابـات المدن العتيقـة ، وفي ساحـة الضيعـة الملفوفة بالغيم . فكيف ينكسر هذا الثالوث ؟ كيف يموت بعضه ؟ قد يكون الجسد هو الذي انكسر . ولكن هـل تنكسـر الـروح ؟ ونـظل لا نصـدق الـواقـع . . . حتى تنكسـر الجبـاه عـلى صخـرة الواقع ! . .

وتعود بي الذكرى الى بعض أيام سنة ١٩٥٠ . . . باقة من خمسة أو ستة أصدقاء في حلقة . الشعر يتطاير فيهـا كـالفـراش الملون . . . والحـديث المعجـون بالغناء ، والضحك ملء الصدر ، ودندنة العزف . باقة أصدقاء باعوا أعمارهم كلها لقمرٍ مجروح وهمسة جمـال . ويصمت الجميع فجـأة . الفتـاة من بينهم تغني . ما كان في جسمهـا المعروق ولا في وجههـا الخجول الحزين ما ينم عن الصوت الملائكي الذي حـين ينبعث منها يحـولها الى كـائن أثيـري يشف . يشف . يشف حتى يكاد يغيب . صوت فيه كل عبير العليق البري والزعتر الجبلي والبلوط العتيق ورائحة التراب الحي . . . وفيه مـا لست تدري من جـوقة



● فيروز



● عاصي الرحباني



● منصور الرحباني

الكنـاري والكـروان والشحـرور أم من همس السموات العلي ؟ أم صراخ الأرض .

« وبتحس عاصوت الصدى الهربان

« وديان عم تركض ورا وديان . . . » .

كل ذلك في أغنية مختصرة لأربع دقائق أو خمس . التماعة من النشوة كالبرق . . . وتنتهي الأغنية . دفقة من السعادة والوجد تصلك بسدرة المنتهى لحظة ثم تختفي . . . وكنا نبهت لينابيع الفرح الداخلي تغمرنا فلا نصفق . ولا نتكلم . ولكنا نتأمل في صمت . ولا ندري ما نقول ! أربعة أمور من تقاليد الأغنية الكلثومية كانت تتحطم مع هذه الفتاة الخجول : الطول ، والنغم التقليدي المكرر ساعات . والكلمات المألوفة : حبي ، قلبي ، العذاب ، والسقم ، وسلبية الحب ! وأخيرا الخروج من الغناء الطبقي ، غناء الآذان المخملية الى الغناء الشعبي للجميع ! طعم الأغنية كان جديداً كله !

وتحمسنا لهذا اللون الجديد الذي يُلتهم كالشطائر في قضمتين ، ويخلف من الفرح المتدفق ما لا ينتهي ! وكتبت يومها بحماسة عن القادمين الجدد ، ويبدو أننا لم نكن وحدنا الذين ننتظر هؤلاء القادمين . الوطن العربي كله كان ينتظر ! . . . ومن هنا انطلقت فيروز . . . لكنها لم تكن صنع نفسها . كانت ركنا في ثالوث ماسي :

منصور الرحباني يكتب الشعر ، ويشترك في اللحن . وأي شعر حلو ؟ !

عاصي الرحباني يصنع اللحن ويشترك في الشعر وأي لحن حلو ؟ !

وفيروز حداد تطلق الأغنية حتى الملائكة ! . . . وأي صوت ؟ !

المؤثرات الأولى

سلخ الثالوث نشأته الأولى بين الشوير وعين السنديانة وانطلياس . . . بلدات صغيرة تنتشر كالأزهار على السفوح الجبلية اللبنانية ذات الخضرة السوداء ! مطلة على زرقة البحر وزرقة السماء ولا شيء غير ذلك سوى ما تختزن الذات من الأسرار وعصف الجمال . لم ينبع الشعر ولا اللحن ولا الحنجرة الذهبية نبعا عفويا في هذا الثلاثي . قبل ان يجتاز الأخوان رحباني المستوى العام لشعراء وأصحاب الألحان ، وقبل ان يصقلا الصوت الفيروزي صقل الماس ، وقبل أن يقدما أي عطاء ، كانا قد قطعا أشواطاً بعد أشواط من المعاناة والتجربة والقراءة وحرق الأعصاب . لم يجاوزا الصفوف الثانوية الأولى في الدراسة . خصبهما الداخلي هو الذي دلّهما على الطريق . وسلكاه راكضين دون إخوتهما الآخرين . القسيس الذي علمهما ألف باء الموسيقا في الكنيسة علمهما معها أسرار الوتر . القراءات المكثفة التي عكفا عليها في الادب والشعر أعطتهما الاداة ، ولكنهما تعلما الشعر نفسه من الحسون والقنطرة العتيقة وأدغال العليق . اللحن

الشعبي الذي خالط منها الدماء والأعصاب علمها التمرد على الموال والعتابا والميجانا المكرورة . غير أن كل ذلك لم يشفع للأخوين عند أبيهما ، صاحب المقهى في فوار انطلياس الذي كان يتباهى ببطولة الجسد أكثر مما كان يهمه تثقيف أولاده ، ولم يشفع لهما لدى الحكومة حين كبرا . . . لم يظفرا منها بأكثر من وظيفة « جلواز » بلدية ، أي شرطي محلي لمراقبة القمامة وبروز الشرفات ومخالفات البناء ! . . وكانا يدندنان وهما يجمعان ضريبة الرصيف في انطلياس . . . وقد ينسيانها ان التقيا بصوت يطلق سحبة ميجانا من الصميم ! تمتد من الوادي الى البحر . وكان الشعر والنغم دانيين ومن حواضر البيت وقد عرفا بالحس الجمالي الرهيف الرائع ، ان غابات البلوط والصنوبر وحقول العصافير المملوءة « بالجلول » و « كبوش » التوت ما تزال تختزن مع الميجانا والعتابا لحونا أخرى ما تزال في ضمير الغيب ، تنتظر من يفجرها . . .

ومن رائحة « الطيون » وعلى ورق التين والحور العتيق كان الشعر يكتب ، والألحان توضع ، والأغنية تنطلق . تركض ، تعربد ، صبيَّةً تتوهج من بيت لبيت ، لتمشي فيها بعد في أزقة المدن العربية كلها ! . . .

مولد الحب بين قلبين

شبابا صغارا كنا في الخمسينيات الأولى نتنقل من دمشق الى بيروت لنحضر ميلاد كل أغنية ، أي أغنية ، لنستمع الى أغنية من خمس دقائق لكن كنا نتناقش فيها أياماً . وذات يوم كنا في بيروت في غرفة التسجيل تحت المسرح ، نستمع مع عاصي لأغنية جديدة . وانطلقت الأغنية . كانت فيروز تغني . ولكن عاصي قاطعها مرة واثنتين وثلاثا . . . وطلب الاعادة مرة ومرة ومرة . ومللنا . لم نجد فيها ما يستوجب الاعادة . وانفلت عاصي من غرفة التسجيل وصعد المسرح وأقبلنا نستمع . . . رق الصوت حتى أصبح له هسيس الملائكة ، ودبيب الربيع في الشرايين . فاجأتنا الروعة . . النغم كله رف رفيف الحرير ! . . كأن فيروز أخرى غير الأولى هي التي كانت تغني الآن ! وخرجتُ الى المسرح أنظر ما الذي تبدل ؟ فاذا عاصي أمام فيروز يلوح بعصاه الموسيقية . ينظر في عينيها وتنظر في عينيه . . . وهما في عالم آخر ! هكذا كانت تولد أغنيات فيروز والأخوين رحباني ! من مولد الحب بين قلبين !

طريق مسدود

وذات يوم من صيف ١٩٥٤ علم الرحبانيان أني في مؤتمر الأدباء الأول في بيت مري . وجاءا عاتبين . واضطررت الى ترك المؤتمر مع أني أحد منظميه لأرافقهما الى بيروت . وجمعا الفرقة التي ألفاها في تلك الفترة لتعزف سمفونية تجريبية يضعانها . وكنت في المسرح المستمع الوحيد . وتناقشنا في التجربة التي كانا يحاولان فيها طريقا جديدا . . . ولم نرض عن التجربة . كانت في بعضها تقليدا ، وفي بعضها الآخر محاولة توفيق ! ولم يعد الأخوان اليها بعد ذلك . غيّرا الطريق كله . طريق التقليد الغربي كان الطريق المسدود ! السمفونية لا جذور لها فينا ، ولن تؤثر . والصوت الأوبرالي الغربي صوت مصطنع . وانما يهزنا الصوت الذي يتردد بين القمم والوديان والذي « يتعمشق » كالأزهار البرية على السفوح للشمس والنور الضاحك . واكتفيا بالعَب من اللحن الشعبي العريق ! لا يأخذان من ألحان الدنيا الا ما ينسجم معه . . . هكذا كانت تولد لديهما الألحان بنت الأرض التي يعيشان عليها وصدى لفرح الناس .

على أن اللحن لم يطغ لديهما على الشعر . عرفا حق الأعماق قيمة الحرف المموسق . أدركا قيمة الكلمة الشعرية ، وأنها بدورها متصلة بالأرض ، وبحياة الناس العاديين . وكانا يلتقطانها بموهبة عجيبة . عاصي يصطاد فكرة فيكملها منصور . ويضع منصور شطرا ، فيكمله عاصي ويزيد عليه . أشعارهما الأولى كالأخيرة ظلت مشتركة ومميزة .

وكنا حين نستمع الى الصوت الماسي نعرف أننا نطرب معه للشعر الجديد . وقد نحار أي الأثنين أشد أسرا . واذا لم يعرف الناس عنها الشعر فلأن قوافيها « من لغو طفل ومن تغريد عصفور » كانت تذوب في الغناء ، وتعطي الصوت الفيروزي نكهته الخاصة ولون عينيه ! واقترح صديق ان نطبع هذا الشعر وتعهدت على الفور بالأمر . وجاءت المجموعة الشعرية أسرع مما تصورت . قرأت ما أدهشني . قضيت شهرين أتردد على الرسام المرحوم أدهم اسماعيل أناقشه في القصائد والرسوم . وكتبت مقدمة الديوان وأعطيته اسم : « سمراء مها » ، على اسم الأغنية التي كانت قد شاعت في تلك الآونة تحمل اسم فيروز الى كل قلب . . . وهكذا ولد أول وآخر ديوان شعر للأخوين رحباني ! وان كانا قبله وبعده شاعرين لا أحلى ولا أروع . . .

مرحلة الى القمة

وقبل أن يشيع التلفزيون في الستينيات ، ويضع الرحبانيان جهدهما في المسرحية الغنائية كانا يفرغان جهدهما في الاذاعة المسموعة « أوبريت » مملوءة حنانا وانسانية وشعرا من الشعر . وكثيرون ما يزالون يحتفظون من ذلك العهد ببعضها . كانت أكثر عفوية وأبسط ألوانا من العروض المسرحية التي تلت ، وأقل تعقيدا في التوزيع الموسيقي . ولكنها كانت مرحلة من مراحل الأخوين في القفز الى القمة .

أهو تاريخ قديم كل هذا ؟ بلى ! قد يكون . ولكنها ملامح ضرورية لفهم هذه الظاهرة التي يسمونها بالأخوين رحباني . الربع الأول من هذا القرن كان فيه سيد درويش . الربع الثاني تألق فيه الثنائي عبدالوهاب وأم كلثوم ، الربع الثالث احتله الثلاثي : « فيروز والأخوين رحباني » الذي حول الأغنية العربية من مجرد تطريب سكوني الى موقف فرح حي ، الى لحظة سعادة تضج في الشرايين ! قالوا عنهم أنهم ترجموا الموسيقا البيزنطية الكنسية الى العربية . . . ولكن متى كانت الموسيقا تنتمي لأي عصر ولأي شعب ؟ ومن ذا الذي قال إن الموسيقا البيزنطية القديمة ليست في جانب كبير منها بنت أرضنا وبلادنا وناسنا نحن ؟ أليست العبقرية في ان تجدد من خلال الاصالة التراثية ؟ في ان لا تترك القوالب القديمة « تقولب » التفتح الجديد وهي تغذّيه ؟ الموسيقا العربية ورثت الكثير عن الموسيقا السابقة لهذه الأرض . ولكنها تتعفن إن بقيت في الأكياس العتيقة . تموت ان بقيت في حدود « القدود » و « الموال » ومدائح الاذكار وموشحات ورقص السماح . . . صحيح ان الأخوين قد يكونان باعا الخمر القديمة في زجاجات جديدة ولكن هل سمعتم بقصة كولومبوس ؟ كشف هذا الرجل أمريكا وعاد تاركا لأوروبا أنهار الذهب تتدفق عليها نتيجة هذا الكشف . وحسده الحساد . وذات يوم كان في الحانة وسمع قائلا يقول : وماذا فعل كولومبوس ؟ انه لم يزد على أن أبحر غرباً غرباً حتى وصل ! ولم يعر كولومبوس أذنه للاستهزاء المرير . ووقف على منضدته وقال . إنه تعلم في البلاد الجديدة لعبةَ وتحدى من يستطيعها . وأتى ببيضة وتحدى أحدا يستطيع ايقاف البيضة على أحد رأسيها . وحاول الجميع ذلك عبثا . حين فشلوا أخذ كولومبوس البيضة وضربها على وجه الطاولة فانكسرت ووقفت على قاعدتها . وصاح الجميع :

ـ ولكن هذا سهل ، كل انسان يستطيعه ! . . .

ـ قال حسنا ! ولكن هل فكر أحدكم فيه ؟

دستور العرب

الاخوان الرحباني حالة غنائية لأنها في الأصل حالة ايديولوجية . ولهما في التحليل الأخير فلسفتهما الفكرية . وموقفهما المميز . كانا يعتبران أن الأغنية أفضل حالة ايديولوجية ، وان الفنانين هم فلاسفة العرب . وان الأغنية دستور العرب الجامع . وكانوا يهدمون ويبنون الأفكار بتفجرات من الألحان ، وبأفكار توغل مع الغناء لتحكي ما تريد للناس ،

وهي تركض عفوا على الألسن ، مقالب مختار الضيعة للاحتفاظ بمنصبه وسيطرته وبالمتملقين،أليست تحكي ، في قالب اللهو البريء ، قصة كل النظم ؟ وحين تغني فيروز :

« هالسيارة مش عم تمشي
بدها حدا يدفشها دفشة
بيحكوا عن ورشة تصليح.
وما عرفنا وين هيِّ الورشة !! »

أليس يحكي الأخوان في هذه الكلمات كل قصة الحيرة العربية ؟ وحين ينطلق صوت فيروز رقيقا كالنسيم حادا كالسيف ، مؤثرا حتى في الحجر :

مَا في حدا لا تندهي ما في حدا
عتم ، وطريق ، وطير طاير هالهدا
بابهم مسكر والعشب غطا الدراجْ
شو قولكن . شو قولكن صاروا صدى . وما في حدا !

ألم يكن الاخوان يرسمان مبكرين حالة اليأس التي انتهى اليها الوطن العربي ؟ ما في حدا ! .

وهل بكى القدس احد ، بكاء الصلوات الخاشعة والأمل البعيد ، كبكائهم وصلواتهم وأملهم :

للقدس سلام دائم !
وبأيدينا سنعيد سلام القدس ! . . .

أجراس وضمائر

فيروز والأخوان رحباني نقلوا هموم المتعبين والمكدودين من الأزقة الى كل لهاة . حاولوا تسويق الهموم الكبرى من خلال هموم الوجوه المعروقة وهمس البسطاء ، كانوا واثقين من ان النذر التي أطلقوها في الأغاني ستظل تقرع الضمائر كالأجراس كلما تحركت الألسن بالأغنية ، وفي كل مكان . أليست هذه رسالة الفنان ؟

إنهم أكثر من هذا كانوا ينشرون بين الناس الفرح . يقولون : نحن نعاني . . نعاني من نقص في الفرح . يجب ان يستورد التاجر ، مع الرز والسكر والقمح بضعة أطنان من الفرح لتتوازن الحياة . ان في حياتنا من الهموم والبؤس أضعاف ما فيها من الأمل ويجب أن ينتهي العذاب والسقم والضنا والصبر السلبي من الأغنية ليحتل محلها البهجة وثورة الحياة وعواصف القمم . .

وأحب الأحاديث الى الأخوين ، والى عاصي بالذات ، حديث العدم والوجود والحياة والموت . كان يجد لذة خاصة في العودة مرة أخرى الى « الميتافيزيك » . كان يجد فيه ذاته وموسيقاه والشعر ، وما وراء الذات والموسيقا والشعر . وكان الزمن هاجسه الذي يركض في كل أغانيه ، وحين كان يتمايل كالقصبة الراعشة وهو يسمع الموشحات كانت الأزمان تختلط أمام عينيه . . . أيها السيد زرياب أنت مدعو للعشاء عندنا الليلة ! الأرموي سيكون أيضا معنا وسلامة ! لا تتأخر ! . . .

وهكذا اعتمد الثالوث الماسي في موسيقاه ثلاث قيم : الجمال أولاً والتراث والعصر . وعبَّر عن ذلك من خلال ثلاثة محاور : فولكلور القرية ، قضايا الناس العاديين ، والشعر البسيط الزجلي في معظم الأحيان . أعطوا اللحن الشعبي القروي قيمة عربية . وزعوه على الأرض العربية كلها ، باعوه لكل العرب . وبذلك فهو ملك الجميع . حتى اللهجة العامية اللبنانية صارت لهجة عربية محببة مفهومة بوضوح في المغرب كما في السودان واليمن . كانوا يعبرون بذلك عن الرابطة الثقافية التي تشد الوطن العربي . بعضه الى بعض . . ولم يكونوا يمثلون فترة الأوج في العطاء اللبناني ، ولكن فترة الأوج في وحدة المشاعر العربية . فترة عبدالناصر ! ولم يخلقوا لبنان آخر هو النقيض للبنان الحالي الذي ينتحر ولكن وطنا عربيا موحدا آخر تبنيه الأرواح الموحدة وراء هذا التمزق ، ورغم هذا الزمن الرديء ! ويستعينون على ذلك بكل المواهب ، سعيد عقل بثقله الشعري كان يرفدهم فترة من الزمن ، نصري شمس الدين بصوته الرجولي ، فيلمون وهبة

بهزله الموسيقي ، كانت الجماعة تبحث بكل مكان عن الكلمة الجميلة . الجملة الموسيقية الرائعة ، الحبكة الحلوة التي تربط رسالتها من الفكر والغناء . بهذه البضاعة دخلت فيروز كل مدن العرب وكل أريافه.صارت جزءا من عالم الغناء العربي ، خرجت من الظل الرمادي لتصبح فرحا ومجدا وبطولات حيث حط حافر المهر . وليصبح « المير » بشير و « المير » فخر الدين جزءا من التراث الثقافي للناس . . . .

وأهم ما في الأخوين رحباني على المستوى الانساني هي السجايا الرائعة .

انهما فنانان ، فيهما كل رؤى الفنان وسماحته وكرمه والعطاء . الاخلاق كانت ميزتهما ، كانا ينفقان ٩٠٪ من دخلهما الكبير على العمل الموسيقي . والباقي ينفقه عاصي في نسيان ذاته . كانا مثال « لبنان الكرامة والشعب العنيد » أنفقا على صقل فيروز الكثير ، وعلى الدعوات الكثير ، وعلى الفن الكثير . . . ويوم انفجر في عاصي الشريان الدماغي من كثرة العمل قبل ثلاث عشرة سنة لم يكن لديه شيء ، لم ينجده في المرض الا هبة شخصية من رئيس الجمهورية العربية السورية وصلت في حقيبة مسرعة .

حين انكسر الثالوث

يومها فجع الجميع لأنهم شعروا ان الثالوث الماسي انكسر . فقد قاعدته ! ومع ان عاصي أنقذ ، عاد جسدا يتحرك ويعمل . . . ولكنه وحده لم يدرك ان عاصي العبقري قد مات ، وهذا عاصي آخر . بقايا جسدية محطمة ، الذين حوله وضعوا أيديهم على قلوبهم ، وبكوا في صمت . وتابع الثلاثي العبقري الطريق ، ولكنه كان يعرج ، يحشرج حشرجة الموت . الثالوث كان وحدة واحدة يتمم جانب منها الجانب الآخر . واذا فقد أحد أركانه فقد كله . وحين كانت ذرة الدم المتجمدة تغلق شريان عاصي لم تكن تعلم أنها تغلق باب الفرح . تنهي عبقرية ، تختم عصرا من الغناء . وتطفيء القنديل الأخير !

عاصي في الواقع مات ثلاث مرات . جاءه الموت منجماً مقطعاً على مراحل .

مات منذ ١٣ سنة حين فقد الدماغ الذي يبتكر حيويته وآليته المبدعة . كل عشاق اللحن والشعر تابعوا لحظة لحظة عملية الانقاذ . وأنقذ الجسد لكن عبقرية اللحن ذهبت الى غير رجعة .

ثم مات مرة أخرى في مطلع السنة الماضية ، ووقف على عتبة العالم الآخر يتحول مع الغيبوبة الدائمة الى جثة تتنفس في غرفة بمستشفى الجامعة الأمريكية في بيروت .

ثم مات مرة ثالثة يوم عبر المعابر المحرمة ، في بيروت من حاجز الى حاجز ، هو الذي عبرت ألحانه جميع الحدود العربيه دون حاجز ، ليصل الى انطلياس ثم الى المقر الأخير ! . . . .

واذا ظل منصور ، (أبو غدي) يبكي طويلا فلأنه كان أيضا يبكي نفسه ، كيف يعتاد الابداع المفرد وهو الذي ظل دهرا يكتب ويلحن وينظر في أعماق الصوت واللحن والشعر مزدوجا بأخيه ؟

وتوقفت فيروز . . . تعيش على أمجاد الماضي وخبز الماضي ، وبأي لحن تصدح بعد ان غاضت حولها الألحان !

أهو رثاء لعاصي ، هذه الكلمات ، أم رثاء للثلاثي كله ؟ لست أدري ولكني أقول لأخي منصور ، أيتها السنديانة الحبيبة الصامدة يا أبا غدي ، أنت قلت لي مرة : لست أنسى أنك أول من كتب كلمة طيبة عنا . اني سعيد أني لن أكون كاتب الكلمة الأخيرة . لا لأني لا أستطيع كتابتها فحسب ، ولكن لأنه ما من أحد يستطيعها ، إن الآلاف سيكتبونها .

لقد مضى عاصي في جنازة رسمية .

لا موسيقاه رافقته ولا الموسيقا الجنائزية ودعته الى مقره الأخير . وحدها رافقته القلوب الدامعة .

كانت تبكي الفرح الذي فقدته ! . . . . □

في مَجْـمَع الخـالدِيْن

بقلم : عبد الرزاق البصير

ليس من المبالغة في شيء إذا اعتبرنا مجامع اللغة العربيةفي القاهرة ودمشق والأردن وبغداد من أهم المراكز التي تستحق كل ما ينفق من جهد معنوي ومادي في سبيلها ، لأنها هي القلاع الحصينة التي تحمي لغة القرآن من الضياع ، وهي المراكز التي تنمي اللغة العربية وتعززها . ولسنا في حاجة إلى القول بأن اللغة هي الركن الذي تعتمد عليه الأمة في حياتها الفكرية ، كما أن اللغة هي المرآة التي ينعكس عليها ما تصل إليه الأمة من رقي وملاءمة للعصر الذي تعيش فيه . وقد يسأل القاريء :

« لماذا تتعدد مجامع لغتنا ؟ أليس من الأفضل أن يكون لها مجمع واحد ؟ » ويأتي الجواب : إن طبيعة عمل المجامع تقتضي أن تتعدد المجامع ، لأنها بمثابة نهر عظيم ، له فروع تعمل جميعا لاغناء اللغة بما تتوصل إليه تلك الفروع من تعريب للمصطلحات الأجنبية ، ثم تتجمع كلها لتصب في أصل ذلك النهر ، وبذلك تزدهر لغة القرآن ازدهارا يجعلها قادرة على احتواء ما يجد في حياتنا المتسارعة من أسماء لا تحصى لما يكتشف في الطب والفلسفة والهندسة والاجتماع والمسرح ، وما إلى ذلك من فنون ومعارف وعلوم .

التعددية والقضية والواحدة

وتتمثل صحة ما ذكرناه،في ذلك المقر الذي أطلق، عليه«اتحاد مجامع اللغة العربية الموجود في القاهرة » فهذه التعددية في المجامع لا تعني الاختلاف في العمل ، إذ أن مجامع اللغة تعمل لقضية واحدة ، وهي تنمية اللغة العربية وتعزيزها ، لهذا نجد المشاركين في المؤتمر السنوي العام للمجمع ينتمون إلى مشرق الوطن العربي ومغربه ، ومهمة هذا المؤتمر عرض ما يتوصل إليه أعضاء المجمع في القاهرة على بقية الأعضاء ، لأخذ رأيهم في تلك المصطلحات .

فلا يعتبر أي مصطلح صالحا لوضعه في المعاجم التي يصدرها المجمع إلا بعد الموافقة عليه من جميع الأعضاء ، ولو أن جميع المؤتمرات العربية التي تعالج قضايا التربية والاقتصاد والاجتماع وغيرها من أمور تسلك مسلك مجامع اللغة العربية لأصبحت حال الأمة العربية أفضل بكثير مما هي عليه الآن .

لم يحدث في أي مؤتمر من المؤتمرات أن وجد اختلاف بين المؤتمرين ، يعود سببه إلى إصرار هذا العضو أو ذاك على رأيه ، ذلك أن كل فرد من المؤتمرين يعرف ما تبذله لجان المجمع من جهود مضنية في اختيار المفردات للمصطلحات التي تشمل العلوم النظرية والتطبيقية ، وقد شكلت في المجمع لجان من الأطباء لدراسة المصطلحات الطبية ، ولجان من المهندسين لدراسة المصطلحات الهندسية ، ولجان من الصيادلة تدرس المصطلحات الصيدلية ، ولجان من المتخصصين في المسرح لدراسة المصطلحات المسرحية ، ويقال مثل ذلك في بقية الفنون والعلوم والمعارف .

وهذا لا يعني أن مسيرة المجامع مبرأة من الأخطاء ، فإن الكمال لله وحده ، وان الذي لا يعمل

هو الذي لا يخطىء ، ويكفي أن نعرف بأن النيات صادقة ، والجهود مبذولة لتنمية اللغة العربية وتقويتها ، واللجان المختلفة في المجمع لا تقر أي مصطلح إلا بعد الدراسة المستفيضة الدقيقة ، لهذا قد يبدو لبعض الأعضاء أن خبراء اللجان يتمسكون بما توصلوا إليه ، وعلى كل حال فإن لآراء المؤتمرين كل الاعتبار في إقرار المصطلحات التي تشمل مختلف المعارف والفنون .

من هنا يتضح أن التعددية في المجامع ليست إلا كما قال الشاعر :

عباراتنا شتى وحسنك واحد
وكل إلى ذاك الجمال يشير

وربما يتصور الكثيرون أن جلسات المؤتمر السنوي للمجمع جلسات جافة خشنة ، لأنها مخصصة لدراسة المصطلحات اللغوية ، لكن هذا التصور بعيد عن الواقع ، فالمنظمون للمؤتمر قد أدركوا أن القلوب إذا كَلَّت عميت ، وهذا يعني أن المؤتمرين ليس في إمكانهم أن ينفقوا قرابة نصف شهر في معالجة قضايا اللغة فقط ، لهذا نجد خطاب الدعوة إلى كل عضو لحضور المؤتمر يحتوي على طلب من العضو أن يكتب بحثا يعالج فيه قضية فكرية أو أدبية أو تاريخية ، وكثيرا ما يتطوع العضو بأن يكتب أكثر من بحث ، يتحدث فيه عما يهتم به من قضايا يبدي فيها آراءه وأفكاره ، ويجد الشعراء في هذا المؤتمر فرصة ، يعبرون فيها عن تقديرهم لأعمال المجمع ، أو يرثون من يرحل إلى الآخرة من أعضائه ، فأنت ترى من هذا أن المجال يضيق عن رسم صورة متكاملة لما يحدث من نشاط في المؤتمر السنوي للمجتمعين ، وأنا مضطر إذن أن أقتطف من ثمرات المؤتمر لهذه السنة ما يحتمله هذا المجال .

وجوب تقوية التواصل العربي :

أول ما أود أن أقف عنده في هذه الكلمة هو هذا البحث القيم الذي كتبه الأستاذ محمد الفاسي ـ عضو المجمع ـ وأشار فيه إلى أن « العلاقة الثقافية بين مشرق الوطن العربي ومغربه كانت أقوى مما هي عليه الآن ، فقد كان علماء المغرب عندما يقصدون البلاد المقدسة لأداء فريضة الحج يتوقفون في مدن العلم ومراكز الثقافة ، ويلتقون بالعلماء والأدباء ، ويأخذون عنهم ، ويستجيزونهم لهم ، ولمن طلب منهم ذلك من زملائهم الذين لم يتيسر لهم بعد القيام بأداء فريضة الحج ، وينقلون معهم ما استجد من تآليف المغاربة في شتى العلوم والفنون ، كما يأخذون معهم إجازات علماء المغرب لمن طلبها من أهل المشرق ، وعند الرجوع يقومون بهذه الاتصالات نفسها ، ويحملون مؤلفات المشارقة إلى المغرب ، وإجازات علمائه إلى من طلبها من أهل المغرب .

وهكذا كان التعارف تاما بين جناحي الوطن العربي ، إذ بمكة يلتقي المغاربة بمن يحج من علماء البلاد الاسلامية الأخرى ، وزيادة على ذلك أنهم كانوا ينتهزون هذه الفرصة الثمينة لزيارة بلاد الشام والعراق واليمن ، فكان العلماء في كل الأقطار الاسلامية بفضل هذه المؤسسة الاسلامية الفريدة ـ حج بيت الله الحرام وزيارة قبر الرسول عليه السلام ـ مطلعين على كل أحوال إخوانهم في كل ناحية من نواحي العالم الاسلامي،يعرفون بدقة أخبار الحركة العلمية . ويظهر هذا في كتب الطبقات التي كانت تؤلف بالمشرق والمغرب ، حيث كانت الوحدة الاسلامية حقيقة واقعة ، مما تضاءل شأنه في عصرنا هذا ، عصر السرعة والاتصال المباشر بواسطة الطيران ، فقَلّ الاتصال ، وضعف التعارف ، ولولا ما تتصف به الحضارة الحالية من تنظيم المؤتمرات والندوات واللقاءات لكانت القطيعة أعمق ، لكنها مع ذلك لم تقم تماما مقام السفر إلى الحج » .

هذه الفكرة الوحدوية التي شغلت أستاذنا الشيخ محمد الفاسي ـ المغربي ـ كانت في الوقت نفسه تشغل الأستاذ الدكتور ابراهيم الدمرداش ، ومن المحقق أنها تشغل كل عربي مثقف يؤمن بأن قوة اللغة العربية تكمن في وحدة الأمة العربية وتضامنها .

التضامن العلمي العربي :

فقد دعا في كلمته التي ألقاها بالمجمع إلى تضامن الأقطار العربية في الناحية العلمية التقنية ، والخطوة الأولى في طريق التضامن العلمي العربي هي أن يعقد مؤتمر للتضامن العلمي التقني نظريا وعمليا يضم وفودا من جميع الدول ، فإن هذا المؤتمر إن لم يسفر عن شيء سوى التعارف بيننا لكفى ، لما لهذا التعارف من فائدة في الحاضر والمستقبل في تبادل الرأي والمشاورة وجمع الشمل والمراسلة ، وإنك لتجد بين الكثيرين منا من يعرف زملاءه الغربيين ولا يعرف إخوانه العرب مع ما بيننا من روابط الجوار والتاريخ ، وما بين أيدينا في لغة القرآن الكريم من لسان عربي مبين ، يجمع شملنا أجمعين ، فالأمر الذي لا شك فيه هو أن عالمنا اليوم عالم تقني ، تقوم حضارته على الانجازات العلمية والمهارات ، ومدنيته بلا شك مدنية صناعية إنتاجية ، فهل يا ترى نقبع في صفوف الأدباء ، ونقنع بنصيب النظارة الغرباء عن العلم الحديث وأهله ، ونتخلف عن الركب ، ونترك لغيرنا قصب السبق ؟ كلا ! بل لا بد لنا من الأخذ بأهداب العلم ، وأسباب المعرفة ، وأن نجيد الصنعة ، ونتقن الحرفة ، حتى نصبح قادة في ركب الحضارة قولا وفعلا وعلما وعملا إن شاء الله .

ويؤكد الدكتور أن جامعاتنا لا تصدر أدلة واضحة المعالم تهديك إلى نظمها ومناهجها وكلياتها وأقسام الدراسة والتخصص فيها ، وبيان أساتذتها ، وهيئة التدريس فيها إلى غير ذلك مما يظهر سنويا لكل جامعة أو معهد في البلاد الأجنبية ، فضلا عن أننا لا ننشر أبحاثنا بانتظام ، وليس لنا إلا النزر اليسير من المجلات العلمية والدوريات ، مع أنها لغة التخاطب بين العلماء والباحثين .

ويقول الدكتور الدمرداش : « إن الحقيقة التي لامرية فيها هي أننا نعيش في قطيعة علمية ، وكل ما في الأمر أن بعض الدول المتجاورة منا تركن لاستكمال ما تحتاجه لهيئة التدريس إلى جاراتها بطريقة مبتسرة واتصال فردي ، وكثيرا ما تستعين بالمنظمات الأجنبية في هذا السبيل ، فإذا ما قامت فينا هيئة كالتي ننشدها أمكنها مساعدة الطالب وتنسيق المطلوب ، كما يمكنها أن تسهم في تنظيم الزيارات العلمية والاعارات ، واستقدام الأساتذة الزائرين ، وتبادل الطلاب للدراسة والتدريب الفني إلى غير ذلك » .

ومن المؤسف حقا أن من المشاهد أن كل دولة منا تود أن تلحق وتسبق دفعة واحدة ، وليس هذا من شأن العلم الذي يقوم بنيانه على أساس متين ، ولا من طبيعة التقنية التي ترتكز على قواعد شتى ، وتحتاج إلى خبرة ودراية ومران ، وطموح مطلوب ، فالطفرة لا تحقق الهدف ، بل لا بد لتطور العلم والتقنية من تخطيط سليم ، وخطة محكمة ، ولا يتفق ذلك مع العجلة .

كيف تكون الدراسة عملية :

ويرى الدكتور الدمرداش أن المدارس الصناعية ينبغي أن تكون متوافقة مع إقامة المصانع ، لتكون المدارس الصناعية مدارس عملية لا مدارس نظرية ، بمعنى أن الطلاب إذا تخرجوا في مدارسهم الصناعية يجدون المجال الذي تخصصوا فيه ، كذلك تجد المصانع القوة البشرية التي تسير آلاتها ، أما إذا أقيمت المدارس الصناعية بغير مصانع فإن الاقبال على التعليم الفني يصبح ضعيفا ، وينصب الاقبال على التعليم العام النظري ، وهذا اتجاه لا يتفق مع حاجاتنا إلى الناحية الفنية ، وعند ذلك تزيد أعداد الجامعيين ، وتقل نسبة الفنيين والمهنيين ، وينقلب الوضع السليم . ولقد أفاض الدكتور الدمرداش في دعوته المخلصة إلى التضامن العلمي العربي في هذه الناحية،مشيرا إلى عدم التخطيط العربي في الناحية الفنية والمهنية . وإننا لنأمل أن تجد هذه الدعوة الصادقة آذانا صاغية من المسئولين عن اتخاذ القرارات في القضايا المهمة ، فإن كثيرا من الأدباء والمفكرين في مشرق الوطن العربي ومغربه قد رفعوا أصواتهم بالدعوة إلى التناسق العربي في مجال التربية والعلوم



أحدث هذه الصورة في مجمع اللغة العربية بالدورة ٥٣ لانعقاده

والفنون والاقتصاد ، كما رفعوا أصواتهم في وجوب تعريب التعليم في جميع مراحل الدراسة من الروضة حتى الجامعة ، وقد كتبوا في ذلك بحوثا كثيرة ، عالجوا فيها كل المعوقات ، وفندوا جميع حجج الذين يشككون في إمكانية التناسق العربي ، وما من مؤتمر من مؤتمرات المجمع إلا ويعالج بعض أعضائه هذه القضايا ، فضلا عن القضايا الأدبية والاجتماعية .

من هنا يتضح أن جلسات المؤتمر في كل عام جلسات خصبة ، يجد كل فرد من المؤتمرين في البحوث والمحاضرات ما تميل إليه نفسه .

تحية المجتمعين :

وقد يكون من الخير أن نختم هذه الكلمة الموجزة بأبيات من قصيدة ألقاها الأستاذ حسن القرشي ، سفير المملكة العربية السعودية في موريتانيا ، وقد نالت استحسان المجمعين .

يقول :

عـيـدٌ يحـفّـكَ بَـعْـدَ عـيـد
يـا مـوئـلَ الـفصحى الـعـتيـدْ
ومـنـارهـا أرْبَى عـلى الـ
خمـسـين وهـو فـتى جـديـدْ
مـرّت عـهـودٌ وهـو مِـلْ
ءُ الـقـلبِ ذو الـعـزم الـشـديـدْ
نَـفضَ الـغُـبَـارَ عـن الجَـوَا
هِـرِ فَـهْـيَ كـالحَـبِّ الحصـيـدْ
وَنَـضَـا عـن الـذّهَـبِ الـرُّكَـا
مَ فَـرَنَّ كـالـلحـنِ الـفـريـدْ
فُـرْسَـانُـه حَمَـلُوا الـلّوا
ءَ وكـلـهـم فَـذٌّ رشـيـدْ
واسـتـبـسـلوا فـإذا هُمُـو
لـظواهـرِ الـعـصـرِ الـشـهـودْ
لاَنَ الـكـلامُ لَهُـمْ كَـمَا
(داودُ) لاَنَ لَـهُ الحـديـدْ
مِـنْ طَـارِفٍ حـيّ يُـسَـا
وِقُ روعـة الحـيّ الـتـليـدْ
قـد أَلهـمُـوا سِـرَّ الـدُّؤو
بِ وَفَـنَّ تَـرْصِـيـعِ الـعُـقُـودْ
مـرحـى لمـا بَـذَلُـوا وَأَهْـ
ـلاً بـالـفـطارفـةِ الأسـودْ
يـا فَـخْـرَ أجـدادٍ لـنـا
رَسَـمُـوا رسـالاتِ الخـلودْ
يـا صَـرْحَـنَـا المـرمـوقَ شُـيِّـ
ـدَ بـالـعـقـولِ فَـلَنْ يَمِـيـدْ.



علاج قصر النظر بالعمليات الجراحية

بقلم : الدكتور سعيد السماهيجى*

قطع علم أمراض العيون شوطا متقدما عن بقية علوم الأمراض بسبب تطور جراحة العيون وتقدمها ، خصوصاً على القرنية ، باستخدام الميكروسكوب والخيوط والإبر الدقيقة جدا ، وكذلك التطور الذي جرى في مجال تقويم القرنية والصلبة ، باستخدام المواد المنقولة من الجنين المتوفى ، أو من الميت ، أو المشيمة من المرأة الوالدة حديثا . وكل ذلك له قصة .

يعتبر قصر النظر العالي والمستمر وكذلك مضاعفاته على العين من الأسباب الرئيسية لقصور وكف البصر ، ويؤدى بالتالي لعجز الانسان عن العمل في مرحلة مبكرة من العمر ، وبالذات في مرحلة الشباب ، ولهذا السبب تضع الدول المتقدمة في أولوياتها - وعلى المستوى القومي - مهمة اتخاذ الوسائل الضرورية للحد من مضاعفات قصر النظر الشديد ، لما له من مردود سيىء على التنمية والاقتصاد الوطني .

ان قصار النظر يرون الأشياء عن قرب شديد بدون استخدام النظارة ، والمسافة بين العين والكتاب لاتزيد عن بعض سنتمترات (عند الانسان السليم هذه المسافة لاتقل عن ٢٥ سم) بسبب كبر حجم العين ، بحيث يصبح طول محورها الأمامي

* اخصائى امراض وجراحة العيون .

الخلقي أكبر من الطبيعي ، وبذلك لاتصل الاشعة المنكسرة داخل العين للشبكية،وينتج عن ذلك أن الانسان لايرى الأشياء البعيدة الا بواسطة نظارة مناسبة ، وتستخدم لعلاج قصر النظر العدسة المقعرة التي تبعد بؤرة الأشعة الى الشبكية ، وبالعكس تستخدم العدسة المحدبة لبعد النظر التي تقرب بؤرة الأشعة الى الشبكية .

ثلاث درجات لقصر النظر

يختلف طول العين عند الأطفال باختلاف عمر الطفل ، فكلما كبر ، كبرت معه العين ، فنلاحظ أن أقصر طول للعين يكون عند المولود الجديد ، ويكتمل نمو العين في سن الثانية عشرة ، ويصبح طولها ٢٥ ملليمتراً بينما يكون طولها عند المولود ١٨,٥ ملليمتراً ، لذا نرى أنه لدى الأطفال تكون قوة تقارب العينين أقوى من الانسان البالغ ، ويتجلى ذلك عندما يريد الطفل رؤية الأشياء القريبة .

هناك ثلاث درجات لقصر النظر ، الدرجة البسيطة : اذا كان قصر النظر أقل من ٣ ديوبتر (د)) والدرجة المتوسطة : اذا كان أقل من ٦ د.، والدرجة العالية : اذا كان أكثر من ٦ د . وكذلك هناك نوعان من قصر النظر : ثابت وبسيط ، فلا يحتاج المريض لتغيير نظارته دوريا وباستمرار وعند لبسها تصل درجة بصره الى المستوى الطبيعي ، والنوع الآخر قصر النظر المتقدم أو الشديد ، يحتاج فيه المريض لتغيير درجة نظارته ، ومع لبس النظارة فإن النظر لايصل الى المستوى المطلوب ، بسبب التغييرات المصاحبة التي تحدث في العين ، مثل الخلل في التغذية بالشبكية ، والتغييرات في عصب العين ، وتراجع العين الى الخلف وغيرها . وقد يصاحب تلك العين وجود أخطاء أخرى مثل اللابؤرية ، لعدم انتظام تحدب القرنية ، أو حَوَلٌ مرافق ، كما يلاحظ عند هؤلاء المرضى تكوين المياه البيضاء مبكرا .

العوامل الوراثية

وتلعب العوامل الوراثية دورا في استعداد الشخص لتطور المرض ، واستمرار درجته بعينه ، حتى أن هؤلاء ينصحون بعدم الزواج خصوصاً اذا كان الزوجان من الأقارب ، ونجد أن ١٥٪ من الأوروبيين مصابون بقصر النظر ، وترتفع هذه النسبة في اليابان الى ٨٥٪ للأسباب التي ذكرناها سابقا .

وقد تسهم ظروف العمل في الاصابة بقصر النظر ، وخصوصا العمل من قرب ، ولمدة طويلة في البنوك أمام شاشة الكمبيوتر ، ولو أن هذا ليس له سند علمي الى الآن . يتزايد قصر النظر في أغلب الأحيان في مرحلة النمو ، لذا من المستحسن استخدام النظارة في سن مبكرة ، حتى لايحدث حولُ أو كسل بالعين ، ولانتقاء نظارة مناسبة يجب إزالة تشنج العضلات الهدبية وظاهرة الارهاق العضلي باستخدام قطور خاص لهذا الغرض يوسع حدقة العين ، وكذلك يستخدم هذا القطور لتقوية عضلات العين عند قصار النظر ، خصوصا عند الأطفال ، بممارستهم للألعاب الصغيرة والدقيقة ، مثل العمل بالابر والخياطة وغيرها .

أهمية العملية الجراحية

لايقاف تزايد قصر النظر يحتاج المرضى لاجراء عملية جراحية ضرورية تمنع تزايد حجم مقلة العين الى الخلف ، فاقترح العالم ليندز عام ١٩٥٠ - لايقاف تزايد قصر النظر - طريقة جذم الصلبة بتصغير حجم مقلة العين باستئصال جزء من بياض العين أو الصلبة ، حينها أعلن عن ٣ عمليات تسمى الجذم الثاقب لصلبة العين .

وكانت درجة قصر النظر في عملية العين الأولى « ١٩ ديوبتر » وكانت مصابة بالانفصال الشبكي ، لوحظ أن درجة قصر النظر انخفضت الى ١٢ د . اما

العمليتان الأخريان اللتان أجريتا كانت درجتهما ٢٠ د . بدون انفصال الشبكية ، فانخفضت درجة قصر النظر بعد العملية الى ١٣,٥ د . ولكن هذه العملية لم تنل الانتشار الواسع بسبب صعوبة وخطورة اجرائها تقنيا .

وعلى الرغم من ان العالمين شابلاند وبانتيك قد طورا عملية جذم الصلبة غير الثاقب عام ١٩٥١ الا أن لها مضاعفات كثيرة ، لذا فهي لم تنل الانتشار أيضا ، وأهم هذه المضاعفات اصابة الوريد الدوارى الذي يوجد داخل الصلبة في الجزء العلوى والذي يجمع الدم غير المؤكسد من العين ويصب في الوريد العام ، وعند اصابته تصاب العين بالالتهابات المزمنة مما يودى بحياة الانسان الى الخطر اذا لم تستأصل العين .

وفي عام ١٩٧١ طورا العالمان ايروشيفسكى وبانفيلوفا فكرة عملية الجذم الصلبة الى فكرة تقويم الصلبة ، باستخدام الصفائح الواسعة لعضلة الفخذ التي تغطى الجزء الخلفى من مقلة العين لايقاف تقدمه الى الخلف .

وأجرى البروفسور فلاديمير سير غيفيش بلياييف عام ١٩٧٤ التحسين على هذه العملية باستخدام الشريط الرقيق من صلبة (بياض) العين ، من المتوفى على شكل الحرفين اللاتينيين Y, X وتم ذلك في مركز العيون للبحوث العلمية الذي يقوده البروفسور بلياييف منذ عام ١٩٦٦ ، ودافع في عام ١٩٦٥ عن رسالته للدكتوراه في البحث الذي أجراه موضحا فيه أفضلية استخدام قرنية الجنين أو المولود الجديد المتوفين لتقويم القرنية ، ويقوم هذا المركز بمعالجة ما يتصل بتقويم القرنية التي يجرى بين طبقاتها الرقيقة ، مستخدماً قرنية الجنين التي يحصل عليها بسهولة في معظم أقطار العالم دون استثناء ، وله ٧٠ بحثا مكرسا لعلاج أمراض القرنية بتقويم القرنية من الجنين وتصحيح درجة انحراف الأشعة الاكلينيكية بالعين ، وقد قدم مساهمة عظيمة وجبارة في بحث عن أمراض تأثير الجهاز العصبى للعين في نشوء أمراض العيون المختلفة كما قدم بحثا عن أمراض السرطان في العين وكذلك علاج قصر النظر العالى الشديد وأمراض العيون في المناطق الحارة وغيرها،وهو يشغل حاليا منصب نائب الرئيس للمجلة العلمية التي تسمى « مبشر علم امراض العيون » ومحررا في قسم العيون للموسوعة الطبية السوفيتية الضخمة .

وقد تم اجراء ٧٠٠ عملية تقويم للصلبة بطريقة بلياييف في مركزه حتى عام ١٩٧٩ ، وكانت أعمار المرضى تتراوح بين ٨,٥ سنة و ٧١ سنة .

تقويم الصلبة

هناك طرق أخرى بسيطة جدا لاجراء نفس العملية باستخدام شريط واحد من صلبة العين للمتوفى ، ويبلغ طول الشريط ٤ سم ، ويدخل هذا خلف العين من جهة واحدة دون ربطه بالخط من الطرف الخلفى ، أو يستخدم شريطين من الجهتين أو أربعة أشرطة من الجهات الأربع .

وتجرى في نفس هذا المركز عملية تقويم الصلبة ـ الغضروف ـ التي اقترحها البروفسور بلياييف عام ١٩٨٢ ، وهذه العملية لاتزال تحت البحث العلمى حاليا . يؤخذ الغضروف من عظم الصدر للمتوفى ، أو غضروف أذن المريض ويطحن ويضاف اليه محلول مطهر ويجمع في ابرة خاصة،ويقذف به الى خلف كيس ملتحمة العين الذي يجهز قبل العملية ، ولاتجرى هذه العملية لعين درجة قصر نظرها أكثر من ١٢ ديوبتر .

كما تجرى في نفس المركز عملية تقويم الصلبة ـ المشيمة ـ التي اقترحها أيضا البروفسور بلياييف عام ١٩٨٣ ولا تزال كذلك هذه العملية تحت البحث العلمى في الوقت الحاضر ، وتستخدم مادة المشيمة على شكل الحرف اللاتينى (Y) بنفس طريقته التقويمية ، اعتقد أن هذه العملية تصلح لبلداننا العربية والاسلامية لتوفر وسهولة الحصول على

المشيمة للمرأة الوالدة ، لأن استئصال العين من المتوفى يتعارض مع الدين الاسلامي الحنيف والتقاليد الاجتماعية،ففي البحرين نحصل على العيون من بنك العيون في دولة سريلانكا لاجراء عملية تقويم القرنية الثاقب .

وأعتقد بعد تجاربي وممارستي العملية في هذا المجال أن عملية تقويم الصلبة أفضل وسيلة لعلاج قصر النظر العالي الشديد لما تعطيه من النتائج الجيدة لقيام العين بوظيفتها وتحسين جهازها العصبي وتعتمد عليها اعادة الأوعية الدموية بواسطة ادخال قطعة من الملتحمة مافوق الصلبة الى خلف العين ، وربطها في الصلبة المزروعة ، فتتكون أوعية دموية جديدة تنمو في صلبة العين للانسان من الخلف وتصل الى الشبكية أمام النقطة التي تصل اليها صورة العالم الخارجي ، مما يحسن نظر المريض،كما تجرى هذه العملية للانسان المصاب بمرض الاختضاب (الصباغ) الشبكي الخلفي كما يسمى بالعامية مرضى العشى الليلي الذي يضعف النظر مع غروب الشمس حتى شروقها وكذلك لأمراض سوء التغذية في الشبكية وغيرها .

أما العمليات الجراحية الدقيقة لتغيير حنية (تقوس) القرنية للتخلص من النظارة نهائيا ، فتسمى بتقويم القرنية بطريقة عدم تغيير سمكها . وذلك بتغيير حنية جميع طبقاتها فقط ، وهي التي اقترحها العالم الياباني ساتو عام ١٩٥٠ .

عملية شطب القرنية

في عام ١٩٧٩ قدم العالم فيودوروف بحثا عن ٦٧٥ عملية شطب للقرنية اجراها بطريقته حيث قسم المرضى الى فئتين وكان عدد المرضى في الفئة الأولى ١٣٠ مريضا ، ودرجة قصر نظرهم تتراوح مابين ١ ـ ٣ د . وقد أشارت النتائج أن عدد المرضى الذين تخلصوا من النظارة كان ١٠١ مريض تعادل ٧٧٪ كما حصلت عند ١٢ مريضا النتيجة العكسية ، حيث أصبحوا من بعاد النظر بدرجة مابين ١ ـ ٥ د . وبقيت لدى ١٦ مريضا درجة قصر النظر كما هي قبل العملية ، بل زادت عند بعضهم الى الضعفين ، وكان عدد المرضى من الفئة الثانية ٥٤٦ مريضا ، ودرجة قصر النظر تتراوح مابين ٣ ـ ٦ د . وأشارت النتائج بأن ١١٤ مريضا أي مايعادل ٢٠٪ قد تخلصوا من النظارة وحصلت لدى ٢٤ مريضا النتيجة العكسية حيث أنهم أصبحوا من بعاد النظر.أما عن البقية وهم ٤٠٨ مرضى قد عاد لهم قصر النظر ومن ضمنهم ١٩٣ مريضا عاد لهم قصر النظر بدرجة ٠,٥ د . ولدى ١٧٣ مريضا عاد اليهم قصر النظر بدرجة ١,٥ د ، والى ٤٢ مريضا بدرجة ٣ د .

ويقول البروفسور الياباني ناتاجيا في صدد مضاعفات عملية شطب القرنية ، في بحثه عام ١٩٧٩ عن النتائج البعيدة ! « بأنه منذ ٢٠ عاما أجريت في اليابان أكثر من ٢٨٠ عملية (شطب القرنية) بطريقة ساتو . . ومن ضمنهم أكثر من ٦٠ عينا في الوقت الراهن تعاني من عتامة القرنية ، وهي لاتستجيب للعلاج الطبيعي ، ولا للعملية الجراحية ، وذلك حسب ماقدمه من الدلائل والمعطيات الاكلينيكية والنسيجية ، وكما يبدو أن القرنية تفقد خواصها البيولوجية بعدم القدرة على التحام آثار الجروح ويعيش المرضى في حالة نفسية سيئة للغاية » .

وبعد قراءة النتائج التي حصل عليها العلماء لابد أن نشير لقصار النظر ، والى ضرورة اختيارهم ، بعد أن يستقر قصر نظرهم مدة لاتقل عن سنتين .

بحوث جديدة

يواصل مركز البحث العلمي لأمراض العيون الذي يقوده البروفسور كراسنوف بحوثه في هذا المجال من التجديدات التي اقترحها في عملية الشطب ، بوضع قطعة حديدية بحجم العدسة اللاصقة على الجفن بعد العملية ، وبقوة تضمد العين يومين ، فنحصل بذلك على حنية للقرنية اكثر

تسطحا وثباتا ، غير أن عملية الشطب لاتجرى لقصار النظر الذين لديهم درجة الابصار اكثر من ١٢ ديوبتر ، وتشير بعض النتائج الاكلينيكية لهذه العملية على أنها أفضل المحاولات التي تعطى الفرصة لقصار النظر للتخلص من نظاراتهم السميكة ، ولكن اعتقد أنها لايمكن أن تنتشر على المستوى التطبيقي الواسع اللهم الا اذا اثبتت نتائجها الجيدة بتجارب الباحثين الآخرين ، فمن المبكر جدا اعطاء الرأي الجازم بنتائجها لأسباب تتعلق بما يمكن أن تجره هذه العملية على العين وشبكيتها لاحقا .

طريقة جامعة

واقترح البروفسور بلياييف عام ١٩٨١ لعلاج قصر النظر العالي الشديد ، طريقة تجمع بين تقويم الصلبة واستئصال عدسة العين الشفافة وشطب القرنية ، ففي عام ١٧٧٥ اقترح ديزمونكوز فكرة جراحة استئصال العدسة الشفافة عن العين لعلاج قصر النظر العالي ، ولكنها لم تدخل في مجال العمل التطبيقي مدة اكثر من ١٠٠ عام لأسباب تتعلق بالالتهابات التي كانت تصاب بها العين في تلك الفترة .

الا أنه في الخمسينيات تشجع عدد من جراحي العيون لاجراء هذه الطريقة ، ولعل النجاح الذي لاقته في الخمسينيات جاء من التطور الذي طرأ لازالة المياه ، مما أدى الى تحسن النتائج وقلة المضاعفات الآنية وقت ازالة العدسة وعلى المدى الطويل .

واعتبر جيلبرت عام ١٩٥٠ أنه من المستحسن أن تجرى هذه العملية لقصار النظر العالي المستمر بدرجة ١٨ ـ ٢٠ د . ولقصار النظر العالي المستمر بدرجة ١٦ ديوبتر ، حيث تتحسن حدة النظر دون استخدام النظارة وكانت ازالة العدسة في السابق يصاحبها فقد السيولة الزجاجية التي خلفها ، بسبب التغيرات الناتجة من قصر النظر نفسه .

أما الآن فلا تزُال عدسة كاملة ، انما الذي يُزال فقط الجزء الأمامي من محفظتها ومحتوياتها ، ويترك الجزء الخلفي من المحفظة ليمنع انسياب السيولة الزجاجية الى خارج العين ، واحتمال الانفصال الشبكي مستقبلا .

الا أن هذه العملية قد تؤدي الى تكوين التكيف ببقاء العدسة مما يؤدى الى تدهور قوة الابصار بعد زمن ، الا أنه مع وجود الليزر فانه يمكن ازالة هذه العتامات من محور الرؤية دون التخدير ودون اللجوء الى الجراحة ، ويميل عديد من الجراحين في الدول الشرقية لاجراء عملية تقويم الصلبة قبل ازالة العدسة الشفافة ، أو عملية التشطيب التي تناولناها سابقا ، ومن هؤلاء العلماء البروفسور بلياييف عام ١٩٨٠ .

تغيير تقوس القرنية

وهناك طريقة اخرى للعمليات الجراحية الدقيقة لتغيير حنية (تقوس) القرنية للتخلص من النظارة نهائيا بتغيير سمكها ، تسمى تقويم الانحراف الاكلينيكى بين طبقات القرنية الرقيقة ، وهي عبارة عن نقل القرنية من المتوفى أو من الجنين والمولود الجديد المتوفين الى وسط طبقات القرنية الشفافة ، وبهذه الطريقة تغير درجة انحرافها الاكلينيكى للاشعة المنكسرة من الوسط الخارجي .

وتحفظ عيون المتوفين في الخزان المجمد تحت درجة حرارة تصل الى الصفر ، ولمدة تصل الى ٥ أيام في حالة عدم توفر العيون في المراكز بصورة مستمرة بسبب عدم وجود (مشرحة تتبع للمركز)،وفي حالة تواجد المشرحة للمركز فإنه بامكاننا استعمال قرنية المتوفى مباشرة ، دون حاجتنا الى عملية التجميد والتخزين للعيون ، ويسمح باستخدام عين المتوفى للبحث العلمي والعلاج في البلدان المتقدمة ، بقرار وزارى من وزارة الصحة ، والمصدق عليه من مجلس

الـوزراء ، حيث تقـطع القـرنيـة بسمـك حسب احتياجات المريض لتصحيح درجة قصر النظر .

تجرى هذه العملية على مـرحلتين : في المـرحلة الأولى تنقل القرنية على شكل سالب الى جيب القرنية العامل لدى المريض وتوضع في مركز القرنية مقابل الحدقة ، وتثبت القرنية المزروعة بدون خيوط غير أنه لوحظ أن الطبقة السطحية للقرنية غير قابلة للتمدد ، وتكـون مشدودة جـدا وعكس ذلك فـإن الـطبقـة السفلية تكون مرنة وقابلة للتمدد الى جهـة الحجرة الأمامية ، وبذلك تفقد القرنيـة درجة الحنيـة وقوة الابصار التي انجزناها خلال العملية لذا تثقب بعد ٢ ـ ٣ أسابيع الـطبقـة العلويـة للقرنيـة على حـدود العضو المزروع على شكل دائرى ، لتقليل الضغط على القرنية المزروعـة من قبل الـطبقة السـطحية ، فتأخذ مكانها الطبيعى في القرنية للانسان .

وهناك عملية لنفس الغرض،حيث تستأصل طبقة القرنية السـطحية ، وتجمـد وتصقل حسب درجة الحنية المطلوبـة،وتعاد الى قـرنية المريض مرة ثـانية وننصح الذين يرغبون باجراء مثل هذه العمليات بما يلي :

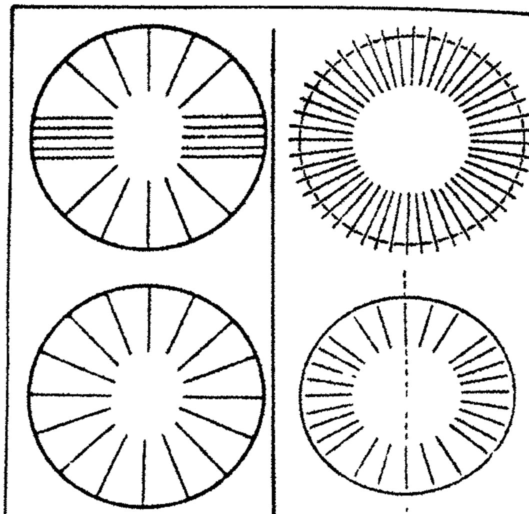
١ ـ أن يحرصوا على الاكتشاف المبكر لقصر النظر ، وعنـايتهم بنظام الفحص المـركز وخصـوصـا عنـد الاطفال قبل سن المدرسة وكذلك التلاميذ .

٢ ـ استعمال النظارة الطبية المناسبة .

٣ ـ خلق الظروف الصحية في الشغل (الانارة الجيدة المتساوية لأماكن العمل والدراسة) .

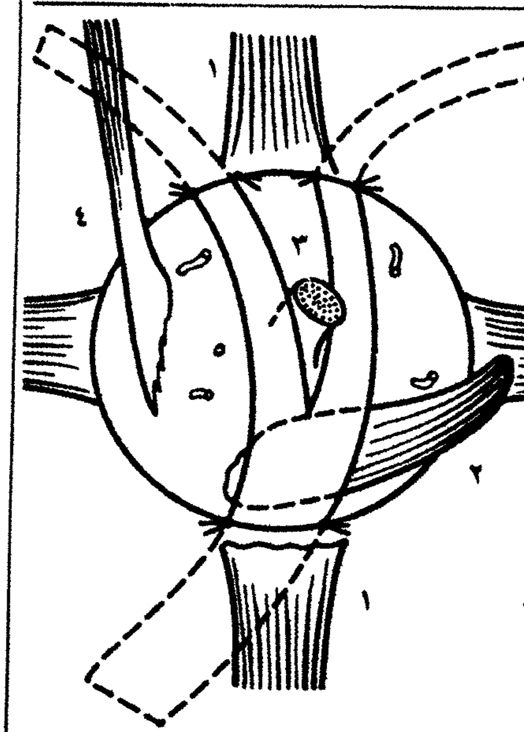
٤ ـ العمل على حفظ صحة الجسم باكتشاف وعلاج الأمراض والتشنجات المزمنة ، وكـذلك الاحتفـاظ بمعلومات كافيـة عن مقدار درجـة التدهـور خلال سنتين على الأقل،حتى يستـطيـع الاخصـائى بعـد الفحص أن يقرر صلاحيتهم للعملية .

٥ ـ تقليل الجهد البصري بحيث يتناسب مع العمل والراحة . □



عملية شطب القرنية بطريقة ساتو .

عملية شطب القرنية بطريقة فيودوروف .



الشكل التوضيحى لتقـويم الصلبة بـطريقة بليـاييف لقصر النظر العالى المستمر ١ ، ٢ ، ٤ ، عضلات العين ـ العصب البصرى ـ الصلبة المزروعة .

العربي - العدد ٣٤٣ - يونيو ١٩٨٧

المناقشة

بقلم : فهمي هويدي

□□

التشدّدُ يحسِنُهُ كُلُّ أحَد !

لايحتاج التشدد إلى فقه أو عمق في المعرفة ، إنما الفقه الحق يكون في الترخص الأمين الذي ييسر على النـاس ، ويرضي الله . وإذا استخدمنا منطوق إمام جليل مثل سفيان الثوري فقد نردد معه مقولته الذهبية : إنما الفقه الـرخصة من ثقـة ، أما التشدد فيحسنه كل أحد !

وهي كلمة صائبة ، جديرة بأن تبقى على مر الأزمنة ، معلقة على الجبين الاسلامي ، هادية للعقل المسلم ، ومرشدة لكافة أهـل الدعـوة والفقه ، في زمن اتسعت فيـه دائرة التشـدد والغلو الـذي نـراه اليوم ، وبات من المهم أن يستجلى هذا المعنى إلى أبعد مـدى ، حتى نفتح صفحـة الاعتـدال واليسـر التي طويت ، وكادت تطمس معالمها ، بفعل ادعـاءات وممارسات عديدة ، وحتى نبريء تعاليم الاسلام من تلك القساوة والجهامة التي تنسب إليه ظلما وبهتانا .

نعم ، إن التشدد يحسنه كل أحد ، ممن ضاقت معارفهم ، أو ضاقت صدورهم ، فما أسهل الجنوح إلى المبالغة والتزيد باسم الحذر والحيطة ، وما أيسر المبـادرة إلى الرفض والتحـريم أخذا بـالشبهـات ، واحتجاجا بسد الذرائـع . إنما التحـدي الحقيقي ، والفقه الأصيل ، يتمثل إما في ضبط ميزان الاعتدال في العبادة والسلوك ، أو في ذلك الجهد الذي يفتح الأبواب على مصارعها لكل خير ممكن ، أو لأقل قدر من المفاسد والشرور ، ذلك أن كفاءة الفقيه لاتقاس فقط بقدرته على الاختيار بين الخير والشر ، لكنها تقاس أحيانا ببصره الثاقب في التمييز بـين درجات متفاوتة من الشرور ، وقبول أقل قدر من المفاسد ، درءا لما هو أكبر ، وأملاً في تجاوز المفسدة إلى مصلحة في نهاية الأمر .

آيات بينات وأحاديث صريحة

صفحة اليسر في التفكير الاسلامي تقوم على عدد من التوجيهات القرآنية والنبوية التي لاتخطئها عين منصفة ، منها على سبيل المثال :

- « يـريد الله بكم اليسـر ولايـريـد بكم العسـر » (البقرة ١٨٥)
- « فقل لهم قولا ميسورا » (الاسراء - ٢٨) .
- « مايريد الله ليجعل عليكم من حرج » (المائدة - ٦)

- « وما جعل عليكم في الدين من حرج » (الحج - ٧٨)
- « يريد الله أن يخفف عنكم ، وخلق الانسان ضعيفا » (النساء - ٢٨)
- « فاتقوا الله ما استطعتم » (التغابن - ١٦)

ومن الأحاديث النبوية قوله عليه الصلاة والسلام : « يسروا ، ولا تعسروا ، وبشروا ، ولا تنفروا » ، ومما روته السيدة عائشة في هذا الصدد أن النبي صلى الله عليه وسلم ما خير بين أمرين إلا واختار أيسرهما مالم يكن إثما ، وفي نهيه عن التشدد قال عليه السلام : « إياكم والغلو في الدين ، فإنما هلك من كان قبلكم بالغلو في الدين » .

وعندما أطال معاذ بن جبل القراءة وهو يؤم الناس أثناء الصلاة ، عاتبه النبي عليه السلام قائلا : أفتان أنت يامعاذ ؟ وكررها ثلاثا ، مما يوحي بأن مثل ذلك التشديد على الناس وأخذهم بالعزائم يفتح باب الفتنة عليهم ، ثم قال عليه السلام : « ان منكم منفرين ، فأيكم ماصلى بالناس فليتجوز ، فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة » .

(وروي عن النبي عليه السلام قوله أيضا : « عليكم من الأعمال ماتطيقونه ، فإن الله لايمل حتى تملوا » ، وقوله : « إن هذا الدين متين ، فأوغلوا فيه برفق ، ولا تبغضوا إلى أنفسكم عبادة الله ، فإن المنبت لا أرضا قطع ، ولا ظهرا أبقى) .

وإزاء الأهمية الواضحة لهذا البعد في التعامل مع الأحكام الشرعية ، فإن الامام أبا اسحاق الشاطبي ، الفقيه الأصولي الكبير ، اعتبره أحد مقاصد وضع الشريعة للتكليف في كتابه الشهير « الموافقات » (جـ) ص ١٣٦) .

وفي هذا الصدد قال ما نصه : « إن الحرج مرفوع للمكلف لوجهين ، أحدهما : الخوف من الانقطاع في الطريق ، وبغض العبادة ، وكراهة التكليف . ويندرج تحت هذا المعنى الخوف من إدخال الفساد عليه ، في جسمه أو عقله أو ماله أو حاله ، ذلك أن الله وضع هذه الشريعة المباركة حنيفة سمحة سهلة ، حفظ فيها على الخلق قلوبهم ، وحببها إليهم بذلك ، فلو عملوا على خلاف السماح والسهولة لدخل عليهم فيما كلفوا به مالا تخلص به أعمالهم .

الأمر الثاني أن المكلف مطالب بأعمال ووظائف شرعية ، لابد له منها ، ولا محيص له عنها ، يقوم فيها بحق ربه تعالى ، فإذا أوغل في عمل شاق ، فربما قطعه عن غيره ، ولاسيما حقوق الغير التي تتعلق به ، فتكون عبادته أو عمله الداخل فيه قاطعا عما كلفه الله به ، فيقصر فيه ، فيكون ملوما غير معذور ، إذ المراد منه القيام بالأعمال على وجه لايخل بواحدة منها ، ولا بحال من أحوالها .

رفع الحرج عن الناس

الدكتور محمد يوسف موسى - من فقهائنا المعاصرين - حدد أسسا ثلاثة للتشريع الاسلامي في كتابه « الاسلام وحاجة الانسانية إليه » . - (ص ٢١٢) . وأول هذه الأسس عدم الحرج ، ورفع المشقة ، وثانيها رعاية مصالح الناس ، وثالثها تحقيق العدل ، بل العدالة الشاملة .

بالنسبة للأساس الأول الذي يهمنا في السياق فإنه استعرض النصوص الشرعية التي ذكرناها ، وقال إن الله سبحانه خالق الكون الرحمن الرحيم ، العالم بتفاوت أحوال الخلق وقدراتهم ، قد رفع الحرج عن الناس ، ودفع عنهم المشقة ، مما نلمسه في أمور العبادات والمعاملات والعقوبات .

ففي العبادات نرى أولا عدم كثرة التكاليف التي جاءت بالقرآن ، حتى صار من اليسر القيام بها دون عنت أو مشقة ، كما نرى إباحة قصر الصلاة حال السفر ، والفطر للصائم إذا كان مريضا أو على سفر ، وإباحة التيمم بدل الوضوء للصلاة لمن لم يجد الماء ، أو كان في استعماله ضرر . وقد فرض الصيام شهرا واحدا في العام ، وأبيح الفطر لمن لا يحتمله ،

والحج قد فرض مرة واحدة في العمر ، ولم يكلف به إلا من استطاع إليه سبيلا ، والأمر كذلك في الزكاة التي لم تفرض إلا على القادر الذي يفيض ماله عن حاجته ، وفي ناحية المعاملات نجد اليسر شاملا ، فليس هناك إجراءات رسمية أو شكلية يجب اتباعها ليكون العقد صحيحا ، كما كان الأمر عند الرومان ، بل تكفي في هذا رغبة المتعاقدين فقط ، ومن ثم فلا نجد في القرآن في جواز العقود إلا شرط الرضا ، ومن باب التيسير في المعاملات أيضا ابتناء كثير من الأحكام على العرف الصحيح شرعا ، وفي باب العقوبات فإن التوجيه النبوي في شأن الحدود يحث المسلمين على الترفق والتيسير ، في مثل قوله عليه الصلاة والسلام : « ادرأوا الحدود بالشبهات ما استطعتم » ، وفي بعض الروايات : « ادرأوا عن المسلمين ما استطعتم ، فإن وجدتم للمسلم مخرجا فخلوا سبيله . فإن الامام إن يخطيء في العفو خير من أن يخطيء في العقوبة .

الشيخ عبدالعزيز جاويش صاحب كتاب « الاسلام دين الفطرة والحرية » يحدد أحدعشر أصلا للاسلام ، أولها الاجتهاد ، وثانيها القصد في الأعمال ، وإقامة ما لايشق على النفوس من التكاليف » . وقد كتب في هذا المعنى يقول : « فكل ماليس في وسع الانسان أن يقوم به فلا تكليف فيه . والمراد بالوسع في الآية : « لا يكلف الله نفسا إلا وسعها » أن يكون العمل حيث لايجهد صاحبه ، ولا يوقعه في العناء والتعب .

ثم قال : « واعلم أن المتغالين في دينهم أقرب الناس إلى العجز في القيام به ، واحتمال تكاليفه » . وفي الحديث النبوي : « أحب الأعمال إلى الله أدومها ، وإن قلّ » (ص ٧١) . ومما ذكره الدكتور يوسف القرضاوي في كتابه « الصحوة الاسلامية بين الجحود والتطرف » في توجيهه لشباب الجماعات الاسلامية المعاصرة : « أن يتخلوا عن التشدد ، والغلو ، ويلزموا جانب الاعتدال واليسر ، خصوصا مع عموم الناس الذين لايطيقون ما يطيقه الخواص من أهل الورع والتقوى . ولا بأس بأن يأخذ المسلم في مسألة أو جملة مسائل بالأحوط والأسلم ، ولكن إذا ترك دائما الأيسر ، واتبع دائما الأحوط ، أصبح الدين في النهاية « مجموعة أحوطيات » لا تمثل إلا الشدة والعسر ، والله يريد بعباده السعة واليسر » .

ثم أضاف : « ولئن كان التيسير مطلوبا في كل زمن ، فإنه في زماننا ألزم ، وأكثر تطلبا ، نظرا لما نراه ونلمسه من رقة الدين ، وضعف اليقين ، وغلبة الحياة المادية على الناس ، وعموم البلوى بكثير من المشكلات ، حتى أصبحت كأنها القاعدة في الحياة ، وما عداها هو الشاذ ، وأصبح القابض على دينه كالقابض على الجمر ، وكل هذا يقتضي التسهيل والتيسير ، ولهذا قرر الفقهاء أن المشقة تجلب التيسير ، وأن الأمر إذا ضاق اتسع ، وأن عموم البلوى من موجبات التخفيف » .

الاعتدال في الفهم

ثمة أمر جدير بالانتباه هنا ، وهو أن التيسير المطلوب لايكون بتطويع الأحكام الشرعية ، لتكون في خدمة الواقع ، أيا كان ، بحيث يتم قبول كل ما هو قائم أو تبريره . . وإضفاء غطاء أو رداء شرعي له ، ذلك أمر مرفوض بطبيعة الحال ، ولا محل لمناقشته ، من حيث انه يفتح الباب للانخلاع من الشريعة تدريجياً ، لكن الذي نسعى إليه ، ونلح عليه ، هو أولا الاعتدال في فهم النصوص ، وتناولها بصورة لاتشق على الناس ، ولا تحملهم حرجا ، ولا عَنتاً يفوق طاقتهم ، وهو ثانيا الاهتداء بالمصالح المشروعة في استنباط الأحكام الشرعية الجديدة ، انطلاقا من فهم رحب للنصوص القائمة ، والمقاصد المستهدفة .

وليس خافيا أن الاعتدال المطلوب في تعاطي النصوص الشرعية ينسحب على العبادات والمعاملات

في آن واحد ، أما استنباط الأحكام في ضوء متغيرات الواقع ومستجداته فينصب على المعاملات بالدرجة الأولى .

هنا نذكر بالقاعدة الشرعية التي تقول بأن الأصل في الأشياء الاباحة والحل ، وما لم يقم دليل شرعي على التقييد أو المنع فلكل مسلم أن يباشر مختلف التصرفات ، وهو آمن النفس ، مستريح الضمير ، وإذا كانت المقولة الشائعة تعتبر أن الناس أعداء ما جهلوا ، فان تعاليم الاسلام تحثنا على أن نتخلى عن ذلك الموقف المتحفظ أو المعادي ، وتقرر بوضوح أن الحكمة ضالة المؤمن ، حيث وجدها فهو أحق الناس بها . كما يقول الحديث النبوي الشريف .

وقد كان علم أصول الفقه الذي وضع أسسه العقل الاسلامي المنير منذ بداية المسيرة ، هو سبيل فقهائنا إلى التعامل مع مختلف مستجدات الواقع بثقة ويسر ، وفي إطار الالتزام المطلوب بنصوص الشريعة ومقاصدها .

وإذا دعونا إلى استبعاد منهج ملاحقة النصوص للواقع وتبريرها له ، فإننا نستبعد في الوقت ذاته موقف انفصال النصوص عن الواقع وانعزالها عن مختلف متغيراته ، لكننا ندعو إلى تفاعل صحي وإيجابي بين النصوص والواقع ، محكوم بأصول الدين ومقاصده ، ومستهدف تحقيق المصالحة الدائمة بين الدين والواقع ، بما يقرب ذلك الواقع إلى الاسلام كلما كان ذلك ممكنا .

أطباء الأديان والأبدان

وإن وجهت دعوة التيسير والاعتدال إلى عامة المسلمين ، إلا أن الخطاب موجه بشكل أخص إلى أهل الدعوة والفتوى ، بحسبان أنهم هم الذين يقودون جماهير المسلمين ، أو يرشدون عامتهم .

فلأجل هؤلاء كتب الشاطبي يقول في « الموافقات » : إن المفتي البالغ ذروة الدرجة هو الذي يحمل الناس على المعهود الوسط ، فيما يليق بالجمهور ، فلا يميل بهم مذهب الشدة ، ولايميل بهم إلى طرف الانحلال ، فذلك هو الصراط المستقيم الذي جاءت به الشريعة ، من حيث أن مقصد الشارع حمل الناس على التوسط ، من غير إفراط ، ولا تفريط ، وخروج المفتي عن تلك الحدود خروج عن مقصد الشرع » ، ولذلك كان كل ما خرج عن المذهب الوسط مذموما عند العلماء الراسخين .

ومما قال في هذا الصدد : « إن الخروج عن الوسط خارج عن العدل ، ولا تقوم به مصلحة الخلق ، أما طرف التشديد فإنه مهلكة ، وأما في طرف الانحلال فكذلك أيضا ، لأن المستفتي إذا ذهب به مذهب العنت والحرج بغض إليه الدين » (جـ ٤ ص ٢٥٨) .

● التشدد يحسنه كل أحد !

وذكر ابن القيم في « إعلام الموقعين » أن : من فقه المفتي ونصحه إذا سأله المستفتي فمنعه منه ، وكانت حاجته تدعوه إليه أن يدله على بديل مباح ، فيسد عليه باب المحظور ، ويفتح له باب المباح ، وهذا لايتأتى إلا من عالم ناصح مشفق ، قد تاجر الله وعامله بعلمه ، فمثاله في العلماء مثال الطبيب العالم الناصح في الأطباء ، يحمي العليل عما يضره ، ويصف له ما ينفعه . فهذا شأن أطباء الأديان والأبدان . في الصحيح عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قال : « مابعث الله من نبيّ إلا كان حقا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم ، وينهاهم عن شر ما يعمله لهم » . ونقل ابن القيم عن شيخه ابن تيمية أنه كان يتحرى ذلك في فتاويه ما أمكنه (جـ ٤ ص ١٥٩) . وحذر الامام القرافي صاحب « الأحكام » من أن يكون في المسألة قولان ، أحدهما فيه تشديد ، والآخر فيه تخفيف ، فيفتي للعامة بالتشديد ، وللخواص من ولاة الأمور بالتخفيف ، فذلك قريب من الفسوق والخيانة في الدين ، والتلاعب بالمسلمين ، ودليل فراغ القلب من تعظيم الله تعالى وإجلاله وتقواه ، وعمارته باللعب وحب

الرياسة ، والتقرب إلى الخلق دون الخالق ، (ص ٢٧) .

فهم الواقع وملابساته

يعد الاختيار بين درجات متفاوتة من المفاسد تحديا آخر ، يواجه الفقيه الحق ، إذ بوسع أي أحد أن يرفض المفاسد جملة ، مما قد يرتب حرجا أكبر ، أو مفاسد أعظم ، وحتى يحسم الفقيه ذلك الخيار فهو مطالب ليس فقط بالتمكن من الأدلة الشرعية ، ومعرفة أسرارها ، ولكنه مطالب أيضا بفهم عميق للواقع وملابساته . ولابن القيم - صاحب إعلام الموقعين - رأي سديد في هذا الأمر ، يقول فيه : إن النبي صلى الله عليه وسلم ، شرع لأمته إنكار المنكر ، ليحصل بإنكاره من المعروف ما يحبه الله ورسوله . فإذا كان انكار المنكر يستلزم ما هو أنكر منه وأبغض إلى الله ورسوله ، فإنه لا يسوغ إنكاره ، وإن كان الله يبغضه ، ويمقت أهله .

ويضيف ابن القيم أن من تأمل ماجرى على الاسلام في الفتن الكبار والصغار رآها من إضاعة هذا الأصل ، وعدم الصبر على منكر ، فطلب إزالته ، فتولد منه ما هو أكبر منه ، فقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يرى بمكة أكبر المنكرات ولا يستطيع تغييرها ، بل لما فتح الله مكة ، وصارت دار إسلام ، عزم على تغيير البيت ، ورده على قواعد ابراهيم عليه السلام ، ومنعه من ذلك مع قدرته عليه ، خشية وقوع ما هو أعظم منه ، من عدم احتمال قريش لذلك ، لقرب عهدهم بالاسلام ، وكونهم حديثي عهد بكفر .

ومن الأمثلة التي يضربها في هذا الصدد قوله : إذ رأيت الفساق قد اجتمعوا على لهو ولعب ، فإن نقلتهم إلى طاعة الله فهو المراد ، وإلا كان تركهم على ذلك خيرا من أن تفرغهم لما هوأعظم منه . وكما إذا كان الرجل مشتغلا بكتب المجون ونحوها ، وخفت من نقله عنها إلى كتب البدع والضلال والسحر ، فدعه وكتبه الأولى .

ثم ضرب مثلا بموقف ابن تيمية في زمن التتار ، إذ مر وبعض صحبه على جند منهم ، يشربون الخمر ، فأنكر عليهم صاحبه ذلك ، ولكن ابن تيمية استنكر موقف صاحبه ، وقال له : إنما حرم الله الخمر لأنها تصد عن ذكر الله وعن الصلاة ، وهؤلاء يصدّهم الخمر عن قتل النفوس وسبي الذرية وأخذ الأموال ، فدعهم على حالهم .

السكوت على عبادة العجل !

وفي القرآن الكريم يذكر الله تعالى في قصة سيدنا موسى عليه السلام أن أخاه هارون سكت على عبادة قومه للعجل الذي صنعه لهم السامرى ، وفتنهم به ، حتى يعود موسى ويفصل في الأمر ، وفي هذا يذكر القرآن حوار الاثنين كما يلي : « قال ياهارون ما منعك إذ رأيتهم ضلّوا ، ألا تتبعن أفعصيت أمري ، قال يا ابن أمّ لاتأخذ بلحيتي ولا برأسي إني خشيت أن تقول فرّقت بين بني اسرائيل ولم ترقب قولي » (سورة طه ٩٢ - ٩٤)

ولم يعترض موسى عليه السلام على احتجاج أخيه بهذا العذر ، مما يدل على إقراره وموافقته ، وليس شيء أعظم من السكوت على عبادة عجل ذهب من دون الله (حفاظا على وحدة القوم) ، ولكنه سكوت موقوت ، لاعتبار مقبول ، وذلك من الحكمة وبعد النظر .

ومثل هذا العمق في التقدير والنظر لايتوفر لكل أحد .

* ما مات أحد في حب أمة حتى أحبته . (جمال الدين الأفغاني)

وجبة علمية خفيفة



طابور الجياع يتقدم

بقلم : فوزي [illegible]

طابور طويل طويل من الجياع ، بين طفل عاري [illegible] قد شاب شعره، وانبعج بطنه ، وبرزت عظام صدره ، ورجل [illegible] يحاول جاهدا أن يشق طريقه عبر تلك الهياكل العظمية ، [illegible] كفه في تضرع صامت طلبا لحفنة من الدقيق أو كسرة من الخبز ، [illegible] يبحثون في التراب ، [illegible] يعثرون على بعض حبات القمح المتناثرة بين شقوق تلك الأرض الجدباء القاحلة التي اختلطت فيها رائحة الجفاف برائحة الموت ، ويتقدم الطابور، ويتساقط ألوف من الضحايا .

مع طلوع أول شعاع للشمس يتساقط [illegible] يوم - أكثر من مائة ألف إنسان من [illegible] يودع الحياة مليون ثمانين ألفا [illegible] بأمراض سوء [illegible] يقضي [illegible] آخر من البشر حياتهم [illegible] الجسماني والعقلي الناتج عن الجوع المزمن .

كما تتمثل مشكلة الغذاء بالنسبة لحوالي ٤٠٠ مليون نسمة في عدم حصولهم على القدر الكافي من السعرات الحرارية اللازمة للجسم .

وقد وصلت قمة المأساة في السبعينيات حينما تأثر أكثر من ٤٥٠ مليون إنسان بالمجاعة ، وقد ورد في تقرير أخير للجنة « برانت » عن الشمال والجنوب أن هناك ٨٠٠ مليون نسمة في العالم الثالث لا يجدون طعاما كافيا .

كما تؤكد مصادر الأمم المتحدة وجود حوالي ٥٠٠ مليون نسمة يعانون من نقص التغذية ، ومثلهم

المساعدات والقروض من الدول المتقدمة فيقل اقتصادها بالديون التي قدرت عام ١٩٨٣ بحوالي (٦٠٠ ـ ١٠٠٠) مليار دولار . ولعل أطرف الأمثلة عما تفعله المعونات الخارجية هو قصة صندوق النقد الدولي مع مصر في الفترة من عام ١٩٧٨ إلى ١٩٨١ ، فقد كان هدف « الصندوق » المعلن هو إخراج مصر من أزمتها الاقتصادية ، بيد أنه ـ من واقع الدراسة التي أجراها معهد التخطيط القومي المصري ـ ظهر أن « الصندوق » دخل مصر عام ١٩٧٨ وهي مدينة بمبلغ ٨٠٠ مليون دولار ، وخرج منها عام ١٩٨١ وهي مدينة بأكثر من ١٨٠٠٠ مليون دولار ، أي أن كل مواطن مصري قد أصبح مدينا عالميا بحوالي ٤٤٢ دولاراً ، بينما دخل الفرد لا يتعدى ٤٦٠ دولار في السنة . . وهكذا تقفل الدائرة تماماً ، مما يزيد الأمر سوءا على سوء .

غذاء الكلب ، وغذاء الانسان

إن المتتبع لسيل الكتابات الغربية ، وكثير من الأقلام في العالم الثالث يلاحظ مقدار ما توليه تلك الكتابات لزيادة السكان في الدول النامية ، وعلاقة ذلك بالمشكلة الغذائية ، حيث يدعي (نيجيل هاريس) في كتابه « كيف نطعم البلايين الجوعى في العالم ؟ » أن الطريقة الوحيدة لايقاف المجاعة تكمن في منع الانجاب كلية ولو بالاجبار ، غير أن التحليل العميق ، يؤكد أن المشكلة السكانية ليست بهذا الحجم الذي تضخمه الكتابات الغربية ، كما أن هذا العامل ليس وحده مسئولا عن الأزمة الغذائية ، حيث تتداخل إلى جانبه عوامل أخرى ، بعضها قد يكون أكثر خطورة .

وفي ذلك يقول المفكر الفرنسي المعاصر (رجاء جارودي) : « من العار أن نسمع المؤتمر السكاني في (بوخارست) يقول فيما يتعلق بالسكان : ان الزيادة في عدد سكان العالم الفقير هي سبب مشاكل الجوع ، ونقص الغذاء ، وأن تحديدهم للنسل سوف يجنب العالم مشاكل الجوع في الوقت الذي نعرف فيه أن فلاحا باكستانيا أو هنديا يستهلك أقل مما يستهلكه زميله الأمريكي في (كاليفورنيا) بأربعمائة مرة ، وهذا يعني ببساطة أن عشرة آلاف من المواليد الأمريكيين أكثر خطورة على التوازن الغذائي العالمي من أربعة ملايين من المواليد الباكستانيين أو الهنود . والمسألة ليست في تحديد النسل كما طلب المؤتمر ، لأن الداء قائم في أسلوب النمو الاقتصادي الموجود في الغرب ونمطه ، بينما يكمن الدواء والحل في ضرورة تغيير تصرفات العالم الغربي وأهدافه » .

وهاهي الدراسات تؤكد ارتفاع مستوى الوجبة الأمريكية مقارنة بغيرها في العالم ، بحيث لو أخذت هذه الوجبة الغذائية في الاعتبار لوجدنا أن كل مصادر الغذاء في العالم لا تكفي إلا لتغذية ثلث سكان العالم فقط .

وقد علق أحد علماء التغذية قائلا بأن ما يستهلكه ٢١٠ مليون أمريكي من غذاء يمكن أن يتغذى عليه « ١,٥ بليون » صيني ، حسب متوسط التغذية في الصين ، وليس بغريب عندئذ أن تتهم الدول المتقدمة بأنها لا تستخدم مصادرها الغذائية بالطرق الفاعلة ، فاستهلاك الأمريكي للحبوب يتمثل في تحويلها إلى ماشية ودواجن ، وقد وصل استهلاك اللحوم إلى درجة مرتفعة ، تزيد عن الاحتياج الجسماني ، ولعل الكاتب الانجليزي (نيجيل هاريس) في كتابه « الخبز والمدافع » يزيد هذه النقطة وضوحا عندما يقول : إن جزءاً واحدا من عشرين من كمية الحبوب التي أطعمتها الدول الأكثر نموا لمواشيها كانت كافية لانقاذ أولئك الذين هلكوا من الجوع في بلدان العالم الثالث .

والأغرب من هذا أن ما يأكله كلب عند عائلة أمريكية أو أوروبية مثلا يبلغ ثلاثة أضعاف ما يأكله إنسان في بعض نواحي الهند أو بنجلاديش ، وفوق ذلك يكون غذاء الكلب متزنا حاويا على جميع العناصر الغذائية ، بينما غذاء الانسان . فضلا عن قلة كميته ـ غير متزن في عناصره الغذائية .



والآن نستطيع ـ في ضوء هذا الاستعراض المبسط لجوانب المشكلة الغذائية ـ التوكيد على مجموعة من الحقائق المجردة :

لا شك أن واقع الجفاف والتصحر في الدول النامية يشير إلى فعل الظواهر الطبيعية ، إلا أنها من صنع الانسان سواء المتقدم المستغل أو النامي المقهور .

إن للمشكلة الاقتصادية العالمية دورا لا يمكن إغفاله ، وعندئذٍ يجب أن نسلم بالدور غير المنصف للدول المتقدمة .

لا يمكن أن نخلي أسلوب الادارة والحكم في بلدان العالم النامي من مسئولياته ، خاصة ما يتعلق بالتسليح .

لا نستطيع أن نهمل تماما دور الزيارة السكانية ، لكن دورها ليس بهذا الحجم الذي تضخمه الكتابات الغربية ، غير أننا يجب أن نعترف أن العالم يواجه أزمة غذائية حقيقية ، وأن على العالم أن يحقق زيادة في إنتاج الغذاء ، تصل إلى ١٥٠٪ في الدول المتقدمة و ٢٠٠٪ في الدول النامية من كمية الانتاج الحالي ، ومن ثم فإن زيادة عدد الهياكل العظمية الحية في العالم الثالث ـ في ظل الظروف الحالية من نقص الموارد الغذائية ـ يعتبر وضعا لا يمكن التعاطف معه على طول الخط ـ وبالتالي يصبح أحد الحلول المتواضعة ضرورة التركيز على نوعية البشر ، لتعويض خفض الأعداد ، على أن يتم ذلك عن قناعة دونما إجبار .

ضرورة الايمان ـ جديا ـ بدور العلم في مواجهة زحف الجياع .

وفي ذلك يقول « نيجيل هاريس » إنه على الرغم من أن العلم لم يسبق أن ووجه بمثل هذا التحدي ، لكننا من جهة أخرى نجد أن العلم لم يكن من قبل مسلحا بكل تلك الأسلحة التي أصبح من الممكن استخدامها لمحاربة الجوع ، وهو ـ بلاشك ـ التحدي الأكبر الذي يواجهنا ، ولن يتأتى لنا ذلك إلا بالادارة الجادة ، والعمل الدءوب المخلص .

وتلك هي المشكلة . . !! □



الخوف

قصة قصيرة بقلم : محمد عبدالملك

جاء الموظف هـ . م . ن الى العمل هذا الصباح وهو مضطرب للغاية . . تناول كوب شايه على عجل ، ووضع السيجارة من مقدمتها في فمه ، وأشعل عقبها ! . . ثم اعتذر ! . . وتمتم ! . . ولم يكن هناك أحد في المكان ! . . كان وحده يلفه صمت شتائى مبكر . . وكانت الغيوم تغطي السماء من خارج النافذة الزجاجية . . ومن ثم عاد وأشعل سيجارة أخرى . . وكان عليه أن يبحث قبل ذلك عن علبة الكبريت التي وجدها بعد بحث طويل ملقاة أمامه ! . . كان الموظف هـ . م . ن قد أمضى ليلة مضنية في فراشه ، يصغى الى نداء خفى مجهول ، وقد حدث نفسه طوال الوقت . . وكاد يوقظ زوجته عدة مرات ثم لم يفعل ، وكان على أمل أن يزوره النوم وتهرب من مخيلته تلك الخيالات المخيفة . .

وفي النهاية أدركه الصباح . . وأدرك هـ . م . ن أنه لم يمت الليلة الماضية كما توقع ، أو كما خيل له ذلك النداء في الليلة ذاتها اعتقد هـ م ن أنه لو أغمض عينيه فانه لن يفتحهما ثانية . ورغم ذلك حاول النوم لكن دون جدوى ! . . ولم يعبأ بنداء زوجته التي طلبت منه ان يخلع « البيجامة » قبل ارتداء البدلة ! . وان يمشط شعره بعناية قبل الخروج . . وان يعيد فرشاة الاسنان التي تركها فوق سريره الى الحمام ! . وان يشرب كوب الشاي على

مهل فما زال الدخان يتصاعد منه ، والساعة مازالت قبل السادسة ، والدوام يبدأ بعد ساعة فما الداعي لكل هذه العجلة ؟! . . وفي صالة البيت المظلمة التي لا تزورها الشمس جلس هـ . م . ن يفكر . . تأمل بدلته الرمادية الوحيدة التي اشتراها ليلة عرسه قبل عشرة أعوام قبل أن ينتشله صوت زوجته : وهي تلقي عليه تحية الصباح .

وكانت تبتسم لتخفف من عبء الهموم التي أنبأتها عنها حدة عينيه واضطرابه ، وكان كل ما فعله هو التفاتة ، التفاتة صغيره فحسب ، اذ لم يستطع حتى الآن أن يرتب تفكيره ، فمازال الوقت مبكرا . . لم يذهب الليل بالمرة ولم يأت النهار . . ثم انه بحاجة لاستعادة ماحدث الليلة الماضية ! وكانت زوجته تربت على كتفه فيقفز ثم يجلس ثم ينهض ويعيد نظارته الى مكانها ويتمتم ، وبالكاد يسمع صوت زوجته :

ـ هل تشعر ببرد ؟!

وفي اضطراب وهو يحاول أن يحتوي ارتباكه كرر عدة مرات . .

ـ أتظنين ذلك ؟!

ـ لست على مايرام !

ـ ابدا ! . . ابدا !

ـ جسدك في ارتعاش !

ـ لاأعلم ! . . ربما . . ! . . أرتجف ! . . أبدا

وفي الحال احضرت مقياس الحرارة فشعر بالخوف . . لم تكن أوهاما فحسب ! . . انها حقيقة تتحول وتتجول في رأسه وجسده في الليل والنهار . . وهي تنبئه بالنهاية بأشكال مختلفة ! . . وحين نزعت زوجته مقياس الحرارة من فمه سمعها هذه المرة بوضوح تقول :

ـ أوه ! . . يجب ان تسترخي في السرير !

لكنه جمع قواه وقال :

ـ لابأس ! . . لابأس !

ـ هل ستداوم هذا النهار ؟

ـ بلا شك فالمدير الجديد صارم شأن المدراء الجدد . . ثم انى لم أتغيب عن العمل منذ عشرين عاما .

حين لفظ « عشرين عاما » تذكر الاقسام التي تنقل عبرها ينشد الترقية دون جدوى . . رأى أترابه ينتقلون من مقعد خشبي صغير الى مقاعد جلدية كبيرة تدور . . من غرف عارية الى غرف مفروشة ومزروعة بالورود والرياحين . . أصبحوا مدراء ومراقبين ومشرفين من ذوى الأمر والنهي والوجاهة . .

وهـ . م . ن لم يتغير . . تحركت السنين ودارت الكواكب والافلاك والنجوم وهو لم يتحرك . . تغيرت المباني والازمان والبشر ، والطقس تغير ، واللغة ، والبحر ، والصحاري والمركبات تغيرت ، وهو لم يتغير . . دارت الحياة من حوله كما تدور الكرة الارضية حول الشمس ، وظل في محوره ينظر الى الدنيا الجديدة مدهوشا ويدور معها . . وفي دورانه كان رأسه يدور،فوتيرة دوران الحياة اسرع من حركته في المراقبة،حتى بات يشعر بالاعياء والسقوط في أي لحظة ! . . ظل هـ . م . ن . هو نفسه . . موظفا شديد الحساسية . . بالغ الخجل ، لا يدخن أمام النساء،لايضحك أمام غريب،ولايصدر أمره حتى للفراشين ، وذلك ما أساء الى سمعته في العمل ، عجزه عن الأمر ، تردده في اتخاذ القرار . . وخوفه . . وارتباكه . . وقد سمع بأذنيه هاتين رئيسه في العمل يقول لزميله ، هـ . م . ن ضعيف ! صحيح انه طيب الى أبعد حد . . صحيح انه مخلص في عمله ، لكنه شديد الخجل . . منطو ويرتبك لأتفه الأسباب ، والمراكز القيادية تحتاج الى الثقة والقوة والأوامر ! . . هكذا وجد هـ . م . ن . نفسه مأمورا منذ أن ولدته أمه ، وجاء الى هذا الكون ، حتى تزوج ، وحينما تزوج كانت زوجته تأمره . . في البداية انتظرت صدور الأوامر منه . . باتت تتمنى أمرا واحدا فحسب ، وحين يئست بدأت هي تصدر الأوامر . . وحتى أطفاله تعلموا كيف يصدرون الأوامر له هو نفسه ! . . لكنه لم يحرك ساكنا . . لم يغير طبعه ، وربما كان الأمر خارج ارادته ، فـ .

هـ . م . ن . كان منطويا ، وهو يحب الحيوانات ويرأف بحال الفقراء . . وحين يشاهد شحاذا في الطريق يذرف دموعا حقيقية تسقط على الأرض ! . . وفي هذه الحالة ، وقبل أن يمسح دموعه بكم معطفه القديم ، يكون قد أخرج كل ما في جيبه بما في ذلك القطع النقدية الصغيرة ، ومصاريف البيت ناسيا وعيد زوجته وتهديدها له بالطلاق على هذا العمل الأحمق !

وتيقن هـ . م . ن . هذه اللحظات بأنه في العمل ، وحاول ان يتذكر كيف قطع المسافة من البيت الى الوزارة غير عابىء بالأمطار والبرد ، وتذكر انه لم ينظف حذاءه المتسخ بالماء والطين ، وقد عبر الاشارة الضوئية الحمراء ! وكادت شاحنة ضخمة كبيرة تلتهمه في الطريق . .

وتذكر انه لم يرتبك من عبور الشاحنة السريعة ، كان مشغولا بالخوف ! . . الخوف الذي داهمه ليلة البارحة . . واستمر معه هذا الصباح . . وتابع خطاه الى الوزارة . . الخوف الذي توارثه منذ الولادة ، وفي عمر الشباب ، وربما ورثه عن أبيه وجد جده . . الخوف ذلك الكائن الذي لايمكن السيطرة عليه لصعوبة معرفته . . وسهولة مروره الى القلب كمرور الهواء في الرئة . . وركبته الهواجس . . وفكر كيف سيتعامل مع الأرقام والبشر والمعاملات وهو على هذه الحالة من الاضطراب ؟! . . وفكر أن يجيز نفسه من العمل هذا اليوم ، ولكن ماذا عن الأيام القادمة ؟! . . سينال جزاءه بالحتم ! . . اذن يجب ان يقطع دابر الخوف والهواجس من الأساس ! وقبل أن يتفاقم الأمر ، فمازال في البداية ! . . ولكن كيف ستمضي به الأمور وهو في قسم المحاسبة وأي غلطة صغيرة كفيلة بقطع راتبه ؟! . . ومن يعلم قد يكون في ذلك قطع رزقه ! . . واعترته الهواجس من جديد ! . . هل يعود ادراجه الى البيت وقد وقع ورقة الحضور ؟! هل يبقى في مقعده وقد حان موعد حضور الجميع ؟! . . وتمنى هـ . م . ن . ألايأتي أحد . . أن يبقى وحده كما هو مع المقاعد والجدران والورق . . وحده بلا عين تلحظه أو رقيب يحسب حركته ، لكنه سمع وقع خطوات قادمة ، وتلقى أول تحية صباحية ردها على عجل ، وبفزع وكأنه يريد الخلاص من الحديث ، ثم طلب القهوة . . وفتح رباط عنقه ، وأشعل سيجارة بطريقة سليمة هذه المرة . وتقاطر الموظفون ، وعمت الحركة ، ودارت فناجين القهوة ، وتبادلوا الحديث في الطقس والبرودة والمطر ، وتذكروا حر الصيف ومباريات كرة القدم وسباق الخيل ، وفتحوا راديو ترانزستور صغيرا واستمعوا الى اغنية هابطة ، ثم فتحوا لفافات الأكل واللب وعلب المشروبات الغازية ، وبدرت ضحكات خفيفة ، وهمسات . . وبدأوا يستقبلون الصباح بمرحهم المعهود . . وكانوا جميعا اصغر منه بأعوام ولم يمنعهم ذلك من التندر عليه . خاصة حين يرتبك أمام المدير في جولاته التفتيشية . . واحيانا كانوا يتحدثون عن معطفه ، وساعة جيبه ، وطريقة تدخينه ، وخجله أمام البنات وتيقن هـ . م . ن . أن لا مفر من مواجهة الموقف بحزم وارادة ! . . كل ما عليه هو النسيان . . والا يتذكر ماحدث البارحة وهذا الصباح . . والايفكر في المستقبل بالمرة . . وألا يوزع راتبه في عقله آلاف المرات . قرر هـ . م . ن . أن يعيش بعفوية وأن يجوع بعفوية . . وأن يموت بعفوية ! . . فقد يكون ذلك اجدى ! . . وقد تنتهي مشكلته . . وفكر هـ . م . ن . وقرر الايفكر ! وجاء الى القسم شيخ الفراشين ثاني خميس جمعة ، يحمل ورقة جمع تبرعات لعلاج موظف مريض فأخرج هـ . م . ن . كل ما في جيبه ، وكتب في جدول الأسماء فاعل خير ! . . وسحب سيجارة أخرى وطلب القهوة من جديد ، وبدأ يستقبل المتعاملين ويسلم أوراقا ويتسلم ، ثم نهض وقال نكتة ! . . وضحك وحده ! ثم ضحك عليه الجميع ! . . ثم ابتسم ابتسامة صفراء ، كان فمه

عاجزا عن الالتئام ، وكأن جرحا طريا قد ألم به . . كما كان عاجزا عن الاستمرار في الحديث ، لكنه افتعل اللامبالاة وضحك . . ضحك دونما سبب ظنا منه انهم مازالوا يضحكون ، فضحكوا من جديد عليه ، ضحكاً جماعياً ، همجياً ، منطلقا ، وكان معطفه يتدلى من الجانبين . . ولم يسعفه الوقت للجلوس أو التفكير حيث فاجأه ثاني خميس جمعة برزمة من الورق احتوت على فواتير الكهرباء والماء والهاتف مع انذار بالقطع ! . . واخطار عن اهمال في العمل ! . . ودعوة من المدير لحضوره الى المكتب على عجل . . وكشوفات آخر الشهر ! . . واضطرب من جديد ! استقر على مقعده ، وكاد يغوص في المقعد ، ارتخت مؤخرته على حافة المقعد ، وغاص رأسه في كتفه ، ودخل كتفه في صدره ، وسقط بطنه بين فخذيه ! كان هـ . م . ن . يبدو كعجينة متحركة الأطراف ! ثم عاوده الخوف . . الخوف ! . . وفكر دون أن يفكر : ماذا لو عبرت جسده الشاحنة الكبيرة هذا الصباح ومات ؟! ماذا لو توفي بالسكتة القلبية ؟! ماذا لو فصل من العمل ؟! وسمع هدير ضحك مجاور فاستيقظ ، ظن انهم يضحكون عليه ! . . وربما كان يفكر بصوت مسموع . . ثم ان هيئته في حد ذاتها مدرة للضحك ! . . ودخلت القسم فتاة في مقتبل العمر ، فتذكر يوم زواجه وكيف كان في غاية السعادة مليئا بالتفاؤل فلم يفكر كيف يدخر الفلس الأبيض لليوم الأسود ! . . وأي يوم أسود ؟! . . كانت الشمس ما تزال خلف الغيوم تلد السواد والحزن والسكون . . ورأى مطرا يضرب بهدوء وجه نافذته فتحسر على اشياء لايذكرها . . وشعر بانه سيغادر هذه الدنيا الجميلة . . وحاول ترتيب افكاره من جديد . . وأن يستعيد آماله الشاعرية التي كانت تحتويه بسعادة عند نزول المطر أول كل شتاء . . كان المطر مؤلما كالنزيف ! . . وكان هـ . م . ن . يدخن سيجارة عاشرة ، ويشرب كوبا خامسا من الشاي الأحمر ، ويزيح معطفه عن صدره رغم برودة الطقس ويفكر ! ثم مال لونه للاصفرار ، وازداد ارتباكه في العمل ، ورن جرس « التليفون » كان سكرتير المدير يستعجل حضوره ! . . ثم نال توبيخات بالجملة ! وانذارات متلاحقة ! وتكررت اخطاء كبيرة في الحسابات ! وازداد خوفه ، أصبح هـ . م . ن . يخاف الخروج من البيت بعد العمل ! ويخاف الذهاب الى البيت بعد العمل ! ويخاف مذيعي نشرات الانباء ، والفواتير المندسة تحت الباب ، ويخاف الخوف ! أصبحت الحياة خوفا في خوف ، توارثت نفسه الخوف ، أصبح الخوف يلازمه في كل مكان ، وفي كل خطوة فقد تزل قدمه وتبتلعه المجاري العميقة ، أو يتوقف نبض قلبه ، وربما تطارده الشاحنات الضخمة لتمر على جسده دون رحمة ! ، ثم رأى جسده مهروسا مع عظامه ، ثم رأى زوجته تنعاه . . ثم كان منقولا على نقالة ! ولم يكن ثمة وقت استراحة من الخوف . فكل خوف يهيىء لخوف أكبر ! وكل لحظة تلد آلاف الاسباب للخوف . . أصبحت الحياة خوفا في خوف في خوف،بعد أيام نُقل هـ . م . ن . الى مستشفى الأمراض النفسية والعصبية . اعطوه رقما . . وسريرا ابيض باردا ، وشراشف بيضاء باردة وغرفة بيضاء باردة ، وارسل تقريره الطبي الى الوزارة مباشرة في ظرف سري يقول : السيد هـ . م . ن مصاب باكتئاب نفسي شديد نتيجة لضغوط متنوعة ، ولعدم شعوره بالأمان . . وسيكون تحت الرعاية الطبية الدقيقة . كما وان شفاءه رهن بزوال مسببات المرض ، وفي غرفته العالية السقف كان البلاط الابيض يشعره بفكرة طرأت له فجأة ، فبات يعتقد انه محاط بكفن ابيض فضفاض ! . . واستطاع معطفه القديم الداكن المركون على شماعة فقط اخراجه من هذا التصور ، فاستذكر كفاحه الطويل وسعيه المر في الحياة . .

ولم يأت أحد لزيارته باستثناء زوجته وأولاده . □

بقلم : محمود المراغي

المائدة العربية ..
والأطباق متعددة الجنسية

تقول التوقعات ان الشرق الأوسط سوف يصبح أكبر مستورد للغذاءفي العالم كله خلال سنوات قليلة ، أي أن بلدان العالم كلها ـ وبدرجات متفاوتة ـ سوف تصبح قادرة على توفير قدر اكبر من غذائها . . ويتخلف عن ذلك مجموعة أساسية هي : المجموعة العربية . . ويقولون : إن اخطار هذا الوضع قد لا تتمثل في العبء المالي المترتب على ذلك ،لكنها تتمثل في الأزمة التي تنشأ حين يقل المعروض من الغذاء بشكل عام وحين يصبح تداوله أمرا عزيز المنال ، ويدخل في باب الاستراتيجيات العليا التي تحدد : لمن نعطي . . . وعمن نمنع ، فيكون العطاء لدوائر تابعة لهذا المركز أو ذاك ، ويكون المنع عن الذين يرفضون التبعية .

المقدمات والنتائج تحوي قدراً كبيرا من الاثارة ، فالأرقام تقول إن استيراد البلدان العربية من المواد الزراعية قد تضاعف ثلاث مرات بين منتصف السبعينيات واوائل الثمانينيات . كان حجم الاستيراد (٨) مليارات دولار فأصبح (٢٣) مليارا طبقا لما اذيع في ندوةالبحوث الزراعية التي عقدها اخيرا الصندوق العربي للانماء والمركز الدولي للبحوث الزراعية في المناطق الجافة .

الأرقام مثيرة ، فالاحتياجات تضاعفت ثلاث مرات في أقل من عشر سنوات . . والغذاء وحده يحتل ٥٦٪ من مجمل هذه الواردات ، واللحوم تحتل ثلث القائمة . . بينما تحتل الحبوب النصف .

في التحليل تقول إن الزيادة السكانية تلعب دورا ، لكنه دور محدود فالسكان لا يزيدون بهذا القدر ، بل إن زيادتهم لا تتجاوز الـ (٣٠ ـ ٤٠) بالمائة خلال عشر سنوات .

هناك اذن أسباب اخرى ، من بينها تزايد الأسعار ، و بينها تزايد الدخول والاستهلاك في المنطقة العربية ، وهو ما يفسر أن تحتل مجموعة اللحوم هذا المكان البارز في قائمة الاستيراد . . ثم . . وهو الأهم هناك ضعف الانتاج الزراعي . صحيح أن بعض المناطق العربية قد تعرضت للجفاف ، لكن هذه المناطق تشمل كل السنوات ، ولم تشمل غالبية البلدان .

إن عنصر الجفاف قائم لكنه ذو اثر محدود .

القضية اذن تتعلق بهيكل الاقتصاد العربي . . وماذا يفرز ؟ وماذا يقدم للمستهلك ؟.

●● هذه الأولويات المختلة

طبقا لأرقام نفس الندوة فان المتاح زراعته حاليا في الوطن العربي لا يتجاوز ٤٪ من مساحة البلدان

العربية . . أي اننا نعيش في صحراء شاسعة تتخللها بقع خضراء ، وعند الحديث عن هذه البقع ـ وبخلاف المراعي والغابات نجد أن (١٦) بالمائة تقريبا تتوافر له نظم الري . . (٨٤) بالمائة يعيش على المطر .

نحن إذن نعيش الخطر ، ولم تستطع آلاف السنوات من الخبرة الزراعية ، ولم تستطع آلاف الملايين من الدولارات التي نجنيها من أنشطة اخرى أن تحدث التغيير المطلوب ، أو تزيد مساحة اللون الاخضر او تساعدنا على اللحاق بالنمو السكاني .

والوضع خطير لان جهدا لا يبذل لتخطي الأزمة ، والعودة للاعتماد على الذات في أبسط السلع : رغيف الخبز !

لقد تغنى شعراء العرب بوادي النيل ، ووادي الفرات ، والمروج الخضر في ربوع الشام واليمن ، وحدائق المغرب الغناء ، فهل اصبح كل ذلك دون المطلوب ؟

الاجابة بالأرقام : نعم

والاجابة بالارقام تضعنا على حافة الحقيقة دون الخوض في قلبها لان متغيرات القرن الواحد والعشرين ، والسباق الدائر بين الموارد وزيادة أعداد البشر ، وتراجع ظروف البيئة وأثره على الانسان والنبات والحيوان كل ذلك يصعب قياسه في الوقت الراهن ، لكن الأكيد أن السباق بين النمو الزراعي بشقيه : النبات والحيوان . . وبين النمو البشري بما يعنيه من زيادة في الاعداد ، وارتفاع في مستوى الاستهلاك . هذا السباق ليس لصالح الانسان العربي .

أما اذا سألنا عن السبب فسوف يقول الخبراء ندرة في الماء وندرة في الأرض الخصبة . . وسوف يزيدون أن اطراف المنطقة العربية ينحسر منها اللون الاخضر الذي عاش آلاف السنوات ، فالتصحر ظاهرة تسري وتبدي اثرها .

ولكن . . اليس من اسباب اخرى أكثر الحاحاً ؟

اظن أن السبب الرئيسي أو المتغير الرئيسي الذي نستطيع أن نتحكم فيه هو : سلم الأولويات العربية . . اننا نستورد من السلاح ما يزيد عن وارداتنا من الغذاء . . ننفق على بناء المدن اكثر مما ننفق على اقامة المزارع . . تتعجل الزيادة في الاستهلاك بأكثر مما نتعجل الزيادة في الاستثمار ، وانتظار عائده . نحن نفكر بعقلية اليوم ، وننسى في كثير من الأحوال احتياجات الغد .

وخلال ذلك تظهر التناقضات : بلدان عربية زراعية تستورد الغذاء . . حتى اصبحت المائدة العربية في كثير من الاحوال مائدة اوروبية امريكية ـ استرالية . . حتى التكامل العربي لم ننجزه لتصبح وارداتنا العربية البسيطة . . عربية ايضا . . يستوى في ذلك الفقراء والاغنياء ، بلدان الوفرة الزراعية وبلدان الندرة الزراعية فالكل يستورد . . مناطق الجفاف ، والمناطق التي كانت في موقع العطاء .

●● علم الاختيار

المهمة عاجلة . . علينا أن نواجه ذلك ، واولى خطوات المواجهة الرجوع الى البديهيات . . فاذا كان التخطيط هو علم الاختيار بعد التنبؤ،واذا كان القرار السياسي هو اختيار مصير امة وطريقة عيشها . . فان المهمة الاولى لمتخذي القرار في الوطن العربي أن تأخذ الزراعة وأن يأخذ الغذاء أولوية في الاهتمام .

بعد ذلك سوف تبقى معضلة اسمها : الريف والمدينة ، فحين يكون الاهتمام الاول بالمدينة ، وحين تشجع أنشطة الدولة نزوع الافراد للهجرة الى المناطق الحضرية ، وحين تكون الفروق في مستوى المعيشة ، ومستوى الرفاهية ، ومستوى الثقافة واضحة جلية بين القرية والمدينة ، بل وحين يضطهد الاقتصاديون الانتاج الزراعي ليأخذوا منه « الأكثر دائماً ويعطوه الأقل دائماً » في الأسعار والدعم والرعاية ، حين يحدث كل ذلك ، هل نتوقع حماسا واقبالا على العمل في قطاع الفلاحة ؟ □



رؤية فنية لما بعد الموت..

بقلم : ابو المعاطي ابو النجا

كانت « فكرة ماذا بعد الموت » ـ ولاتزال ـ تستهوي وتجتذب أقلام المفكرين والفنانين والأدباء منذ مختلف الأزمنة .

فالسؤ ال « ماذا بعد الموت » ؟ وكيف ؟ كامن في أغوار العقل الانساني كمون الحياة ذاتها ، تتحدث الأديان ، ويكتب الفلاسفة والمفكرون والعلماء ، ويتخيل الادباء ويرسم الفنانون ، لكل نقطة انطلاقه ، ولكل منهجه وادواته ولكل غايته ومتلقيه ، ورغم أوجه الاختلاف هذه ، فان جوهر الخبرة الانسانية التي يقتربون منها ، ويحاولون اكتناه سرها العميق ، واحد ، مثلما الانسانية واحدة ، فالذين يبحثون عن معنى الموت وماذا بعده ، انما يبحثون في الوقت ذاته عن معنى الحياة ، وماذا ينبغي أن تكون ؟ وهم ـ قصدوا أولم يقصدوا ـ متأثرون في بحثهم عن معنى الموت بفكرتهم عن معنى الحياة ، وخبرتهم بها ، بعمق هذه الفكرة وهذه الخبرة .

بعضهم قصد بتصوير مايجري بعد الموت مجرد التعليق على ماجرى في الحياة ، هناك من اختار أسلوب التهكم والسخرية والمفارقة ، وهناك من قصد التماس الحكمة والعبرة ، هناك من حلق بجناح الخيال والاسطورة،وهناك من استوحى الموروث الديني ليكون اطارا ينسج خلاله رؤيته الخاصة عن الحياة ، وكيف ينبغي أن تعاش وتمارس ، ومن هذا النوع الاخير عبد الحكيم قاسم في روايته الأخيرة « طرف من خبر الآخرة » .

عن الكاتب وتجاربه

عبد الحكيم قاسم روائي عربي من مصر قدم لنا في الستينيات روايته الاولى التي لفتت إليه الانظار بقوة ـ « أيام الانسان السبعة » ثم تابع بعدها ـ قبل وأثناء هجرته الى المانيا خلال السبعينيات لمدة عشر سنوات ـ تقديم رواياته « محاولة للخروج » و « المهدي »،«وقدر الغرف المقبضة » بالاضافة الى مجموعاته القصصية ، ومن قرأ هذه الاعمال سوف يلمس في بعضها على الاقل ، وبخاصة في روايته الاولى تأثير التراث الديني والشعبي الواضح في اختيار الكاتب لمادة روايته،وهو تأثير يمتد الى روايته الأخيرة ، مع أن الرؤية التي تحملها هاتان الروايتان هي في صميمها رؤية عصرية عقلانية ، تنزع نحو الروح العلمي الا انه نزوع لاتضعف معه الصلات بين تلك المناطق المجهولة في الذات الانسانية ، والتي لاتزال نعتمد في التعرف عليها على الحدس الفني ، وبين تلك المناطق التي يلقي عليها علم النفس الحديث،وعلم الطب النفسي الكثير من أضوائه ، ويكاد يخضعها للبحث والتجريب .

رواية أم مجرد نص أدبي

قد يختلف النقاد حول تحديد هوية هذا العمل الأدبي « طرف من خبر الآخرة » فيرفض البعض اعتباره رواية بالمعنى أو المعاني المعروفة للرواية ، ويقولون ان الطابع الفكري الحاد ، وشكل الحوار في الفصلين الثالث والرابع « الملكان » ، و« الحساب » يجعلان من هذين الفصلين ، حلقتين من حلقات الدرس والمناقشة اكثر من كونهما فصلين في رواية فنية ، وقد يتحدثون عن ضعف الصلة العضوية بين الفصول « الثاني ، والثالث،والرابع » من جهة ، وبين الفصل الاول « الموت » والاخير « النشور » من جهة اخرى ـ ومع ذلك فقد عقدت العزم على أن أفرح بهذه الصلة التي تبدو واهنة ، وان اعتبر هذا العمل رواية فنية ، فيها بناء وشخصيات ودراما ونسيج رقيق تتحرك فيه هذه العناصر في وحدة رائعة هي التي تجعل من الرواية رواية ، اصدر في هذا التوجه عن تقدير لطبيعة الخبرة الشائقة والشائكة التي يقترب منها الكاتب ، ولخوضه هذه المغامرة في ضوء مايريد أن يتلمس السبيل اليه ، في مناطق غير مأهولة ، وغير منزوعة السلاح ، لكن لماذا لا نبدأ من البداية ؟ .

بناء الرواية

يقوم بناء هذه الرواية على خمسة فصول ، يتوافق ترتيبها في الكتابة مع ترتيب وقوعها الزمني ، وهي « الموت » ، « القبر » ، « الملكان » ،« الحساب » « النشور » .

الموت

في هذا الفصل ، نلتقي بحفيد وجدّ ، الحفيد صبي يمكن أن نراه رمزا لطفولة أي انسان ، فهو ليس صبيا بعينه ، لكنه يحمل كل خصائص الطفولة ، فيه تلك الاندفاعة القوية الخصبة للحياة ، رغم أنه يعيش في قرية تشبه قرى الريف في مصر ، ملأى بمعوقات الحياة ، الا ان هذه المعوقات لم تفسد بعد رغبته البكر في أن يحس ويدرك ، ويعرف ويتعلم .

« الجد » عجوز متوحد يعيش في بيت منعزل رغم أنه في قلب القرية ، وكل الطرق تؤدي اليه ، دائما يعرف الحفيد طريقه الى بيت الجد مدفوعا بقوة غامضة لاتقاوم ، ويمكن أن نرى هذا الجد بدوره رمزا للماضي ، للتاريخ ، فإليه تنتسب كل عائلات القرية ، كل مايفعله الجد في عزلته هو أنه يقرأ كل كتب الماضين ، ويسجل في دفاتره وقائع الميلاد والموت ، الجد صامت غامض مشوه (ربما هكذا التاريخ) ولكن لا فكاك امام الناس في القرية من الرجوع اليه ، في لحظات الأزمة والخراب . والتواصل مع الجد ليس طريقه القرابة ، بل الحب والقراءة ، لكنه طريق قد يستغرق الحياة كلها(ربما

هكذا التاريخ) ، يكتشف الحفيد خلال محاولاته الاتصال بالجد أن ثمة امرأة ترعاه ، وتتفاهم معه دون لغة ، ربما بالنظر والتلامس ، فيتأكد له بأنه كان للانسان من الحواس ماهو قبل الحواس ، ومن اللغة ماهو قبل اللغة (ربما ذلك جوهر علاقة المرأة بالحياة ، ورعايتها لها حتى قبل اللغة .)

ثم يقع ذلك الحادث العادي دائما ، وغير العادي كذلك ، يموت أحد الناس في القرية ، ويعرف الحفيد أن عملا من أعمال الجد سوف يبدأ ، اذ لابد أن يسجل اسم الميت ، فيترك الجد ليقوم بعمله بمساعدة المرأة ، ويذهب هو الى دار الميت ، نرى من خلال عيني الحفيد طقوس الموت في القرية ، ونرى من خلال وعيه التشوف الى ادراك معنى أن يموت انسان ؟ وأن تتجاور قريتان ، قرية للأحياء ، وقرية للموتى ، « وفي البعد القليل بينهما يدور الناس دائخين محاولين في صبر استنناس الصماء بسر التلاوة » .

ومعنى أن تتجاور في دفاتر جده أسماء من يولدون ، واسماء من يموتون ، وكأن الحياة والموت شيء واحد ، أو شيئان لاسبيل لأن يفهم احدهما دون فهم الآخر .

كان هذا التشوف هو ثمرة علاقة الحفيد بالجد ، وهي العلاقة التي ينضجها الفصل الاول من الرواية . وكأن وعي معنى الموت مرتبط بوعي فكرة التاريخ ، فالحيوانات لاتعي فكرة الموت لأنها لاتعي فكرة التاريخ

حين يعود المشيعون بعد دفن الميت ، يبقى الحفيد بجوار المقبرة وكأنه بهذا البقاء سوف يدرك مالايدركه العائدون من أهل قريته وتبقى زوجة الميت ايضا ، وهي امرأة كانت تحنو على الحفيد حنوا رقيقا في حنان ، (هل هي حاجة كل انسان حين يتأهب لأمر خطير الى حنان امرأة ؟ وهل تكون هذه المرأة للحفيد مثل المرأة التي ترعى الجد ، وتتفاهم معه بلغة ماقبل الحواس ؟ .

القبر

في القبر ، نلتقي بصورتين للموت ، الصورة الظاهرة ، كما كان يراها اللحاد ، جثث بادت ، ينحي جانبا ماتبقى منها ليفسح مكانا لجثة في طريقها الى أن تبيد ، والصورة الخفية أو الحقيقية ، كما يراها الميت حين يتم تحرره من عنصر الجسد ، حينئذ يحضره عمره كله على ظهر الدنيا « كل الاشياء ، وكل الاوقات ، وكل الناس ، من مات منهم ، ومن لم يزل على قيد الحياة ، حضور مطلق ، لايثير دهشة ، ولايصنع فرحا ، ولايؤجج شماتة ولاندما ولاحفيظة ، وانما يكون معرفة . . . »

ها هو الميت يرى الآن - ونرى معه - أحداث حياته كلها ، في فيض هذه المعرفة الشاملة :

« كان جنينا في بطن أمه حين انفصلت أمه عن أبيه لخلاف بين والده وخاله ، فعاش مع أمه في بيت خاله ، عاش حياته كلها يكره هذا الخال لاعتقاده أنه هو السبب في حرمانه من العيش مع أبيه ، الآن يعرف أن خاله كان يحبه ، ويتمنى أن يتخذه ولدا لأنه حرم من الولد ، ويعرف أن الخلاف بين الأب والخال كان مسئولية الاثنين وانه لم يكن مما يصعب حله ، لقد دفع هو ، كما دفعت أمه التي ماتت كمدا ثمنا غاليا ، لهذا الخلاف ، لأن الاب والخال عجزا عن أن يدفعا الثمن الأقل ، عاش يحمل في جسده عجز أمه ورعبها ، وما بين أبيه وخاله من تمزق وضغينة . . .

هكذا يمضي الميت في رؤية أحداث حياته في لحظاتها الفاصلة فيدرك « أنه جاء الى الدنيا بتكوين عاجز شائه ، ولم تكن الدنيا بقادرة على أن تمرض هذا الكيان ، بل انها زادت من نقصه حدة ، وعليه فقد عاش دائرا بين عنف الحب وعنف الكراهية (وها هو يدرك الآن) أنهما عاطفتان جوهرهما واحد هو الخوف ، يختلف اتجاهه لكنه لايكون أبدا غيرة أو اثرة أو مراعاة . . . »

وهكذا حين يجيء الملكان في الفصل الثالث يبدو أن كل شيء قد انضج ذلك السؤال الكبير . . وفق أي معايير سوف يحاسب ذلك الانسان ذو التكوين العاجز والمعرفة الناقصة . . ؟

يجيء الملكان في صورة تستمد بعض ملامحها من التراث الديني ومن خلال الحوار الممتد بين الملكين والميت بغير لغة ، نتعرف على معايير الحساب ، وهي معايير تنأى عن كل مايتصل بنقص المعرفة بسبب قصور الجسد الانساني وعجزه ، وتقوم على أساس قديم جديد ، فحيث ان كل فعل انساني يتضمن بالضرورة حكمة منه ، فعلى الانسان أن يكون في حالة تمحيص دائم لأفعاله ، حتى يدرأ الاختلال بين

الفعل وحكمة الفعل . .
بأي وسيلة يتم هذا التمحيص ، ويتم تقدير الحكمة : بعقل الفرد ؟ أم بعقل الجماعة ؟ هكذا يسأل الميت .
ويرد الملكان :
« ليس عقل الفرد ولا عقل الجماعة ، فكلاهما يرد عليه شرط العجز،وليست الحكمة المطلقة بل هي حكمة فعل محدد ، في ظروف محددة ، وهي حكمة تتحقق نتيجة محاولة المرء استكناه الاتجاه الحقيقي لنبض الذات في حالة تحرره من الخوف أو الطموح أو الشهوة . واختيار الفعل أو الامتناع عنه ، الذي يؤكد وجود الفاعل ولا يخطر ترقيه ، ويؤكد وجود الآخرين ولايحظر ترقيهم .
« هل يجعل الملكان الأمر اكثر صعوبة ؟
هكذا يبدو على الميت أنه يشعر ويجيب الملكان :
« ان الاختلال بين الفعل وحكمته يؤدي الى ابتعاد الفرد عن الانسان الحقيقي الى الانسان الدور أو الوظيفة ، وما يكون في ذلك من مسخ للفطرة ، ويتساءل الميت كمن وجد حبل نجاة ، من المهم اذن أن نعرف كيف نفهم الفطرة ؟
« انها رغبة كل كائن في البقاء والترقي بدءا من أكثر صور الحياة بدائية
« الا تؤدي هذه الرغبة الى المزاحمة حتى يكون شرط بقاء الواحد قتل الآخر .
« قد تكون المزاحمة هي الصورة البدائية للفطرة ، لكن الفطرة تتجه دائما لتصحيح ذاتها ، حتى يكون كمالها في الانسان الذي يكون شرط بقائه وترقيه بقاء الآخر وترقية كذلك ، فاستنكار كل صور القتل والاضرار هو جوهر كل شريعة .
« هل تكون الشريعة تعبيرا دائما عن الفطرة ؟
« الزمن الذهبي لكل رسالة حيث يكون الانطباق تاما بين الشريعة والفطرة » كيف يحدث الاختلال بينهما اذن ؟
« تقوم المؤسسات بتجميد حركة الشريعة فلا تساير حركة الزمن بناسه .
ويمضي الحوار بين الملكين والميت ، يتحدثان عن دور المؤسسات في ايجاد ذلك الهرم الاجتماعي ، الذي يكون القهر عنصرا لازما لتماسكه،ونوع الناس الذين يؤلفون قاعدته وقمته ، وكيف تحت وطأة ذلك الهرم الاجتماعي تتحول نزعة البقاء والترقي الى قانون البقاء للأصلح ويصبح ذلك القانون تبريرا للقتل في كل صورة من صوره ، ويصبح دور المؤسسات إعادة صياغة الفرد ليصبح لبنة في بناء هرمي ما ، تقليل حماسته لأن يكون بشريا ، واذكاء حماسته ليكون نمطا .
« كيف يستخلص الانسان نفسه من هذه القبضة ؟
« بأن يملك الواحد حياته ، تكون لوحة يرسمها لا خطة يبحث عن تفاصيلها في سفر من الاسفار .
« لكن الضجيج عال حتى لايكاد احد يسمع صوتَ داخله ، مهما علا الضجيج لايسعه أن يكتم صوت الداخل .
ويبدأ الحساب وفق ذلك المعيار : في أي المواقف من حياة ذلك الميت أهدر صوت داخله ؟

الحساب

لقد اختار الملكان من طفولة الميت لحظة كانت فيها فعاله مطابقة لفطرته لاعتبارها ميلادا حقيقيا له .
قالا له : تلك اللحظة التي وقفت فيها في المحكمة أمام القاضي تجيب عن سؤاله : إن كان ذاك اباك ؟ وان كنت تريد غير مرغم ولامكره أن تعيش في كنفه فقلت بصوت قوى واضح : نعم .
لم يستطع كل ما كان حولك من جو غريب ، جهامة القاضي وصيحات الحاجب ، وعسف الحراس ، وغضب الخال ، وارتياع الاب والجدة أن يشوه رغبتك الحقيقية التي نبعت من اعماقك ، كان ذلك شيئا عظيما
واذا كانت تلك هي لحظة الميلاد لانسان ، فثمة لحظة أخرى كانت هي لحظة الميلاد للانسان الذي تخالف فعاله فطرته . . .
كانت تلك اللحظة حين هرب من المدرسة لأول مرة وعاد الى القرية ، كان رفضه للمدرسة رفضا صحيحا لنوع من التعليم لايهدف الا لتحويل الطفل الى كمية لينة من الطاعة والخضوع ، ولكنه أمام غضب أبيه عاد الى المدرسة التي لم يكن يحبها .
« نسألك الآن لماذا عدت ؟
« لم يسعني أن أخالف أبي
« لقد خالفت خالك في المحكمة ، وكانت سطوته

عليك أكبر من سطوة أبيك .

« ربما يرجع ذلك الى قوة أبي ، الى عرف الوقت الذي يجعل طاعة الأب واجبة .

« تكون « لا » ممكنة في كل الاحوال ، لامبرر ابدا لأن يجحد الانسان صوت داخله .

مقبرة أم عيادة طبيب نفسي ؟

ويستمر الحساب عبر مواقف مماثلة في حياته كلها ، فلا تدرى أهو حساب ملكين في مقبرة أم حوار بين طبيب نفسي ومريضه في عيادة . . . فالحساب كله ارتياد شجاع لطبقات النفس الاكثر خفاء لاكتشاف تلك الخارطة المجهولة لما أسماه الكاتب .

« الاتجاه الحقيقي لنبض الذات في حالة تحرره من الخوف أو الطموح أو الشهوة،واختيار الفعل الذي يؤكد وجود الفاعل ولايحظر ترقيه،ويؤكد وجود الآخرين ولايحظر ترقيهم .

ويكشف الكاتب خلال تلك الرحلة عن أن لاتكون ممكنة دائما . . كما يحفر عميقا من خلال الحوار عن دوافع الاحجام عن نطقها ، على أن الكاتب هنا يوحي بأن بمقدور أي انسان ، بل ومن واجبه لو أحسن الاستماع لصوت داخله ، أن يصل الى معرفة الاتجاه الحقيقي لنبض ذاته .

النشور

في بداية الفصل الاخير ، نلتقي بالحفيد الذي تركناه في نهاية الفصل الاول بجوار المقبرة « لايدري منذ متى وهو جالس هنا تحت الشمس ، أتراه أخذته سِنة من النوم جنب الشاهد والصبارة ؟ وفي النوم طافت به الاحلام العجيبة » ؟

يبدو الحفيد هنا كأنه واحد من أهل الكهف ، يبعث من موت أو من نوم يشبه الموت .

يبدو الحفيد هنا وكأنه هو الذي يتحقق النشور من خلال يقظته،وكأنه كان هناك طول الوقت داخل المقبرة يرى ويسمع ، وكأن الكاتب يوحي لنا بأن التشوف للمعرفة - وهو هاجس داخلي اصيل - مكافأته الوصول الى درجة ارقى من المعرفة ، وتلك هي العلاقة العضوية التي قد يراها البعض واهنة بين الفصل الأول والأخير ، وبقية فصول الرواية .

هل يكون هذا الفصل هو محاولة الحفيد - وقد وعى الدرس - أن يعيش الحياة الممكنة التي ينبغي للانسان أن يعيشها ؟

يوتوبيا عبد الحكيم قاسم

يذهب الحفيد ليتعلم فماذا يجري ؟

« إن وافق ميل نفسه ان يسمع في الفقه أو البلاغة أو الاصول ذهب الى شيوخ هذه العلوم ، وإن اطربه ان يشارك في تجارب الكيمياء أو علم الحيل مال حيث هوى نفسه »

(اعلاء لميول الفرد) ولكن هذا كله في النهاية لايروق لشيوخه فيرحل عنهم قائلا :

« بعد القراءة تكون « الرحلة ، انهما السكتان للحب »

(امتزاج المعرفة بالخبرة) يقفل راجعا الى القرية ، يقرىء السلام،يفرح برد السلام ، واذا ماحل بامرأة طيبة أو رجل كريم ، جلس صامتا منصتا يسمع عن الارض والزرع ، عن البذار والحصاد ، عن نجاة المحصول وعن نزول الآفة ، يسمع عن البهائم التي هي صحبة الانسان ، يسمع عن خرسها ، وعن لغة شكايتها الصامتة والمواجع . »

(تعلم جديد من الواقع المعاش ، اقتراب ودود متفاهم من الناس ومن الطبيعة) .

« جلس قدام دارهم يقرأ ، قال لأبيه يا أبت سأعمل بطعامي وبثمن كتبي هل تأجرني بشرطي ؟ »

(تطور علاقة البنوة من الاعتماد الى الاستقلال ، الأجير هو الذي يضع شروط عمله ، وهي شروط تعني الوفاء بالحاجات الأصيلة للانسان ، المحافظة على البقاء بالطعام وتحقيق التطور من خلال المعرفة) .

« لما مات أبوه ورث قطعة أرض ، قال في نفسه : ينبغي أن يعرف الزراعة ويتعلم من الزراعة (وكان الأباء في القرية قد دفعوا اليه بأولادهم ليعلمهم من علمه) ، ولما حسن المحصول اكثر ، جمع تلاميذه وسألهم ماذا يفعل فيه ؟ قالوا له لاتعط الفقراء شيئا بل أوقف مالك على المسجد ، انه مؤسسة صالحة ، انه الدار والمدرسة منذ الزمن الاول ، وان عليه أن يكون خادما للمسجد ، لا مالكا للارض »

يموت الجد ، بعد أن يبدو أن الحفيد قد استوعب خبرة الحياة والموت وحكمة التاريخ ، ليصبح الحفيد جدا وتمضي الدورة .

تقويم تجربة

تدخل هذه المغامرة الأدبية عالم الرواية من اوسع ابوابها فثمة تلك الوحدة الفكرية والروحية والنفسية التي تجمع عناصر التجربة ، من الجد الى الحفيد الى المرأة الى الميت الى الملكين،وثمة،تلك الخلفية الواحدة من اهل القرية ، ودورها ، ومقابرها ، وحقولها واطياف المدن ، باختلاف درجاتها في وعي خبرة الموت والحياة وهو الاختلاف الذي يكشف عن منحنى التطور في وعي الفرد ووعي الجماعة .

وثمة وحدة التجربة ذاتها بمختلف مراحلها،تتنوع الادوار ولكنها تتكامل في النهاية كسمفونية يشترك في أدائها عشرات العازفين ، تبدأ بوعي فكرة الموت من خلال خبرة التاريخ ، وتمر بخبرة حياة الميت حين يمر بامتحان الموت والحساب ثم يأتي نشور الحفيد في الدنيا ليكتمل البناء ، ويتم استيعاب الخبرة .

على أن الوحدة العظمى هي تلك التي تنبع من لغة الرواية وهي لغة خاصة جدا ، اختار الكاتب فيها كل جملة ، وكل كلمة ، وكل حرف .

وهي مثل أي رواية ، رغم النزعة العقلانية في بعض فصولها تومىء الى اتجاهات اكثر مما تشير الى حلول ، فالحلول دائما تبقى مسئولية اصحاب المواقف في كل جيل ، وفق تقديرهم الخاص لواقع ظروفهم .

على ان الاتجاه الى ضرورة الانصات لصوت الداخل والاهتمام بالآخر ، والاقتراب الحميم من عالم الطبيعة ودفء الناس ، هو اكثر مانحتاجه في عصر المؤسسات العملاقة التي تسحق نبض الفرد ، وتعمل على تنميطه وصياغة حاجاته وفق حاجاتها .

مخاطر التبسيط

لكن يبقى السؤال او الاسئلة : ألا تحمل مثل هذه الرؤى مخاطر تبسيط المعقد ، والنأى عن مواجهة تعقيدات الواقع ، وهي تتكلم بلغة الفن الموحية . .) ؟ .

فهل يمكن أن نتحدث عن صوت الداخل وكأنه صوت واحد نقي واضح يمكن الاستماع اليه دائما مهما علا الصخب والضجيج من حولنا او مهما اشتد به الوهن والضعف ؟

فالفطرة ـ بغض النظر عن أي تعريفات لها هي خامة الحياة الاولى ، ومصدر الطاقة والحيوية ، ومن هنا فهي تنطوى على كل متناقضات الحياة وشتى نوازعها ، وما يصدر عنها ليس ابدا صوتا واحدا بل هو جوقة هائلة من الاصوات ، فاذا كان ثمة صوت يخدم نزعة الارتقاء فهناك صوت يعبر عن الرغبة في الانسحاب والموت (فرويد) والكاتب نفسه يلاحظ ملاحظة هامة حول تطور الفطرة من مرحلة شائهة يكون فيها التعبير عن نزعة الارتقاء بقتل الآخر الى مرحلة يكون فيها ارتقاؤها مشروطاً بارتقاء الاخر ، فكيف يتم هذا التطور ؟ انه يتم عبر جدل طويل وعميق بين الداخل والخارج ، فالفطرة لاتتطور عبر منولوج داخلى ، بل عبر حوارها مع فطرة الآخر في الخارج ، وشرط تصحيح الفطرة لذاتها هو تصحيح تواصلها مع الخارج . . ومع الآخر في الخارج ، فمقابل الصوت الداخلي الصحيح صوت خارجي صحيح يدعمه ، ومقابل الصوت الداخلي الخاطيء صوت خارجي خاطيء يدعمه كذلك .

هل من المناسب ان نناقش عملا فنيا بهذه الطريقة ؟ ربما مادام ذلك العمل الفني قد اختار هذا المنحنى الصعب للسير فيه ؟ ومن هنا فاننا نستطرد في التساؤل : هل الصعوبة تكمن فقط في تبين صوت الداخل الصحيح الذي يخدم الارتقاء والتطور ، أم المشكلة أننا احيانا ندرك الصوت الصحيح ولكننا نحجم عن متابعته بسبب الثمن الغالي الذي يتطلبه لأنه ثمن التطور ؟ . الثمن الذي يدفعه البعض مرة ومرات ثم يحل به التعب فيستجيب لصوت الانسحاب والموت وهو ايضا يأتي من الداخل . . .

قد لايتسع المجال هنا لمتابعة الحوار مع هذا العمل الرائع مع كل جوانبه الثرية والخصبة ، وما تثير من تساؤلات وتبتعث من افكار ، ولعل أخطر ما في هذا العمل أنه يجيء في وقت يعلو فيه ضجيج الأصوات الخاسرة ، فيبدو ، وكأنه صوتنا الداخلي الصحيح ، وما أجدرنا بأن نحسن الاستماع اليه والحوار معه . □

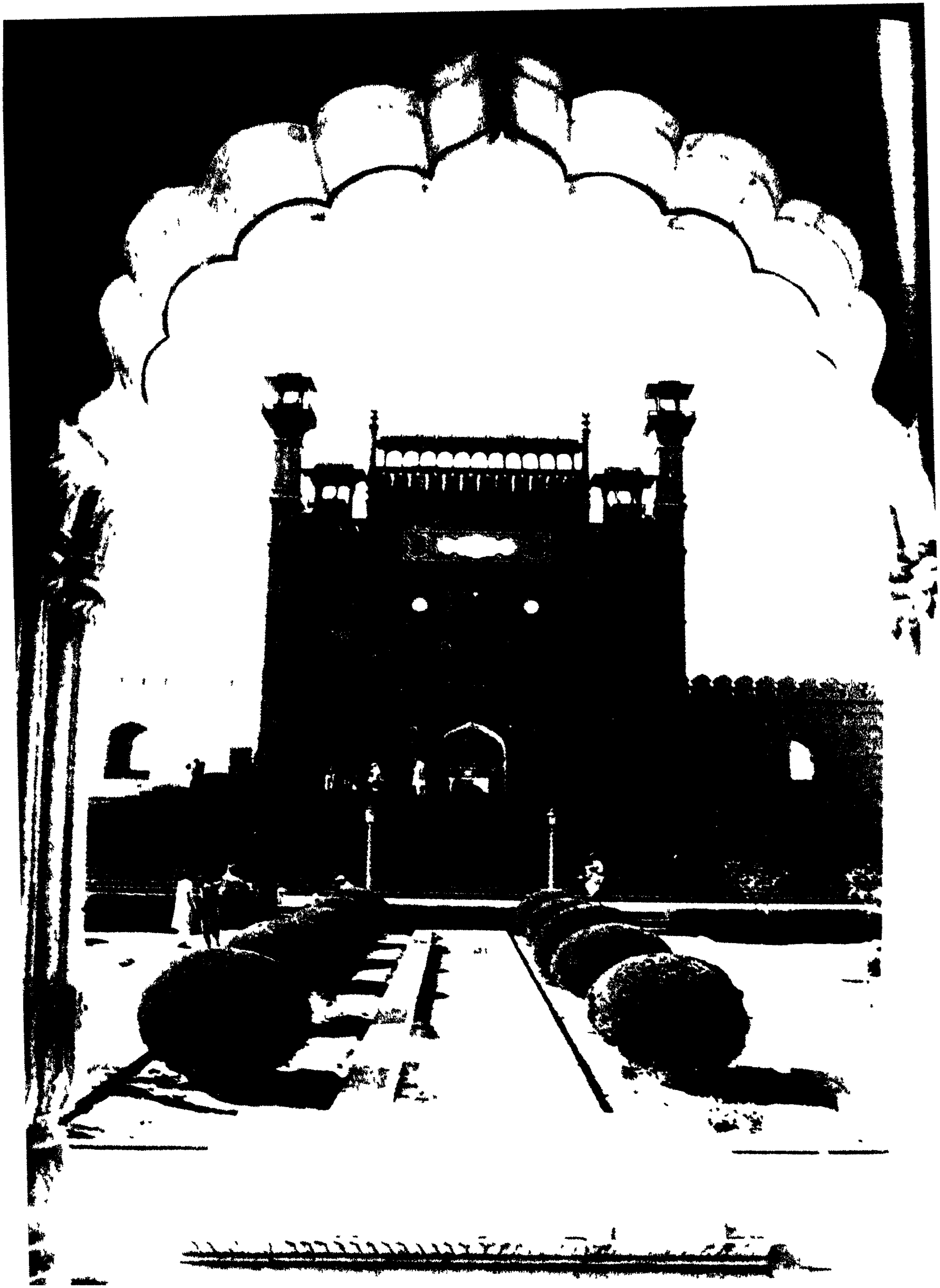
العربي عيونك على العالم



سنوات الصراع والأحلام

استطلاع :
محمود عبد الوهاب
تصوير : طالب الحسيني

« أربعون عاما انقضت منذ تأسست باكستان ، ومنذ ذلك اليوم وهي تعيش متناقضات التاريخ والثروة والسلطة والقوميات والانفصال ، ورغم ذلك فإن الكثيرين يرون أن باكستان مؤهلة لتلعب دورا أكثر أهمية من دورها الآن . وفي وسط ذروة من ذرا تصاعد الأحداث طارت بعثة العربي إلى هناك لتراقب وترصد وتنقل



هبطنا مطار كراتشي في ساعات الصباح الأولى ، كانت صحف الصباح تحمل أحبارا عن حشود عسكرية على الحدود بين الهند وباكستان ، وفي برقيات وكالات الأنباء تأكيد يفيد أن الهند قد حشدت أكثر من ٨٠ بالمائة من قواتها العسكرية ووضعتها في حالة التأهب وأن إطلاق النار قد حدث بين دوريتين ، وفي نفس الصحف أخبار أخرى عن حالات شغب في منطقة بلوشستان ، ورغم كل هذه الأخبار فإن الحياة كانت تسير بشكلها اليومي ، لأن الباكستانيين ـ على ما يبدو ـ قد تعودوا على هذه الحالات منذ سنوات طويلة

فور دخولنا الى مبنى المطار كان مرافقنا ينتظرنا ، تبادلنا التحية « السلام عليكم » بالعربية ، ثم انتقل الحديث الى اللغة الانجليزية ، أثناء انتظارنا للطائرة التي ستنقلنا من كراتشي الى العاصمة الجديدة (اسلام أباد) أحدث أرقب حركة المسافرين ورغم أن الساعة لم تتجاوز السادسة صباحاً فالمطار مزدحم ، وحركة الطيران بين المدن الباكستانية الكبرى لا تهدأ ، وبين كل فينة وأخرى يأتي صوت مذيعة المطار الداخلية ليعلن عن اقلاع أو هبوط رحلات بادئة إعلانها بالسلام عليكم ، ثم تذيع الاعلان باللغة الأوردية ، وفي نهاية الاعلان تتلو اية من القران الكريم ثم تنتقل الى الاعلان باللغة الانجليزية ، ووسط لوحات الاعلانات التجارية الكثيرة والمتنوعة داخل المطار لوحات أخرى منقوش عليها ايات من القران الكريم وعبارات مأثورة تمجد الاسلام والمسلمين

مدينـــة الســـلام

وصلنا اسلام اباد الشوارع متسعة الخضرة تكسو جوانبها المباني أنيقة نظيفة بيضاء ، وإسلام اباد هي العاصمة الجديدة،بدأ التخطيط لبنائها في عام ١٩٥٨ وأصبحت العاصمة الرسمية اعتباراً من العام التالي ، وقد صممت المدينة كمقر للحكومة المركزية وأجهزة الدولة ، بها مقر الرئيس ، والحكومة والبرلمان ، والوزراء والادارات المركزية ومساكن العاملين بهذه الأجهزة على جميع مستوياتهم الادارية بدء من مناصب الادارة العليا وحتى الأعمال الحديثة ، ووسط كل مجموعة من المنازل التي تشكل حياً سكنياً سوق يضم العديد من المحلات للأغراض المختلفة ، ولذلك فان تعداد المدينة لا يتجاوز ٣٥٠ الف نسمة فقط ، على عكس كل مدن باكستان المكتظة بالسكان ، فكراتشي مثلا يقارب عدد سكانها ثمانية ملايين نسمة ، ويرجع سبب قلة عدد سكان إسلام آباد لكون المدينة بلا فرص عمل فإما أن يكون القاطن بها يعمل بالحكومة أو بالتجارة في بعض المحلات القليلة العدد ، أو بعض البائعين الذين يهبطون سوق المدينة يبيعون الخضار والفاكهة في يوم واحد من كل أسبوع

وتعد إسلام آباد بذلك مدينة موظفي المكاتب (البيروقراط) ، وبرغم أن كثيرا من دارسي تخطيط المدن ينادون بأن تبدأ كل بلدان العالم الثالث المكتظة بالسكان في نقل العاصمة ، الى مكان جديد مثلما فعلت باكستان والبرازيل من قبل ، ويرون أن النقل هذا يحل مشكلة الجذب نحو العاصمة والهجرة اليها ، الا أن بعض الساسة يرى أن نقل العواصم فيه ميزة أمنية ، حيث يمكن وضع الدولة (المؤسسات) تحت الحراسة المأمونة ويسهل في مدن جديدة وصغيرة أن يتم تأمينها ضد نزعات المغامرين

ولأن وصولنا الى العاصمة كان يوم جمعة ، فقد صحبنا مرافقنا الى المسجد لأداء الصلاة وطوال الطريق أحد يحدثنا عن المسجد الجديد وعن روعة التصميم وجمال التشييد وفخامة التأثيث وكيف أن المسجد سيكون بمثابة مركز اسلامي به جامعة للدراسة ومكان للصلاة ووصلنا الى طريق المسجد الناس يتوافدون اليه رجالاً ونساءً وأطفالاً الباعة جالسون أمام الباب يبيعون رؤوس الفجل المغموسة بالفلفل والملح ، وأمام المسجد كانت المفاجأة فقد كان حديث مرافقنا غير دقيق ، فالمسجد لم يكن جميلاً ورائعاً فقط بل كان تحفة معمارية لا يضاهيها في الجمال والروعة مبنى آخر

المسجد عبارة عن مجمع إسلامي،يسع صحن المسجد وحده ١٥ الف مصل،و ١٥٠٠ مكان لصلاة النساء في مقصورة علوية،ولكن المنطقة المحيطة بالمسجد تتسع لحوالي ٣٠٠ الف مصل،أي أن

ـسجد يسع كل سكان إسلام آباد ، ويعتبر صحن ـسجد ـ كما قال لنا المهندس التركي الذي وضع لتصميم ـ أكبر صحن مسجد في العالم بدون أعمدة على الاطلاق ، وحول المبنى الرئيسي من الخارج وضع المصمم قناة مفتوحة من الرخام ـ وفوقها على سطح القناة مباشرة فتحات تهوية بحيث يكفل جريان الماء في القناة مع فتحات التهوية تلطيف درجة حرارة المسجد وتهويته ، وكل ما في المسجد جديد ومبتكر ورائع ، المنبر من الرخام الفاخر ، ولا يزيد ارتفاعه عن خمس درجات فقط . ويمثل المنبر وحده قطعة تشكيلية واحدة ، المحراب قطعة فنية أخرى وهو عبارة عن لفظ الجلالة مكتوب بالفسيفساء على واجهة المحراب وبجواره ـ بحجم أصغر ـ مكتوب اسم النبي الكريم محمد ﷺ « وتعليقاً على شكل المحراب المبتكر قال المهندس التركي فيدات دالوكاي : « في كل المساجد يوضع على المحراب اسم الجلالة واسم الرسول ﷺ وأسماء عدد من الصحابة ، ومع تقديرنا للصحابة جميعاً » رضوان الله عليهم « ومع حبنا وتوقيرنا العميق للرسول الكريم . . الا أنه لا أحد من هؤلاء جميعاً مساو لله عز وجل حتى يقرن اسمه باسمه ، ولذلك فعندتصميمي للمحراب وضعت اسم الجلالة وحده،وبعده يأتي اسم رسولنا الكريم » . وفي منتصف سقف المسجد تتدلى ثريا بالغة الروعة والدقة والبساطة ، وقد صنعت الثريا خصيصاً في المانيا الغربية ، وتزن قرابة ٦ أطنان ونصف ، وعلى يمين الداخل من الباب الرئيسي ، وفي المنتصف ، توجد منصة المقرىء وخلفه لوحة فنية رائعة مصممة على الرخام الملون ، مكتوب عليها الآية الكريمة « إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون » . وقد بلغت تكلفة المسجد قرابة الـ ٤٥ مليون دولار ، وقد تقاضى المهندس ـ الذي فاز تصميمه في المسابقة العالمية التي أجريت عند التفكير في إنشاء المسجد ـ ٥ بالمائة من إجمالي التكلفة النهائية للمشروع .

أزمات الأرض الطاهرة

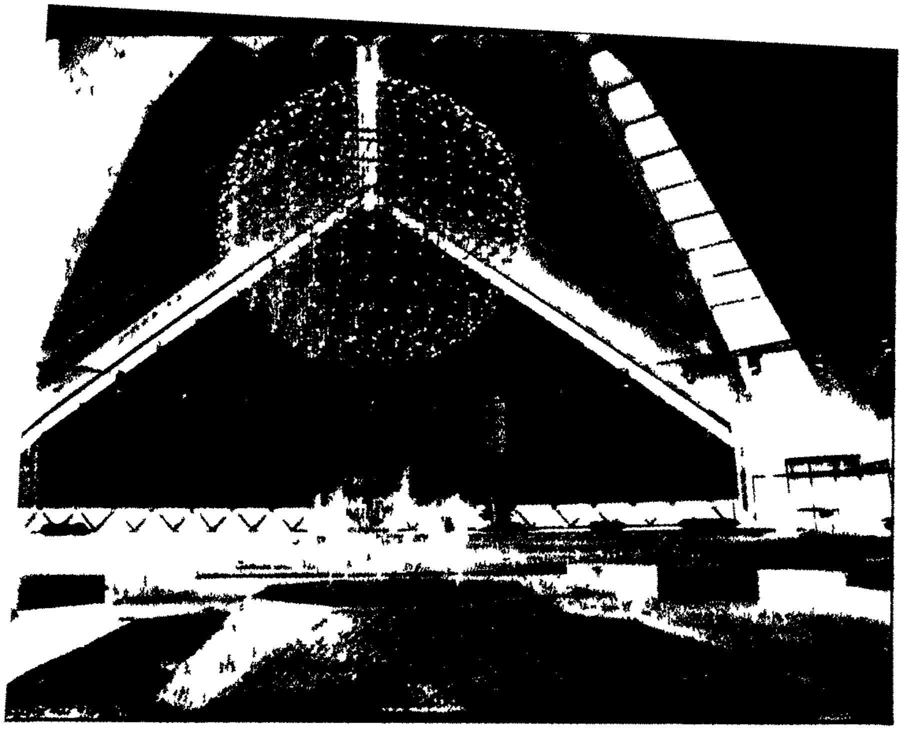
ظهرت باكستان في البدء كفكرة في عقل الشاعر الكبير محمد إقبال ، وباكستان ـ لغة ـ تعني الأرض الطاهرة ، ويبدو أن اختيار هذا الاسم كان مناسباً

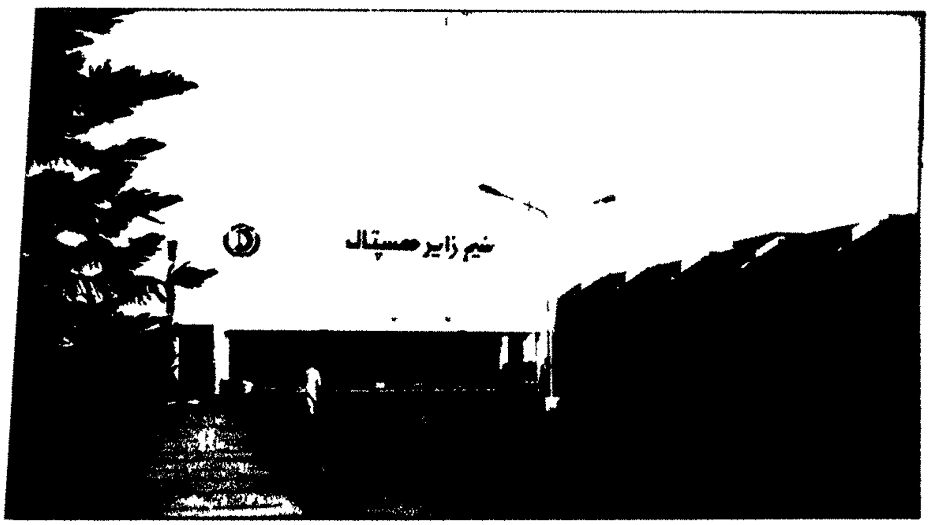


● خريطة باكستان يتضح فيها الموقع والجيران

ومناسقاً مع التي أعلنها الشاعر الكبير لأول مرة بشكل علني في خطاب عام له في مدينة الله اباد عام ١٩٣٠ فطرح في خطبته الشهيرة هذه فكرة تقسيم الهند ، لأن الاختلاف واضح بين المسلمين والهندوس من حيث الدين والمعتقدات ، ولأن المسلمين أمة منفصلة عن غيرها فانه يجب أن تتمتع بدولة مستقلة ، هذا هو جوهر فكرة إقبال التي تنبع جذورها من أفكار « الجماعة الاسلامية » التي كانت في ذلك الحين حركة تحديثية تستقي مبادئها من أفكار إقبال،وسيد أحمد خان ، وشبلي نعمان ، وغيرهم من المفكرين الاسلاميين المحدثين ، وتحولت الفكرة إلى حركة سياسية قادها مؤسس الباكستان محمد علي جناح ، وسرعان ما لاقت الدعوة إقبالاً من كثير من المسلمين الذين كانوا يعانون افتقاد معنى العدل في ظل احتكار الهندوس للسلطة والثروة في الهند .

وشهدت الفترة من عامي ١٩٣٨ الى ١٩٤٤ تنامي الحركة الباكستانية من مجرد تكتل يعبر عن مصالح أقلية مسلمة الى حركة لأغلبية المسلمين تبحث في جوهرها عن المساواة الاقتصادية والاجتماعية ،







● الى أقصى اليسار
مطر عام لمى الحامع
الكبير في إسلام أباد ،
والى اليمين بالترتيب
من أعلى صحن المسجد ،
والثريا الماحرة ،
ثم مستشمى
الشيح رايد في
لاهور ، ثم فصل
دراسي في مدرسة
في عرض الطريق
تناقصات



ولذلك فـانه من الثابت تاريخيـاً أن بداية الحركـة الاسلامية وانتصـارهـا في أول معـاركهـا كـان في بنجالاديش (باكستان الشرقية سابقاً) حيث كانت السلطة والثروة في يد الملاك الهنـدوس أما بـاقي المسلمين فهم فقراء مقهورون

المهم أن البريطانيين ـ حكام الهند في ذلك الوقت ـ إستثمروا هذا التنـاقص ، وكانت حركة انفصـال باكستان تقف في مواجهة دعوات غاندي ثم نهرو ، وحرب الرابطة الاسلامية يواجـه حرب المؤتمر ، وفجأة أعلن البريطانيون استقلال الهند وإنشاء دولة باكستان في ١٥ أغسطس ١٩٤٧ وتم رسم حدود الدولة الجديدة وفق الأقاليم التي بها أغلبية مسلمة ولم يراع البريطانيون أية عوامل أخرى اقتصادية أو ثقـافيـة أو جغـرافيـة ، وهكـذا ظهـرت في نهـايـة الأربعينيات باكستان ـ بقسميها الشـرقي والغـربي ـ ولكنهـا منذ اليـوم الأول وهي تحمل داخلهـا ألغـام موقوتة تهدد بالانفجار

«منـذ الاستقلال وحتى الآن خـاضت باكستـان ثلاث حروب مع الهند مني في الحـرب الأخيرة ١٩٧١ بهزيمة عسكرية خسرت فيها شطرها الشرقي باكستان الشرقية (بنجالاديش حاليـا) ، وأكثر من نصف سكـانها،وأكثر من ٩٠ ألف ضـابط وجنـدي وقعوا في الأسر ، وشهدت أيضاً ثـلاث فترات من الأحكـام العرفيـة ، وتم وضع خمسـة مشـروعـات لدساتير صـدر ثـلاثـة منها (١٩٥٦ ، ١٩٦٢ ، ١٩٧٣) ، بالاضافة الى عديد من أحداث التمـرد والعصيان التي تتراوح فتراتها بين أشهر وأعـوام ، وأشهرها العصيان القبلي الواسع في بلوشستان الذي حدث بين عامي ١٩٧٣و١٩٧٧ ، وقدر عدد الذين اشتركوا فيه الى ما يصل الى ٥٥ ألفاً من رجال القبائل في مواجهة قوة حكومية يصل قـوامها الى ٧٠ ألف جندي

وعلى مدى الأربعين عاماً-هي تاريخ باكستـان-لم تشهد انتقالاً للسلطة بشكل سلمي وطبيعي الا مرة واحدة-حين تولى فيها ذو الفقار علي بوتو الحكم عقب انفصال بنجالاديش

فعقب وفاة محمد علي جناح في عام ١٩٤٨ تولى السلطة رئيس الوزراء ياقوت علي خان،الذي اغتيل في أكتوبر ١٩٥١ ، ثم اندلعت الحرب الأهلية ، وفي أعوام ١٩٥٧ و ١٩٥٨ اشتدت الصراعات الاقليمية وتدهورت الأوضاع مما أدى بالجيش الى التدخل في ٧ أكتوبر ١٩٥٨ وسلم السلطة الى محمد أيوب خان ، واستمرت فترة حكم محمد أيوب خان قرابـة عشر سنوات ، وفي عام ١٩٦٩ انفجرت المعارضة ضده على شكل أعمال عنف انتهت باستقالته في ٢٥ مارس من العام نفسه،واستيـلاء الجنرال يحيى خـان رئيس هيئة أركان الجيش على الحكم ، فألغى الـدستور وفرض الأحكام العرفية ، ولكن الاضطرابات لم تهدأ وانتهت بانفصال (الجزء الشرقي) بنجالاديش بعد حـرب تدخلت فيهـا الهند الى جـانب بنجـالاديش واستمـرت اسبـوعـين وعقب الحـرب سلم العسكريون السلطة إلى ذو الفقار علي بوتو الذي بدأ في طرح شعارات شعبية،وحاول في مفاوضات مع الهند وضع حد للتوتر بينهما ، ولكن الاضطرابات الداخلية وعدم تحقيق بوتو ما وعد به بالاضافـة الى المعارضة الاسلامية من جـانب بعض الحـركـات الأصولية لأفكاره الاشتراكية أدت الى انفجار أعمال عنف بـالاضافـة الى الاضطرابـات التي تفجرت في منطقة اقليم بلوشستان مما دفع بالجيش مرة أخرى الى الاستيلاء بالقوة على الحكم ، وأعلن الجنرال ضياء الحق في ٥ يـوليو سنـة ١٩٧٧ استيلاء الجيش عـلى الحكم إنقاذاً للبلاد ، وأعلن الأحكام العرفية وألقي القبض عـلى ذو الفقـار عـلي بـوتـو ثم أعـدم بعـد محاكمته ! ! وتحت حكم الجنرال ضياء الحق ، بدأت بـاكستان تعيش حـالـة من الاستقـرار النسبي حتى الآن ، وبدأت تدريجياً في العودة الى حكم دستوري تحت إشراف الجيش

الجـــــذور

هذا التاريخ من الصراع والاضطرابات ليس وليد صدفة ولا نتيجة حالات مزاجية ، ولكن تعبيراً عن تناقضات اجتماعية واقتصادية تضمنها النموذج الباكستاني منذ اليوم الأول لتأسيس الدولة ، وكانت أكثر المشاكل التهاباً ـ وما زالت ـ مشكلة القوميات ، فبينما كان الجزء الشرقي من الدولة في ذلـك الوقت (بنجالاديش حالياً) يمثل تجانساً قومياً حيث أن ٩٨ بالمائة من السكان من البنغاليين وهم شعب ذو ثقافة قديمة عريقة،ولم يكن لديهم في الجزء الشرقي مشاكل



● جناح العلاج المجاني في مستشفى الشيخ زايد عناية فائقة ونظافة تامة .

قوميات تذكر، اذ لا يتجاوز عدد الأقليات القومية ٢٥٠ الف نسمة ، كانت مشكلة القوميات الحقيقة - وما زالت - في الجزء الغربي من الدولة عند التأسيس وهي ما يعرف حالياً بباكستان - موضوعنا في هذا الاستطلاع - فهي تحتوي على أربعة أقاليم أساسية وبعض الولايات . وكانت هذه الأقاليم تمثل قوميات مختلفة ومتمايزة ، وهكذا فقد أصبحت الدولة تضم أربع قوميات متباينة يمثلون سكان مناطق ، البنجاب ، والسند ، والباختون ، والبلوش ، ومنذ قيام باكستان والبنجابيون هم المجموعة الأكثر سيطرة ، فهم الأكثر من الناحية العددية ، والمسيطرون من الناحيتين السياسية والاقتصادية ، فهم يشكلون نحو ٦٠ بالمائة من إجمالي السكان بينما يشكلون ٨٠ بالمئة من القوات المسلحة ، وما يتراوح بين ٨٠ ، و ٨٥ في المئة من الوظائف الادارية العليا ، وحوالي ٨٠ بالمئة من فئة رجال الأعمال ، وهم أصحاب الثروة والسلطة . .

وبجانب البنجابيين هناك القومية الثانية من حيث العدد وهي السند ، ثم الباختون الذين يعيشون في منطقة الحدود الباكستانية المشتركة مع أفغانستان والاتحاد السوفيتي ، ثم أخيراً البلوش الذين يعيشون في منطقة بلوشستان .

وكما تقول دراسة دكتوراة أعدها جاهان مظفر وقدمت لجامعة ميامي . . عام ١٩٨٠ وتناول موضوعها سياسة تكوين المجالس الوزارية في باكستان (٤٧ - ١٩٧٧) فقد تعرضت الدراسة إلى وضع القوميات ومدى مشاركتهم في المناصب العامة فتقول : من بين ١٧٩ شخصاً تولوا مناصب وزارية في باكستان خلال ثلاثين سنة لم يكن منهم سوى أربعة فقط من البلوش، هذا على مستوى الوزارة المركزية ، أما على مستوى الحكومات المحلية في الأقاليم فقد ظل البلوش مستبعدين بصورة تكاد أن تكون كاملة عن مواقع اتخاذ القرار ، وعلى سبيل المثال تقول نفس الدراسة أنه في عام ١٩٧٢ كان في بلوشستان حوالي ٤٠ ألف موظف مدني ، وكان منهم الفان فقط ، أي ٥ بالمائة - من البلوش، وحتى هذا العدد الضئيل كان معظمه يعمل في وظائف متدنية .

وقد كان من الممكن تفادي صدام الأقليات ، ولكن توالي الحكومات العسكرية وعدم وجود مجموعة من القيم السياسية المهيمنة ، ساعد









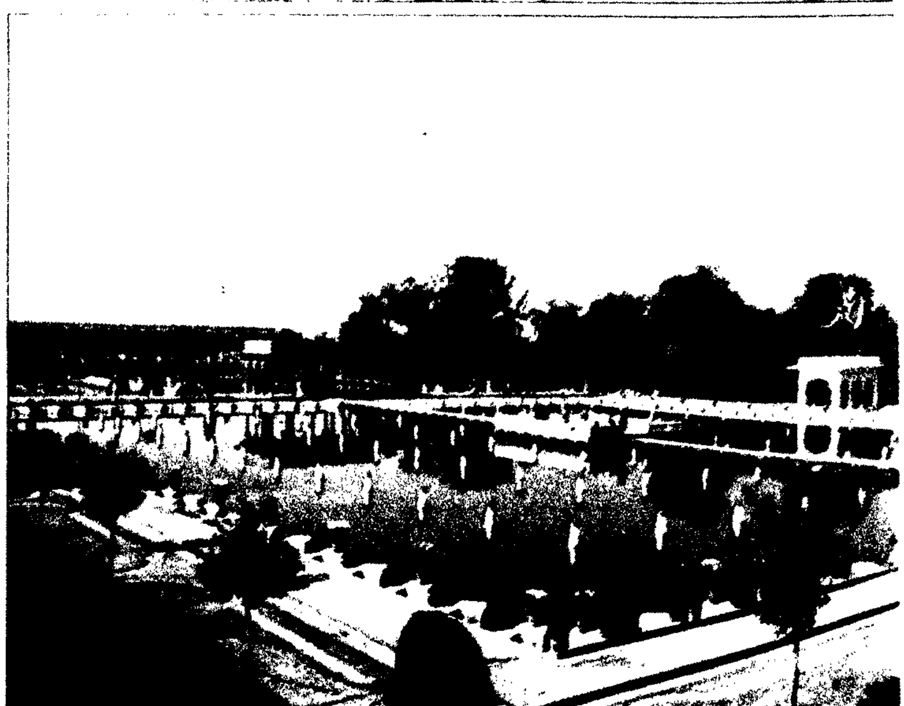










● [illegible] في قلب [illegible]
[illegible] في لاهور
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
[illegible]
الشهيرة

على انفجار الأزمات، خصوصا بعدما تلاشت أحلام السنوات الثلاث الأولى بعد التأسيس، والتي كانت تأمل بحياة عادلة تتسم بالمساواة والعدل والحرية . . وظلت التجربة الاسلامية منذ بدء الدولة وحتى عام ١٩٥٨ بلا مضمون اجتماعي أو اقتصادي، ولذلك فعندما جاء أيوب خان الى السلطة حاول انقاذ الموقف بطرح ما يمكن تسميته بقومية التنمية وبدأ يطرح أفكاره عن التنمية والنمو الاقتصادي ، وعند قراءة خطب أيوب خان الرسمية فسرعان ما نكتشف أنه يستشهد بفقرات مطولة من كتاب . . « مراحل التنمية لوالت روستو » الذي عمل مستشاراً لفترة مع الرئيس الأمريكي كنيدي .

ولم يكن تنازع القوميات وسوء المعاملة والحكومات العسكرية المتعاقبة وراء انفجارات الصراعات القبلية والعرقية ، فقد ساعد على ذلك أيضاً متاعب البداية الاقتصادية ، فعند تقسيم الهند وتأسيس باكستان لم يراع أحد ـ كما قلنا ـ الظروف الجغرافية والاقتصادية، وكان نصيب الدولة الجديدة أقاليم تتسم بالانخفاض الشديد في مستوى التطور الاقتصادي فكان ٨٥,٢ في المئة من سكان باكستان يعيشون في الريف . ولم يكن نصيب باكستان الحالية من المشروعات الصناعية الموجودة في شبه القارة الهندية الا ١٠٧٩ مشروعاً من بين (١٤٦٧٧ مشروعاً) ، وكانت المشروعات الصناعية الصغيرة التي وجدت في باكستان بعد التقسيم عاجزة عن توفير أبسط احتياجات البلاد من السلع الصناعية ، كما تأثر الوضع الاقتصادي للدولة على نحو سلبي من جراء ضرورة تخصيص عشرات الملايين من الروبيات سنوياً من ميزانيتها لتسدد لبريطانيا ثمن نظام الري والسكك الحديدية التي آلت الى ملكية باكستان بعد التقسيم ، وكانت هذه المدفوعات تزيد على ٥٥ مليون روبية سنوياً منها (٤٠) مليوناً سداداً للدين الأصلي و (١٥ مليونا) كفوائد ، وكان الانتاج الزراعي يتم بوسائل بدائية ، وكان توزيع الملكية في المجتمع معقداً فقد كان هناك (٦٠٦٠) من كبار الملاك يمتلكون من الأراضي أكثر مما تمتلكه « ٣,٣ مليون » عائلة من الفلاحين ، وكان أكثر من نصف الأراضي الزراعية تزرع بواسطة حائزين لا يتمتعون بأية حقوق على الاطلاق ـ كما تأثرت كثير من المحاصيل التي كانت قبل التقسيم تزرع في باكستان وتصنع في الهند ، مثل الجوت الذي كانت مساحة ما يزرع منه تزيد على مليوني فدان بالاضافة الى نقص الطاقة الكهربائية ونقص العمالة الفنية المدربة، وتأثير استمرار الاحتكارات البريطانية في قطاعات المصارف والنقل البحري، والوكالات التجارية والتجارة الخارجية وغير ذلك من أفرع الاقتصاد الوطني .

لكل ذلك، لم تكن البداية سهلة ولا ميسرة بحيث يعوض النمو الاقتصادي مصاعب تعدد القوميات وافتقاد العدالة الاجتماعية ، وهكذا تفاعلت جذور عديدة سياسية واقتصادية وعرقية، لتصوغ حقل الألغام الذي سارت فوقه باكستان طوال أربعين عاماً مضت ، كانت قمته انفصال القسم الشرقي (بنجالاديش) عن الغربي (باكستان) .

بؤرة ساخنة

كأن ما في داخل باكستان لا يكفيها فيأتي موقعها الجغرافي وسط مجموعة من الجيران يمثلون نقاط التقاء ملتهبة ، فيحدها من الغرب إيران وأفغانستان ويمتد خط الحدود بين باكستان وأفغانستان ، حتى يصل الى أضيق مساحة له ، وهي نقطة الحدود المشتركة بين الصين وأفغانستان والاتحاد السوفيتي ، ومن الشمال الشرقي الصين الشعبية ، ومن الشرق الهند ومن الشمال الشرقي أيضاً ولايتا كشمير وجامو المتنازع عليهما بين الهند وباكستان .

وتبلغ مساحة باكستان حوالي (٨٠٤) آلاف كيلومتر مربع ، وعدد سكانها وفق آخر إحصاء (٩٣,٤) مليون نسمة ، ويبلغ إجمالي الناتج المحلي حوالي (٢٧٧٣٠) مليون دولار تمثل الزراعة منه ٢٤ بالمائة ، والصناعة ٢٩ بالمائة ، والصناعة التحويلية ٢٠ بالمائة ، والخدمات ٤٧ بالمائة .

وقد كان لحساسية موقع باكستان الجغرافي سبب في اهتمام كثير من القوى بها ، وبالفعل تمكنت باكستان من عقد علاقة ذات طبيعة خاصة مع الولايات المتحدة الأمريكية ، ومنذ عهد أيوب خان وكثير من المساعدات الأمريكية تقدم الى باكستان في مجالات مختلفة، وقد وضع أيوب خان أول خطوات بلاده على طريق الصداقة الأمريكية ، والف كتاباً

بعنوان « أصدقاء . . لا سادة » قال فيه ان بلاده تختار طريق المصالح المشتركة مع أمريكا وبالتالي فالبلدان تربط بينهما صداقة ومصالح مشتركة ، ورغم أن المساعدات المدينة الأمريكية لا تمثل أثراً بالغاً ، الا أن باكستان لديها مشروعات تطوير جيدة ـ وتغذي هذه المشروعات الحلم بغد أفضل .

تعد الطبيعة الباكستانية بيئة متنوعة ، فهي تضم الجبال الشاهقة والسهول الشاسعة ، والصحاري القاحلة والوديان الخصيبة وتشغل الجبال وأشباه الصحاري جزءاً كبيراً من البلاد ، وكقاعدة فانه لا يمكن القيام بالزراعة دون وسائل ري صناعية ولأهمية الزراعة في الاقتصاد الباكستاني التقينا بوزير الزراعة وألقينا أمامه بتساؤلات عن موقف انتاج الغذاء والمشكلات الزراعية المختلفة ؟ قال الوزير ·

تعد الزراعة هي المكون الرئيسي للاقتصاد القومي ، وتأتي الصناعة في المرتبة الثانية ، وقد ساعدتنا الطبيعة بأن منحتنا خمسة أنهار،ورغم ذلك فان المشكلة الأساسة أن مياه الأنهار ، لا تصل الى كل الأراضي القابلة للزراعة ، ولذلك فنحن نفتح نظام قنوات الري،والذي يعيقنا أحياناً هو طبيعة الأراضي واختلافها ، لذلك فنحن لدينا الآن مثلاً أراض قابلة للزراعة ، ولكنها غير مزروعة ، لأن توصيل قنوات الري اليها يحتاج الى استثمارات كبيرة ، أما عن موقف الغذاء ، فنحن ننتج زراعات الأغذية في المنطقة الوسطى ، ومنذ عام ١٩٨١ ونحن نحقق الاكتفاء الذاتي من مواد الطعام،واستيرادنا في المواد الغذائية محدد بمواد معينة ، فنحن نستورد سكرا بعض الأعوام،وزيت الطعام والشاي والحليب المجفف ، وهذه السلع ترتبط بالسلوك الاجتماعي والثقافي للسكان،فاستخدام الزيت في الطعام والطهو عادة اجتماعية ، ونحن لا نستطيع تغييره في يوم وليلة ، وبذلك فان استيرادنا للزيت يتزايد عاماً بعد عام وكذلك السكر ، أما الحليب فانتاجنا ولسنوات طويلة ضعيف جداً .

وعلى مستوى آخر فنحن نصدر سنوياً سبعة ملايين بالة قطن ، كما نصدر كميات كبيرة من الأرز وكميات معقولة من الفاكهة .

وبرغم ذلك فنحن لدينا مشروعات لتنمية قطاع الزراعة مثل مشروع التغلب على أخطار المياه الجوفية،وذلك باتباع نظم صرف جديدة تهدف لامتصاص الآثار الجانبية للمياه الجوفية،ومشروع الأبحاث الزراعية كجزء من تنمية قطاع الزراعة ، ولدينا ثلاث كليات زراعية متخصصة أشهرها في فيصل آباد والثانية في السند والثالثة في شاور .

وجزء من مشكلتنا في قطاع الزراعة عدم وجود الكوادر البشرية أو ما نسميه بعنصر الارشاد الزراعي وعدم كفايته وكفاءته،بالاضافة الى معاناتنا شأن بلدان العالم الثالث من هجرة السكان من الريف الى المدن ، فالحياة لدينا في الريف مأساة كاملة ، ولذلك فنحن نحاول أن نقيم بعض الصناعات الصغيرة في القرى التي يسهل الاتصال بها عبر طرق المواصلات مثل صناعات الفاكهة وتعليب الخضروات أو أن نحول الريف الى مدن صغيرة ، ولكن كل هذه المشروعات تحتاج الى تمويل ضخم لأن الطبيعة الجغرافية لدينا في باكستان شديدة القسوة وبرغم ذلك فان الصورة ليست قاتمة تماماً وخاصة أننا في منطقة أمان نسبي من حيث تلبية الحاجات وعلى عكس كثير من بلدان العالم الثالث فإن معدل زيادة السكان لا يلتهم زيادة الانتاج ، فنحن نزداد سكانياً بمعدل ٣,١ بالمائة سنوياً ، بينما يزيد الانتاج الزراعي بمعدل ٥ بالمائة كل عام

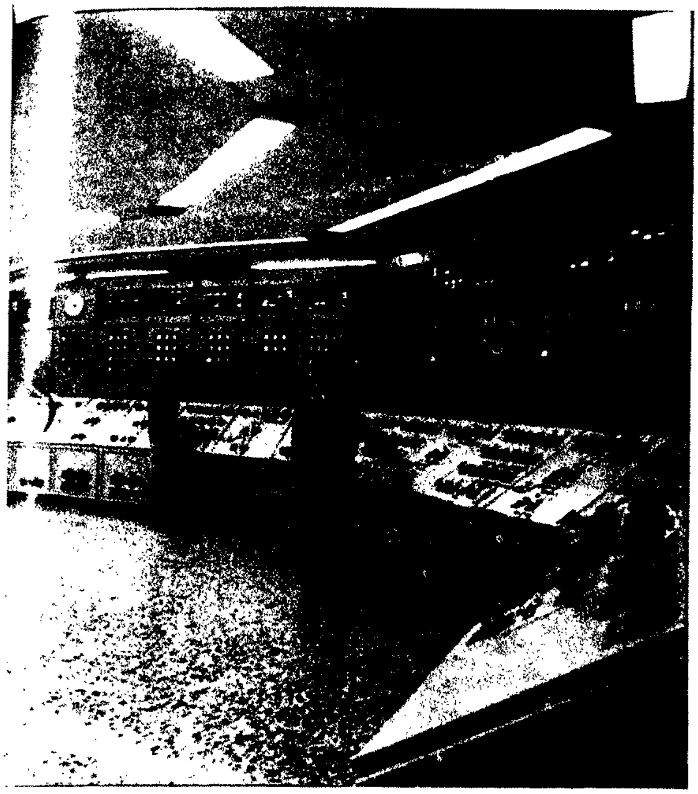
اعــداد للبشر

في مركز الأبحاث الزراعية يحدثنا الدكتور رحمن خان مدير المركز فيقول . «تأسس المركز عام ١٩٧٥ ، والمركز يقدم التسهيلات العلمية والفنية ، كما يقوم بالأبحاث الخاصة بالزراعة والثروة الحيوانية . وفي المركز هنا لدينا أقسام وادارات مختلفة ، فلدينا معامل لدراسة التربة ، ومعامل استنبات للأصناف الجديدة ، ومعامل مختبرات لفحص الأمراض والآفات التي تصيب النبات ، كما لدينا مساحة من أراض تستعمل كمزارع نموذجية ، يجري فيها الباحثون تجاربهم وأبحاثهم ، ويستخدم المركز التقنية الحديثة،ومعظم التحاليل لدينا والمعامل تستخدم الكمبيوتر في التحليل وحفظ المعلومات .

كما لدينا بالمركز معهد تدريب للفلاحين والمرشدين الزراعيين ، فمنذ شهور مثلاً اشترى المركز آلات حرث جديدة ، وجمع ٦٠ مرشداً زراعياً



• في معمل بمركز الأبحاث الزراعية ، وتجارب استنبات معملية



• غرفة تحكم لتوزيع الكهرباء ، احدى مشروعات استغلال مصادر الطاقة المائية .

• د . رحمي حماد مدير مركز الأبحاث الزراعية أمام تجربة حقل نموذجي لزراعة عباد الشمس .







[illegible]

[illegible]



محلياً تدربوا لمدة اسبوعين على استخدام الآلة ، ثم ذهبوا مع آلاتهم الى مختلف مقاطعات باكستان ولدينا مؤتمرات دورية وسنوية للمرشدين الزراعيين ، يأتي إليها المرشدون ليتحدثوا معاً عن تجاربهم ومشاكلهم ويدير الحوار معهم خبراء من أوروبا وأمريكا ومشرفون من المركز ، وفي مثل هذه اللقاءات يتم تبادل الخبرات ، أو تقديم أسلوب علمي جديد لحل مشكلة طارئة غير مألوفة لم يتمكن المرشد من حلها . وعلى مدى السنوات الماضية فقد نجح المركز في تدريب وإعداد ٣٣٠٠ مرشد زراعي .

ويثير نظام عمل مركز الأبحاث الزراعية وإعداده للكوادر حماسنا فنحاول أن نتعرف بصورة شاملة على نظام التعليم في باكستان .

وجمعنا أوراقنا وغادرنا إسلام آباد العاصمة الى لاهور ، وفي جامعة لاهور التقينا بالدكتور رفيق أحمد عضو مجلس الجامعة ، ومدير ادارة التعليم الآسيوي واستمعنا له :

« جامعة لاهور من الجامعات العريقة ، وقد قدمت خدماتها ـ وما زالت ـ للكثيرين من أبناء الهند وبنجالاديش ونيبال ، كما تخدم أبناء منطقة البنجاب في باكستان ، ويبدأ نظام التعليم في باكستان بالمرحلة الابتدائية ومدتها ٥ سنوات ـ وهي الزامية ـ ثم المتوسطة أربع سنوات،ثم العالية ١٠ سنوات ، بعد ذلك يصبح الطالب مؤهلاً للالتحاق بالتعليم الجامعي لنيل درجة جامعية ، وكل هذه المراحل مجانية عدا مرحلة التعليم الجامعي ، ورغم ذلك فهناك عديد من المنح تقدم للطلاب الفقراء والمحتاجين ، منح من البنوك ، ومنح من أموال الزكاة ، وهناك القرض الحسن الذي يمنح بلا فوائد للطلاب من أجل مصاريف التعليم ، ولا يسدد الا بعد التخرج والعمل ، وفي باكستان ٨٢ ألف مدرسة للتعليم الابتدائي يدرس بها ٧,٧ ملايين تلميذ وتلميذة ، وخمسة آلاف كلية وجامعة يدرس بها مليون طالب ، ونحن نطبق النظام البريطاني في التعليم وفي الدرجات العلمية . والتعليم كله باللغة الانجليزية ، رغم أن اللغة الأوردية هي اللغة الرسمية ، ولكن الانجليزية هي اللغة العالمية للعلوم والتقنية .

وبالنسبة لنا في جامعة لاهور فنحن لدينا ما يزيد عن ١٠٠ ألف طالب وطالبة ، والجامعة بها كافة التخصصات ، فلدينا كليات للطب والهندسة وكلية تربية لاعداد المعلمين ، وكلية قانون ، وصيدلة ، وتجارة ، وكلية شريعة إسلامية ومركز تعليم (كمبيوتر)، وتم مؤخراً إفتتاح قسم جديد في كلية الهندسة للطاقة الشمسية ، ومن أبرز نشاطات الجامعة نشرنا لموسوعة الاسلام التي تكونت من ٢٢ جزءاً ونحاول الآن ترجمتها الى العربية والانجليزية .

الجمال المختنق

غادرنا جامعة لاهور ، انطلقت بنا السيارة تجوب الشوارع والطرقات . . الزحام خانق ، المباني قديمة ، كل وسائل المواصلات بلا استثناء تحتشد في الطرقات وتريد كلها أن تسير في وقت واحد ، في احياء المدينة تلمس وجه الفقر والاهمال . . لاهور المدينة الكبيرة الجميلة الرائعة . . ترهلت وأصابتها الشيخوخة ، وهزمها الزمن ، فصارت مهملة فقيرة . . .

الطرق التي تقودك الى معالم لاهور التاريخية . . أصبحت أحياء مكتظة بالسكان شديدة القذارة . . فلا تصدق في النهاية عندما تصل الى قلعتها أو الى مسجدها الشهير أو الى حدائق شاليمار ان هذه الروائع في نهاية هذه الطرق .

لاهور . . مدينة التاريخ والامبراطوريات والأساطير . . من هنا انطلق الاسلام الى كل الهند . . وهنا كانت عاصمة الغزنويين وأمبراطوريات المغول . وبرغم تعدد آثار حضارة المغول الاسلامية في لاهور الا أن القلعة والمسجد وحدائق شاليمار هي أبرز ما يذكر من هذه الآثار التي تعد تحفة معمارية وفنية ما زالت قائمة وشاهدا حيا على حضارة سابقة .

وتعد لاهور قلب اقليم البنجاب ، وهي مدينة تتجمع بها صناعات عديدة ، وحول أطرافها تنتشر القرى ، وفوق ذلك فهي مركز تجاري مهم . وفي أسواق لاهور تلتقط عيناك كل شيء من الجرارات الزراعية المصنعة محلياً الى المشغولات اليدوية من تحف خشبية وسجاد .

وتعد لاهور عاصمة السينما الباكستانية ، ففيها

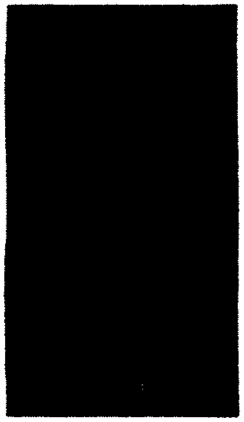
العدد الأكبر من استديوهات التصوير السينمائي في باكستان كلها ، وبها أكبر تجمع للسينمائيين في باكستان .

وتعد السينما مجال الترفيه الوحيد المتاح لسكان باكستان ، ففي مدينة لاهور وحدها يوجد ٧٥ دار سينما،وفي كل باكستان حوالي (٦٠٠)دار سينما ، وهو رقم كبير بلا شك ، وتمثل صناعة السينما كل سمات المجتمع الباكستاني ، فتنتج الأفلام باللغات المختلفة التي تمثل القوميات المتعددة ، كالاوردية ولغة الباشتو ، ولغات البنجاب والسند ، وأكبر أسواق السينما الباكستانية في بنجالاديش ونيبال ومانيلا وتايلاند وسريلانكا وتركيا

والسينما الباكستانية ، رغم سنوات بدايتها القريبة ، الا أنها ازدهرّت حسابياً وتعتمد قصصها على الميلودراما العنيفة ، وعلى التقابل بين الأضداد ، الخير ضد الشر ، والفقر ضد الغنى و وهكذا ، وكما يحدثنا غلام محيى الدين الفقى الأول في السينما الباكستانية ، فان انتاج الفيلم وتصويره « لا يستغرق أكثر من شهر في حالة توافر التمويل والتسهيلات من حجز كاميرات واستديوهات » . ولذلك فلن نصاب بالدهشة اذا ادركنا أن استديوهات لاهور تنتج وحدها ١٢٠ فيلماً سنوياً ، وتبلغ تكلفة الفيلم في حدود ٣ ـ ٤ ملايين روبية ، ولكن عائد الفيلم من التوزيع الداخلي فقط يغطي تكاليفه ، دون الاعتماد على التسويق الخارجي ، ويساعد في ذلك كما أوضحنا كثافة عدد السكان ، وافتقادهم لوسائل الترويح ، ويبدو أن ادراك الحكومة لذلك هو السبب في فرض ضرائب تصل الى ٥٠ بالمائة على كل تذكرة تباع في السينما ، ورغم ذلك فأسعار التذاكر رخيصة تماماً ، ويعوض رخص ثمنها الإقبال الكبير والتردد المستمر ، الذي يحقق عائد بيع مرتفع يغطي رخص ثمن التذكرة .

ولذا فمن المألوف في بعض الأحيان أن يستمر عرض بعض الأفلام الجيدة لأكثر من عامين وثلاثة أعوام ، رغم أن كل دور السينما تقدم يومياً ٣ حفلات ، وفي أيام المناسبات والأعياد تقدم ما بين ٤ الى ٥ عروض يومياً ، ولذلك فان نجوم السينما


● مدير مستشفى الشيخ زايد


● وزير الزراعة

يمثلون شريحة خاصة في المجتمع ، ونتيجة ارتفاع أجورهم فان العمل في مجال السينما أصبح حلماً يراود كثيراً من أبناء الطبقة المتوسطة

وفي أحد استديوهات التصوير وفي فترة راحة بين تصوير المشاهد ، سألت دوردنا رحمن واحدة من أشهر ممثلات السينما الباكستانية عن مستوى تحصيلها العلمي ، فوجئت أن النجمة البطلة لا تعرف كلمة واحدة من الانجليزية وتولى مرافقنا الترجمة ، فقال لنا انها هجرت المدرسة قبل أن تتم المرحلة المتوسطة ، وعندما سألتها عن دخلها مقارنة بدخل زملائها الذين كانوا معها بالمدرسة ؟قالت : انها تحقق دخلاً يفوق ما يمكن أن يحصل عليه زملاء فصلها كلهم ، حتى لو كانوا قد اتموا تعليمهم الجامعي .

واجهـــة مشرقـــة

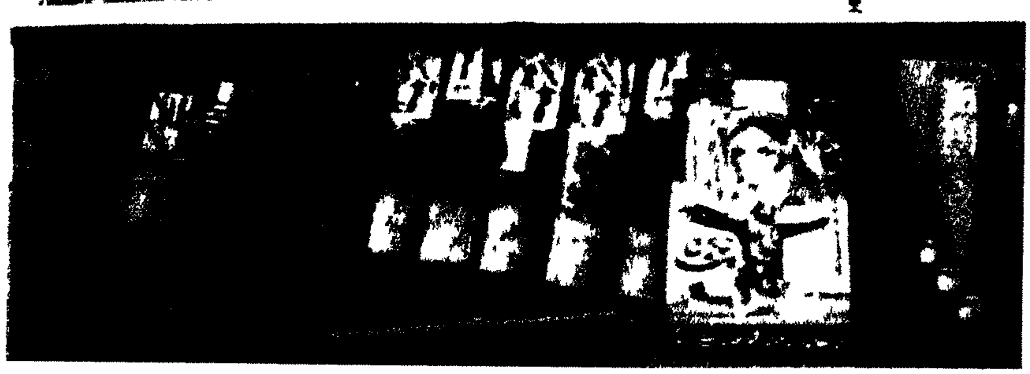
وفي وسط الترهل الذي أصاب لاهور بفعل الزمن والأزمات . . يظل مجمع الشيخ زايد آل نهيان الطبي كواجهة مشرقة مضيئة ، وقد بني المجمع الطبي الشامل بتمويل يكاد أن يكون كاملاً من الشيخ زايد آل نهيان رئيس دولة الامارات العربية المتحدة ، كهدية منه الى شعب باكستان . . وكانت زيارتنا للمجمع بمثابة النهاية السعيدة ـ على طريقة السينما الميلودرامية ـ لرحلتنا الى باكستان ، فالمجمع وخدماته انجاز بالغ الروعة .

يحدثنا الفريق أول دكتور محمد أبو ظفر محيي الدين مدير المجمع فيقول : ـ















* مصنع أحذية في لاهور . . احد التوكيلات لشركة عالمية كبرى هو جزء من نشاطات القطاع الخاص .

« بني المجمع على مساحة ٥٠ هكتاراً ، وهو يضم ثلاثة مجمعات ، الأول مستشفى الشيخ زايد ، والثاني معهد فيدرالي لدراسة الطب ، والثالث مركز بحوث اكلينيكية متطورة . ويقدم المجمع خدمات طبية متطورة وجديدة ، وما زلنا في المراحل الأخيرة من مشروع استكمال خدمات المجمع .

ونستطيع أن نقول اننا استكملنا كل الخدمات الأساسية ، سواء أقسام المرضى وكلية الطب أو مركز الأبحاث ، وتعمل كل هذه الأقسام وتؤدي خدماتها الآن ، ولكن هدفنا في هذه المرحلة هو تطوير وتوسيع نطاق هذه الخدمات .

فعلى سبيل المثال في المستشفى ٣٦٠ سريراً ، نأمل أن تصل الى ٥٠٠ سرير ، وكل مريض يأتي الى المستشفى هو مريض مهم ، ونقدم له الخدمات الطبية مجاناً ، فقط يقدم المريض ورقة يقول فيها أنه فقير ، ولا نتقاضى منه سوى رسم دخول لا يتجاوز خمس روبيات ، أي ما يعادل ربع دولار ، وتقدم له بعد ذلك كل الرعاية من فحص وعلاج ودواء وجراحة مجاناً ، باستثناء رسم القلب فيسدد عنه رسم مقداره عشر روبيات ، رغم أنه في كل باكستان يكلف هذا النوع من الخدمة ما بين حوالي ٥٠ ـ ٧٠ روبية .

وبجانب الخدمة الطبية المجانية لدينا عدد من الأسرة نتقاضى عنها رسوماً وذلك من القادرين ، وهي مائة سرير للعلاج الاقتصادي ، يدفع المريض ١٠٠ روبية في اليوم ، تمثل تكاليف إقامته وعلاجه كاملة ، ولدينا نظام غرف آخر مخصص له ٦٠ سريراً موزعة على غرف خاصة نتقاضى عنها ٣٠٠ روبية في اليوم ، وكل العلاج والاستشارات يدفع المريض تكاليفها . أي إننا نطبق نظاماً يدفع فيه القادرون كي نتمكن من علاج المحتاجين والفقراء وما أكثرهم .

وبجانب المستشفى فان الكلية تقدم التأهيل العالي ، وجميع أساتذة الكلية أطباء في نفس الوقت بالمستشفى ، ونخطط الآن لبدء مرحلة الدراسات العليا في الكلية لمنح الدبلوم والماجستير والدكتوراة .

أما مركز الأبحاث فهو يضم نخبة الباحثين في المجالات الطبية المختلفة والطاقم العلمي بأكمله مؤهل بأعلى درجات التأهيل ، وينقسم عمل المركز الى قسم يقدم خدمات البحث والتحليل للمستشفى ، وقسم بحوث علمية لديه خطط بحوث في مجال العلوم الطبية ، والقسم الثالث والأخير هو قسم الباحثين الجدد ، وفيه يتم تدريب الباحثين بعد تخرجهم ، أو تأهيل الطلاب المسافرين الى الخارج للحصول على درجات علمية ، بحيث يسافر الطالب بعد فترة تأهيل وتدريب مكثفتين ، لكي يحقق أفضل نتائج ممكنة في بعثته .

ولدينا خطط في المركز والمستشفى تشغل بالنا ،

مثل كيفية الاسهام في حل المشكلة الصحية في باكستان ، المتمثلة في انتشار الملاريا والتيفود في كل الريف الباكستاني ، وكيفية تقديم الخدمة الصحية المباشرة على مستوى الوحدات الصغيرة ، بحيث تصل الى كل تجمع سكاني ، وأتصور ان هذين المحورين - بالاضافة الى نشر الوعي الصحي - سيسهمان كثيرا في تخفيف وطأة المشكلة الصحية .

وقد ساعدتنا ظروف كثيرة في هذا المجمع ، فنحن لم نبدأ كمستشفى صغير ، بل منذ اليوم الأول ونحن نعمل بنظم احدث المستشفيات العالمية ، ونستخدم ارقى ما وصل اليه العالم من تقنية في الادارة والطب ، وهذا يسهل علينا كثيرا كل عمليات التطوير ، لأن الاساس متطور وقائم على قواعد علمية .

كاهوتا

رغم بطء نمو بعض القطاعات الاقتصادية والصناعية في باكستان ، وتخلف البعض الآخر ، فانلدى باكستان قطاعاً بالغ التطور والتقدم ، وتحيطه بكامل الرعاية الممكنة والسرية المطلقة ، ونعني به قطاع البرنامج النووي ، ويقع المفاعل النووي الباكستاني في منطقة كاهوتا ، وقد بدأ البرنامج منذ فترة زمنية طويلة قدمت فيها الولايات المتحدة الأمريكية في البداية مساعدات معقولة إلى باكستان ، ولكن الحكومات العسكرية المتعاقبة لم تعتمد فقط على الولايات المتحدة ، وانتهجت سياسات لتطوير برنامجها النووي ، بعيدا عن الاعتماد على مصدر واحد ، وكان الخيار الباكستاني مطلقا ، ففي تصور واضعي السياسة الباكستانية وخاصة من النخبة العسكرية ان امتلاك القوة النووية أمر لا يمكن التنازل عنه في مواجهة الهند بالدرجة الأولى ، وفي مواجهة جيرانها الأقوياء ، وتحسبا لدورها الاقليمي كما تتصوره .

ولذلك فقد أعلنت باكستان أكثر من مرة أن أي إعتداء من قبل الهند على منشآت برنامجها النووي يعني الحرب بين الجارتين .

ويظل موضوع الاعتداء على هذه المنشآت هاجس الباكستانيين الدائم ، ولكن بعد عودتنا بأيام قليلة تناقلت وكالات الأنباء خبرا عن بدء المحادثات بين الهند وباكستان للتوصل الى حل لهذه المشكلة وذلك عن طريق عقد اتفاقية عدم اعتداء على المنشآت النووية . بين الهند وباكستان .

أضغاث أحلام

بعيداً عن المدن بقليل تتناثر قرى الريف الباكستاني ، والحياة فيها صعبة قاسية ، في جولتنا حول المدن . . رأينا الطلاب يجلسون في الأرض العراء . . ومعهم المعلمون ، وعندما سألنا مرافقنا قال لنا ان هذه هي احدى مدارس الريف ، سألناه وماذا يفعلون عندما يهبط المطر ، قال بابتسامة عريضة تتوقف الدراسة ، كما تتوقف المواصلات .

وبرغم كل هذه الحياة التي يحياها ريف باكستان ، فانه يحمل داخله إمكانية للتطوير ، فالأراضي القابلة للزراعة في باكستان تقترب من ٢٢ مليون فدان ، يزرع منها الآن ما لايزيد عن ١١ مليون فدان ، ومتوسط غلة الفدان في محصول كالقمح تبلغ « ٢,٤طن » ، بينما المتوسط العالمي العادي يقترب من ٣,٥ أطنان ، وكما يقول أحد كبار خبراء الزراعة العرب ان زراعة جميع الاراضي في باكستان ، مع قدر من التطوير وتحسين أساليب وأدوات الانتاج الزراعي ، سيرفع معدل غلة الفدان الى ٣ أطنان ولو حسبنا انتاج جميع الاراضي القابلة للزراعة هناك لأصبح ما يقترب من ٦٠ مليون طن قمح ، أي ثلاثة أضعاف ما يستورده الوطن العربي كله من القمح .

وتذكرت ان تكاليف انشاء المسجد الكبير الفخم الضخم كانت قادرة ان تمول هذا المشروع ، او على الاقل تبني مدارس لهؤلاء الاطفال . . وتذكرت ان احلام الناس بالعدل قد ولت مع السنوات الأولى ، وأن تطبيق الحلول المثالية بدأ بالحدود ولم يبدأ بالكفاية والمشاركة . .

وهربا من كل تواليات الصورة فتحت أوراقي وأخذت أقرأ بعض أشعار الشاعر محمد إقبال - رحمه الله وغفر له - وبدأت أستعرض أحلام الشعراء وأفعال الساسة !!

وعندما انطلقت بنا السيارة إلى المطار . . أخذت أقطع الوقت بمحاولة قراءة الآيات القرآنية والشعارات الدينية المكتوبة بالعربية والأوردية وأحاول أن أكتشف الخطوط المتماثلة والمتشابهة بين الاثنين . □



عبقري العمارة الإسبانية

بقلم طارق خالد الجحي

[illegible]



جذور تكوينها منذ الطفولة حتى الشيخوخة ، فقد عاش حياة مميزة ، وأنتج أعمالا معمارية فريدة بطابعها وأسلوب بنائها ، فانعكست فيها شخصيته ، وأفكاره ، وفلسفته في الحياة . وقد مر غاودي بمراحل مختلفة ، دفعته - فيما بعد - إلى الاهتمام العميق بالنواحي الدينية ، فكان كلما تقدم في السن ازداد زهدا ، حتى أنه عاش العقد الأخير من حياته كناسك فقير ، حيث نبذ كثيرا من المظاهر الدنيوية والنواحي المادية ، خاصة بعد أن فقد جميع أفراد أسرته على فترات متفاوتة خلال مراحل حياته .

ومما يزيد من اهتمامنا بهذا الفنان المعماري العظيم أنه استعمل في أعماله بعض العناصر المعمارية ذات الطابع العربي التي أضافت الكثير إلى أسلوبه المعماري .

نفس حزينة :

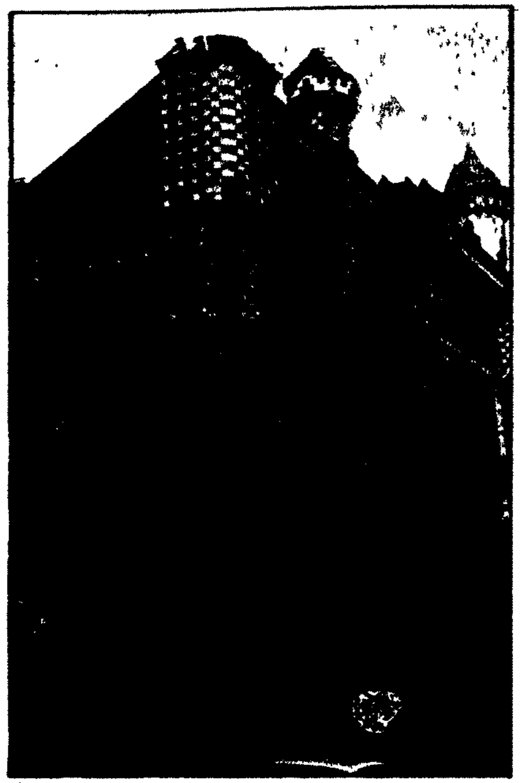
ولد انطونيو غاودي عام ١٨٥٢ م في أسرة متواضعة ، في قرية بالقرب من مدينة طرّقونة ، الواقعة على ساحل البحر الأبيض المتوسط ، إلى الجنوب من مدينة برشلونة ، في اسبانيا ، وبعد إتمام دراسته الثانوية انتقل إلى المدينة ، ليلتحق بكلية الفنون المعمارية ، وقد عاش في برشلونة بقية حياته ، وأصبح أحد أشهر أبنائها ، لما قام به من أعمال معمارية عظيمة فيها ، وفي مناطق أخرى متعددة .

اهتم غاودي بالفنون والفلسفة ، بالاضافة إلى أوضاع بلاده الاجتماعية والسياسية ، إذ كانت اسبانيا تمر بحالات من التوتر والخلافات الداخلية التي سبقت الحرب الأهلية الاسبانية في ثلاثينيات هذا القرن ، وكان النزاع قائما على أشده ، خاصة بين برشلونة عاصمة القطر الكاتالوني - ومدريد - عاصمة البلاد المركزية ، وكان غاودي من المتحمسين ضد سلطة مدريد المركزية ، كما كان حال معظم سكان كتالونيا ..

ومن أهم الأحداث التي أثرت على شخصية غاودي خلال مراحل تكوينها وفاة والدته وهو في الرابعة عشرة من عمره ، وهو أصغر خمسة إخوة توفي بعضهم وهم صغار ، وتوفي الآخرون في سن الشباب ، ولم يبق له بعد ذلك في الدنيا غير والده وابنة أخته التي كانت بمثابة ابنته ، وقد رافقته ، وخدمته فترة طويلة من حياته العملية ، حتى توفيت وهي مازالت في مقتبل العمر .

كان لهذه الأحداث المحزنة أثر بليغ في نفس غاودي ، وتكوين شخصيته ، وقد ظهرت نتائجها فيما بعد ، فمن الواضح أن وفاة جميع أفراد أسرته بالاضافة إلى وفاة بعض أصدقائه المقربين قد أدى به إلى نبذ هذه الحياة بمظاهرها المادية ، فنبذ حتى الزواج ، وأخذ يهتم أكثر بالمعاني العميقة ، والنواحي الروحية في الحياة ، فكانت النتيجة أنه اتجه إلى الأفكار الدينية ، ليجد فيها الدواء ، لما كان يعانيه من حزن وأسى لموت أقاربه وأحبائه .

عندما بدأ غاودي أعماله المعمارية الأولى ظن بعضهم أنه مصاب بشيء من الجنون ، لما بدا في تلك الأعمال من غرابة في الشكل تخرج بها عن نطاق المألوف وماكان متعارفا عليه ، لكن ثقته بنفسه وعمله مكنته من الصمود ، وكسب تأييد بعض المعجبين بأعماله ، وكان من أبرز الشخصيات التي ساندته وشجعته على الاستمرار في شق هذا الطريق الجديد عدد من الأثرياء ، على رأسهم ثري يسمى (جيل) ، كان له نفوذ كبير في مدينة برشلونة . وقد طلب عدد من هؤلاء - وبخاصة ذلك الثري جيل - أن يقوم غاودي بتصميم مبان سكنية لهم ، أو بعض المشروعات المعمارية الأخرى ، تشجيعا له ولقدراته الفنية ، وذلك عندما بدأ نجمه بالظهور ، وقد أصبحت جميع هذه المباني - فيما بعد - من أهم معالم مدينة برشلونة المعمارية ، وهكذا دخل غاودي إلى عالم الشهرة الذي رفض منه جميع صور الثراء والترف ، فعلى الرغم من تعرفه على علية القوم -



أحد المساكن الخاصة التي يكثر فيها استعمال السيراميك على الجدران الخارجية .
(من أول المباني التي صممها غاودي)

خلال مراحل عمله - وارتباطه بصداقة بعض كبار الأثرياء آثر أن لايسلك مسلكهم ، وألايكرس نفسه لجمع المال والثروة ، بل إنه حول تطلعاته وآماله إلى النواحي الروحية والفكرية ، وكرس حياته للنبوغ بفنه المعماري .

فن العمارة العربية :

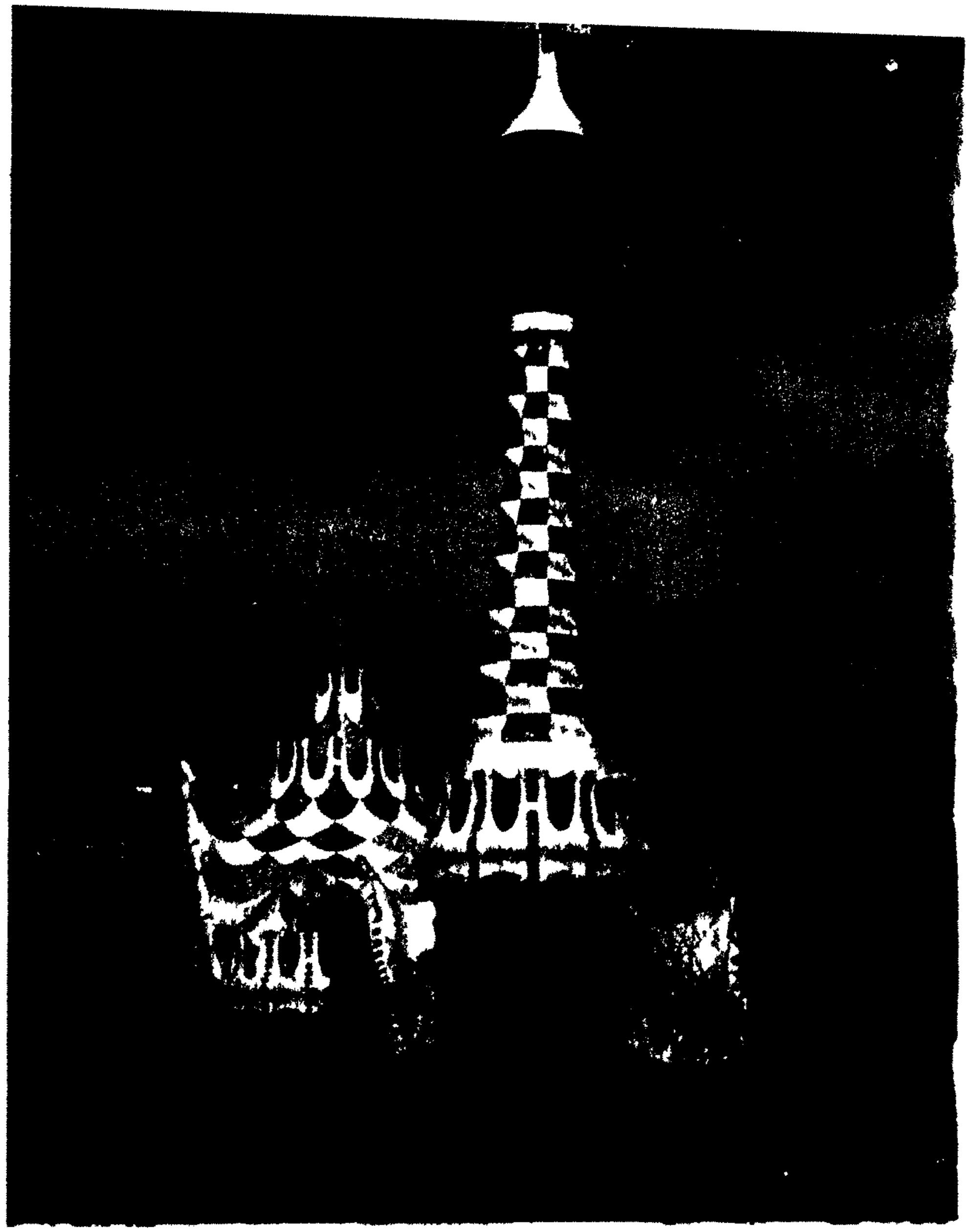
استمد غاودي العناصر الفنية التي تكون منها أسلوبه المعماري من ثلاثة مصادر ، هي الطبيعة بكل مافيها من أشكال وألوان ، حيث استوحى منها عناصر كثيرة ، غذت نشاطه الابداعي ، وإنتاجه الفني ، دون حدود ، كما استمد عناصر كثيرة من فنون العمارة الأوروبية (الكلاسيكية) منها والقوطية ، وصبغها بطابعه الخاص ، وخرج بها من قوالبها الجامدة ، والمصدر الثالث الأخير هو فن العمارة العربية التي ازدهرت خلال العصور الاسلامية في اسبانيا ، والتي مازالت آثارها موجودة في بعض مناطق اسبانيا حتى اليوم ، خاصة في جنوب تلك البلاد ، وقد استمد منها غاودي عناصر فنية مختلفة ، استخدمها في مبانيه الأولى ، لاسيما في تزيين الحجرات الداخلية ، بالاضافة إلى الأشكال الخارجية . وهكذا ابتكر غاودي طابعه المعماري الخاص به ، منذ البداية ، بحيث يمكن تمييز طابعه هذا عن سواه ، ثم تطور فأصبح أسلوبه هذا مدرسة جديدة في عالم فنون العمارة

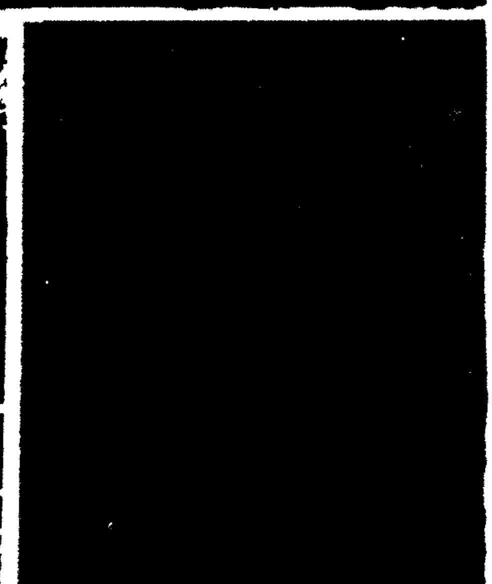
وقد أدت المواهب الفنية التي كان يتمتع بها إلى فهمه العميق لأصول التكوين والانشاء المتعددة في الظواهر الطبيعية وأساليبها ، بالاضافة إلى تعرفه على خواص مواد البناء من حجر وآجر وغيرها من المواد المختلفة ، وفهمه الكامل لحركة الضوء في الطبيعة ، وانعكاسه على الأشكال والسطوح الهندسية ، وعلاقته بالألوان ، ولأن جميع هذه الأمور تعتبر من الضروريات لعملية الابتكار والتصميم والبناء كان يتعامل معها جميعا ، ويطبقها عمليا ، وكأنها جزء من كيانه وفكره وروحه ، لأن مواهبه كانت تمكنه من أن يرى تلك الصلة - الخفية أحيانا - بين الانسان والطبيعة من حوله ، بكل أعماقها وتفرعاتها ، وتشابك تلك الفروع ، فتبدو أعماله المعمارية كأنها قطع فنية هائلة ، قامت بنحتها يد فنان مبدع ، بكل أناة وصبر ، وهذا مما أدى إلى تأثر بعض كبار فناني عصرنا الحديث بهذه الأعمال المعمارية البديعة ، وإن يستمد بعضهم الالهام لأعمالهم الفنية المختلفة منها .

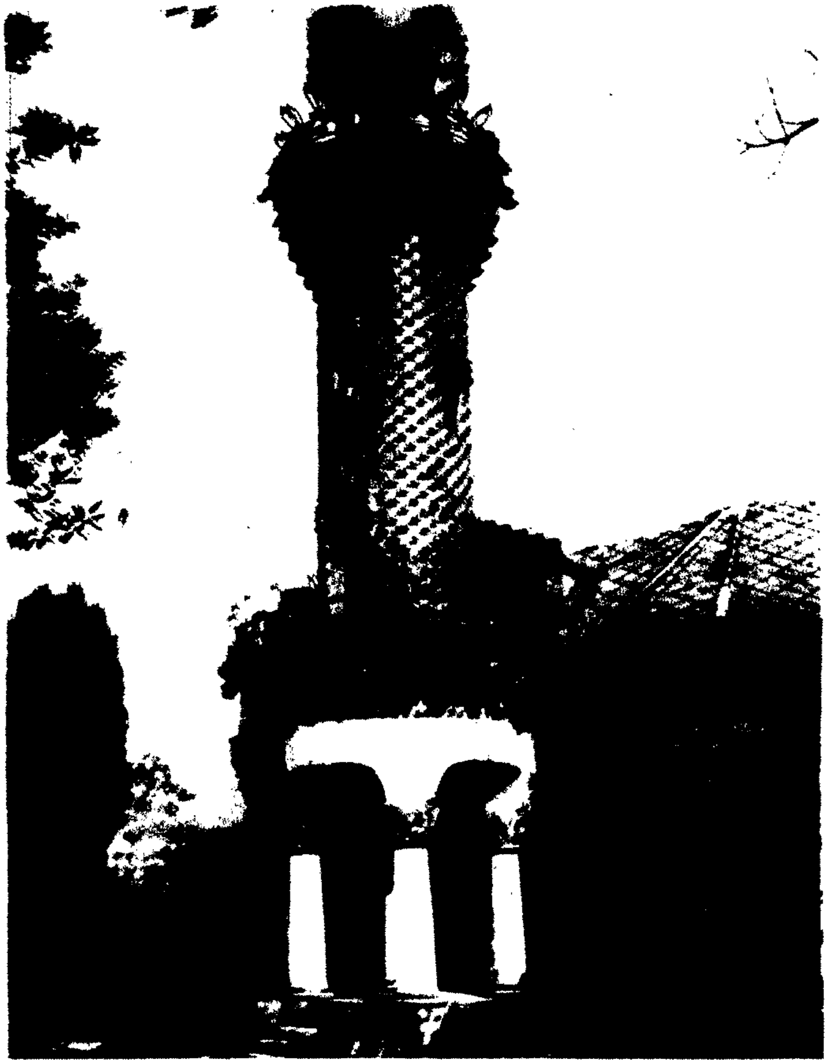
معبد العائلة المقدسة :

أهم أعمال غاودي المعمارية كنيسة ضخمة في برشلونة ، تسمى « معبد العائلة المقدسة » ، بدأ العمل فيها قبل أكثر من مئة عام (١٨٨٢ م) ، ولم يكتمل بناء نصفها حتى الآن ، وقد يتطلب إنجازها

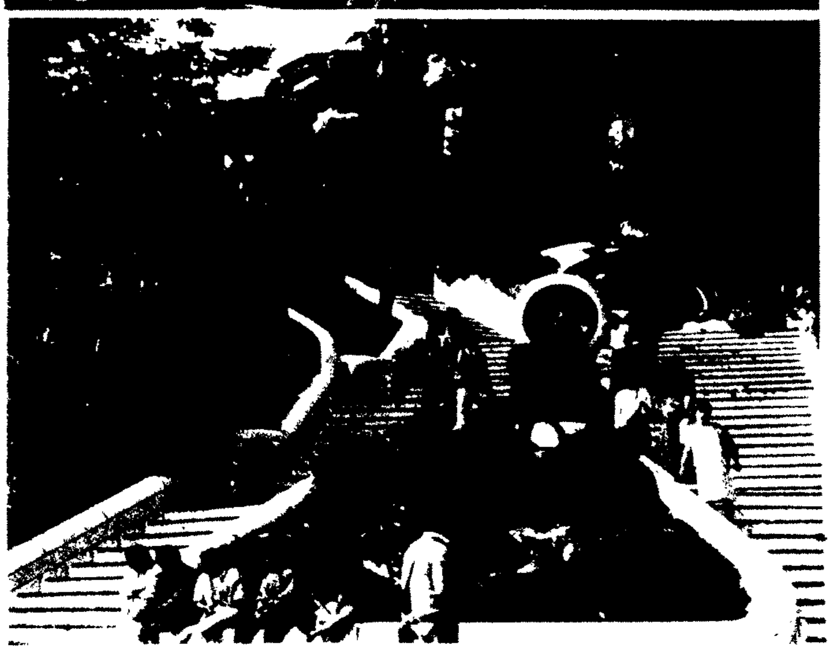














بعض المباني الغريبة
التي قام بتصميمها
انطونيو غاودي
عند مدخل المتنزه
التي استمدها من
العمارة الاسلامية
في الأندلس



العمارة السكنية التي صممها غاودي وقد أطلق عليها الناس اسم « مقلع الحجارة » لغرابة شكلها الخارجي

قرنا آخر من الزمان

لقد امضى غاودي أربعين عاما من عمره يعمل في هذا المشروع الضخم حتى يوم وفاته (١٩٢٦) ، وفي ذلك دليل على تفانيه في عمله ، وإخلاصه إلى أبعد الحدود ، وهذه إحدى الصفات النادرة التي تميز بها عن غيره من العاملين في هذا المجال ، سواء من معاصريه أو من الأجيال اللاحقة ، حيث تحولت هذه الأعمال إلى مجالات تجارية بحتة

ومما يميز هذه الكنيسة الضخمة أبراجها العالية الغريبة الشكل التي يزيد علو بعضها على مائة متر ، وقد أنجز منها حتى الآن ثمانية أبراج ، وبعد تكامل البناء سيزيد عددها على اثني عشر برجا .

صممها غاودي على النمط القوطي الحديث ، وستكون من أضخم المباني في العالم بعد اكتمالها .

ومن مميزات أسلوبه المعماري أنه لم يكن يكتفي بتصميم المبنى والاشراف على بنائه فقط ، بل إنه كان في كثير من الحالات يصمم فيه كل صغيرة وكبيرة ، حتى قطع الأثاث في كل حجرة ، والنوافذ والأبواب بخشبها وزجاجها التي تصنع خصيصا ليتكامل التناسق والانسجام بين جميع الأجزاء بدون استثناء

ولايمكننا هنا إلا ذكر بعض أعماله المعمارية ، فنذكر منها أشهرها وأكثرها غرابة ، ولأنه لايمكننا أن نعرض الأجزاء الداخلية من هذه المباني نكتفي بالأشكال الخارجية فقط .

المباني السكنية :

من أهم المباني السكنية التي صممها غاودي في برشلونة عمارة سكنية ، تسمى (كازا ميلا) ، وتسمى كذلك بما معناه « مقلع الحجارة » ، بسبب شكلها الخارجي الذي يجعلها تبدو كأنها جزء من جبل صخري ، نحتت جوانبه ، وهي عبارة عن بناية من الحجر المنحوت يدويا ، وتحتوي هذه البناية على شقق سكنية مكونة من جزأين ، لكل جزء منهما مدخل وبهو خاص به ، وقد بدأ العمل بها عام ١٩٠٥ وانتهى عام ١٩١٠ م .

ومن أعماله المعمارية الأخرى بناية تسمى بيت الشرفات (كازا باتيو) ، ويسميها سكان برشلونة « ذات الأقنعة » ، وذلك بسبب شكلها الخارجي ، ومافيه من شرفات صغيرة تشبه الأقنعة ، وقد كانت - أصلا - بناية قديمة ، قام غاودي بإعادة تصميمها عام ١٩٠٥ ، فكساها ثوبا مميزا لامثيل له ، وغير من شكلها الخارجي والداخلي ، فبدت كأنها بناية جديدة حلت مكان القديمة ، وهذا مثال آخر على مقدرته الفنية ، وموهبته التي تتعدى الحدود المألوفة ، بل قد تدخل إلى عالم الخيال والابتكار .

بالاضافة إلى المباني المختلفة التي صممها غاودي خلال حياته العملية طلب منه الثري (جيـل) عام ١٩٠٠ أن يصمم لـه ضـاحيـة ، خـارج مـدينـة برشلونة ، فوق بعض المرتفعات المطلة على المدينة ، تتكون من منازل سكنية متباعدة ، تحيط بها الأشجار والحدائق ، داخل سور له بوابات متعددة ، فكرس غـاودي سنـوات طـويلة من حيـاتـه لتصميم هـذا المشروع ، والاشراف على تنفيذه ، ولظروف قاهرة اضـطر صاحب المشـروع إلى التخـلي عن الفكـرة الأولى ، والاكتفاء بجعل هذا المكان منتزها خاصا ، يحتوي على الحدائق الجميلة ، والممرات الملتـوية ، والمباني ذات الأشكال الغـريبة ، وقـد تم بناء أهم أجزاء هذا المتنزه عام ١٩١٤

لقـد أبدع غـاودي في هـذا المشـروع ، وأطلق العنان لخياله الخصب ، وحاكى الطبيعة بلا قيود ، فالموقع خارج المدينة قد هيأ له المجال لتطبيق كثير من الأفكـار والابتكارات التي طـالما طـافت بمخيلتـه ، ومكنه الفضاء الرحب أن يصمم ويشيد المباني التي تنبع أشكالها من فكره ووجدانه .

ومما يلفت النظر في هذا المتنزه الجميل الطريقة التي استخدم بها غاودي مواد البنـاء الطبيعيـة من حجر وغيره ، خاصة استعماله لقطع (السيراميك) الملونة التي كانت مخلفات مكسرة ، جمعها وكسا بها الجدران والمساحات الخارجية في كثير من أنحاء هذا المتنزه ، لاسيما الجزء الذي يتوسط الحدائق ، وهو عبارة عن مقعـد حجري ملتـوٍ ضخم ، يحيط بساحـة واسعة مكشوفة للعب الأطفال ، وقد استعمل غاودي قطع (السيراميك) الملونة بأسلوبـه الخاص في كثـير من أعماله المعمارية بشكل مدهش ، مما جعلها جزءا من طابعه المعماري المميز .

والآن بعد أن توسعت مدينة برشلونة ، وأصبح عدد سكانها بالملايين ، فإن كثيرين منهم - إضافة إلى أعداد كبيرة من السائحين - يجدون متعة كبيرة بقضاء بعض الوقت في أحضان الطبيعة ، داخل هذا المكان الـذي تحول إلى متنـزه عام ، ويسمى الآن حـديقة (جيل) ، نسبة إلى ذلك الثري الشهير .

حين فقدت برشلونة ابنها :

هـذه بعض الأمثلة القليلة من أعمـال غـاودي المعمارية التي قـد يجد فيهـا الفنان العـربي مصدرا للالهام ، بعد فهم أسرارها وخفاياها التي تتـطلب دراسة متعمقة وافيـة ، فوراء جميـع تلك الأشكال الهنـدسيـة الـظاهـرة للعين تكمن أسس وقـواعـد ونظريات فنية ومعمارية وعلمية ، خرج بها غاودي بعد دراسة عميقة لأصول الانشاء والتكوين ، ولمافي الطبيعةُ من ظواهر وأسرار ، أهلته مواهبه الفطرية لفهمها وتطبيقها . لقد غاص هذا الفنان إلى الأعماق الدفينة ، بينما ظل كثيرون من دعاة الفن في الغرب ينبشون القشور

يعتبـر هذا المهنـدس المبتكـر قـدوة لكـل فنـان ومهنـدس بعمله المـواصـل ، وتفـانيـه إلى أقصى الـدرجات ، ليس طمعـا في جائـزة أو مـال ، بـل ليـرضي نـزعتـه ، وليضيف إلى تـراث البشـريـة الكثير .

توفي انطونيو غاودي سنة ١٩٢٦ ، عن عمر يناهز الـرابعـة والسبعـين ، في حـادث دهس ، في أحـد شوارع برشلونة ، فقد صدمه قطار كهربائي ، نقل على أثر ذلك إلى المستشفى دون أن يدري أحد أنه ابن برشلونة الشهـير ، وذلك لأنـه كان يلبس مـلابس متواضعة جدا ، فحسبه الناس أحد الفقراء ، لكن أصدقاءه المقربين وجـدوه في المستشفى بعد البحث والتدقيق ، وقد توفي بعد ثلاثة أيـام من إصابتـه ، ودفن داخل الكنيسة العـظيمة التي قضى أكـثر من أربعين عاما يعمل على إنشائها ، وقد شاركت جماهير برشلونة كبار المسئولين في تشييع جنازته . وهكـذا فقـدت برشلونـة - بل اسبـانيا كلهـا - أحد أعـظم أبنائها ، ذلك الفنان الذي خلف ثروة معمارية وفنية عظيمة ، لاتقدر بأي ثمن ، لكنها تحمل ذكـراه إلى الأبد ، وتذكر الأجيال بفنه المميز الأصيل . □

دقّة. مهارة. توقيت. رولكس.



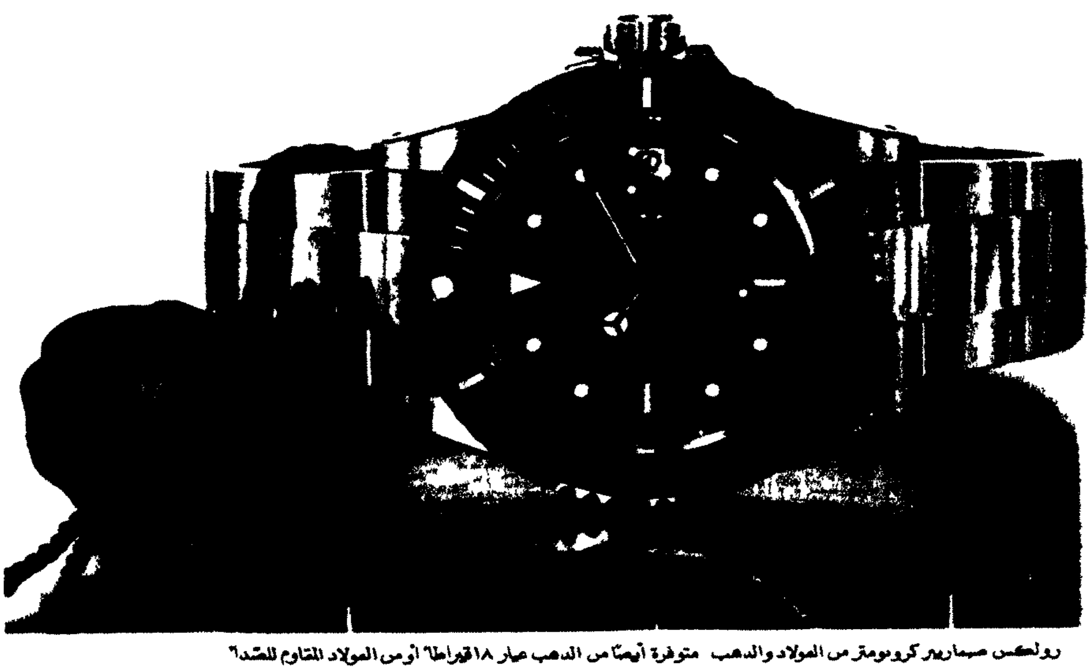
قُدامى المتنافسين في السباق يتصادم بعضهم مع بعض، والاسماء الصاعدة تأتي بمفاجآت جديدة لم تكن في الحسبان. مسرح الأحداث يقوم قبالة ستارة خلفية لمشهد يأخذ بمجامع الالباب. الاثواب عفوية، غنية بالألوان، حديثة الزي أنيقة.

الوقت هو رولكس.

آلية الحركة الدقيقة في ساعة رولكس أويستر محمية داخل علبة أويستر محارية صلدة.

بالنسبة للطاقم والملاّحين على السواء، الحاجة مُلِحّة
إلى الدقة والاعتمادية في كل مرحلة.
رولكس مُعترف بها أداة توقيت جوهرية لأحداث
بمثل هذا المستوى من المكانة والاعتبار.

ROLEX | رولكس



رولكس صبماريبر كرونومتر من الفولاذ والذهب. متوفرة أيضاً من الذهب عيار ١٨ قيراطاً أو من الفولاذ المقاوم للصدأ

وجهاً لوجه





رسول حمزاتوف و سليمان الشيخ

■ كل اللغات جيدة وعظيمة لشعوبها . ■ « ألف ليلة وليلة » كانت كتابا دائما على مائدة حياتنا . ■ كان أبي يكتب بعض شعره باللغة العربية . ■ لقد « أنسنت » الأشياء . . لأرد « دَيْنَ » بلدي عليَّ ! ■ اذا شدّ صديق طيب على يدك ، فان يدك لا تذوب في يده . ■ أحب بعض شعر المتنبي ودرويش وبسيسو والقاسم . ■ يحارب الرجال من أجل الوطن . . ومن أجل المرأة أيضاً . ■ « شملة » شامل كانت رمزاً للدفاع عن الأفكار الوطنية . ■ علاقة الشاعر بالناقد كعلاقة السائق بالشرطي ! ■ الشعر موهبة لا تنتقل بعدوى المعايشة .

« اللوتس » كانت آخر جائزة ينالها الكاتب الداغستاني السوفييتي رسول حمزاتوف ، وقد منحتها اياه منظمة كتّاب آسيا وافريقيا في نهاية سنة ١٩٨٦م ، وتعتبر الجائزة من الجوائز المهمة على الصعيد الأدبي العالمي .

قبل ذلك كان حمزاتوف قد حصل على جائزة لينين ، وجائزة الدولة ، ولقب بشاعر الشعب الداغستاني .

له في الشعر والنثر حوالي ٥٠ كتاباً ، ترجمت الى الكثير من لغات بلدان الدنيا ، وقد صدر كتابه المشهور « بلدي » مترجما الى العربية سنة ١٩٧٩ ، وهو الكتاب الذي ضمنه خلاصة حكمة أهل بلاده وعاداتهم وتقاليدهم وتجليات حياتهم الثقافية .

ولو راجع أي متابع أعداد مجلاتنا الثقافية العربية خصوصاً الشهرية والفصلية منها، سيكتشف أن حظ نتاجات حمزاتوف في الترجمة والنشر أكثر بكثير من حظ نشر بعض نتاجات شعرائنا العرب .

وقد أجرى معه هذا الحوار سليمان الشيخ المحرر في « العربي » في « ماختشكلا » عاصمة داغستان .

رسول حمزاتوف شاعر شعب صغير في داغستان (يوجد في داغستان أكثر من ٥٠ لغة ولساناً) هو الشعب الافاري الذي لا يصل تعداده الى نصف مليون انسان ، ومع ذلك فان عشرات المجيدين في الشعر وفي غيره برزوا من بين أبناء هذا الشعب .

حمزة تسادسا ـ على سبيل المثال ـ والد رسول .. أطلقوا عليه لقب شاعر الشعب من قبل ، ونال جوائز كثيرة قبل ابنه رسول ، وبعض شعره كتبه بالعربية (توفي سنة ١٩٥١) وكذلك الشاعر محمود ، وغيرهما .. وان دل هذا على شيء فانما يدل على أن كثرة الشعب أو قلته ليست معياراً وحافزاً لبروز أدباء مجيدين من بنيه .

رسول الشاعر الذي أخذ يدق أبواب الخامسة والستين من عمره ، زار معظم بلاد الدنيا ، ومنها بعض أقطارنا العربية ، ولكنه كان يغني بعد أن يعود :

« البلاد الأخرى جيدة جداً
لكن داغستان أغلاها على النفس »

هو من بلدة (تسادا) القائمة على رؤوس الجبال والوهاد قريبة من بلدة (غمرا) التي ولد فيها الشيخ « الأفاري شامل » الذي أشعل الثورة في الكثير من بلاد القفقاس ضد الهيمنة القيصرية الروسية ، اعتبارا من ثلاثينيات القرن الماضي ، واستمر فيها الى نهاية الخمسينيات من ذلك القرن .

له بيتان في ماختشكلا (هناك امتيازات خاصة لبعض كبار الأدباء في الاتحاد السوفيتي) عاصمة داغستان ، الجمهورية ذات الحكم الذاتي في الاتحاد السوفييتي ، احدهما لا يفصله عن معانقة شواطىء بحر قزوين الا طريق ضيق ، ذهبنا اليه في إحدى ليالي صيف العام الماضي ، كانت جوقة الليل تملأ المكان بغنائها وأصواتها ، الضفادع والحشرات وطيور الأشجار ، وأمواج البحر لا تكف عن

التناجي ، الأضواء خافتة ، ووقتنا الضيق يضيق خناقه علينا .

خرجت لنا . . فاطمة امرأة ذات شخصية قوية وجسم عفيّ تماما كجسم حمزاتوف ، انها زوجته ، قامت بالضيافة المعتادة ـ الشرقية ـ ثم اعتذرت عن الشاعر لكونه كان نائما ومتعبا ، اتفقنا معها على موعد في اليوم التالي ببيته في داخل العاصمة .

وجدناه في اليوم التالي حسب الموعد ببيته في ماختشكلا ، معه فاطمة زوجته ، وبعض البنات وبنات البنات (له ثلاث بنات هن : زريمة « زهرة » وفاطمة أيضا وصالحة) .

« بلدي » وألف ليلة وليلة

قلت : دعني في البداية أعبر لك عن التقدير الكبير الذي يكنه بعض المثقفين العرب لشخصك ونتاجك ، ان شعرك ومواقفك يصلان الينا دائما ، وفيهما نجد الكلمة الصادقة ، والمواقف التي تراعي الحق والحقيقة . . فشكرا لك ألف شكر . .

ـ علّق : « ان أحد طموحات الشاعر هو وصول كلماته ومواقفه الى أكبر عدد من الناس ، وها أنت تبلغني أن كلماتي تصلكم أنتم العرب ، وهذا شيء أعتز به وأفخر ، وأشكر زملائي المترجمين عليه ، ولكنه لمزيد الأسف لا يصلني ، أو على الأصح ان قليله يصلني » .

* كتابك « بلدي » مترجم الى العربية .

ـ قاطعني وقال : « عندي نسخة منه » .

* قلت : ان اسلوب الكتابة فيه يشبه أسلوب القص في « ألف ليلة وليلة » فهل اطلعت عليها من قبل ، وتأثرت بها ؟

ـ علق : « ان قلت لك انني لم أقرأ « ألف ليلة وليلة » فانني أكون غير صادق معك ، نعم قرأت « ألف ليلة وليلة » لقد كان هذا الكتاب على « طاولة » حياتنا ، وأبي كان يعرف العربية ويقرأها ، بل ويكتب بعض شعره بها ، ومع ذلك فانني أعتقد بأن تشابه الاسلوب بين كتابي وكتاب « ألف ليلة وليلة » هو تشابه مصادفة .

ان مادة الكتاب هي التي فرضت أسلوب المعالجة الذي جاء في الكتاب ، وهي مادة ابداعية ، لا هي من جنس الشعر بمفرده ، ولا من جنس النثر بمفرده ، بل تجمع كليهما » .

* ألم تعرف أنت العربية ، وهل تمنيت الكتابة بها ؟

ـ كل اللغات جيدة لشعوبها ، واللغة العربية كانت لغة علوم عظيمة ، وشعراء عظام ، وكنت أتمنى لو واتتني الفرص كوالدي لأتعلم العربية والتحدث بها وأكتب ، لكنني في طفولتي نهلت من نبع اللغة الأفارية ـ لغة شعبي ـ وها أنا مازلت أتحدث وأكتب بها منذ أن وعيت على الحياة .

أنسنة الأشياء

* قلت مناكفا : يقولون عن أدبك انك « أنسنت » فيه الأشياء ، وأعليت فيه الحيوات الصغيرة ، ورفعتها الى مصاف ماهو عزيز وحبيب الى القلب ، أو ربما كأنه منتزع من القلب ، وها أنا في بلادك ، لقد رأيت سهولك وجبالك ووديانك وأنهارك وبحرك وناسك وشجرك وتربتك ، فوجدتها كلها تشبه الكثير مما هو موجود في بلاد الدنيا ، ان لم تفقها جمالا ، فعلام كل هذا الدفق والتسامي فيما يخص « داغستانك » ؟

ـ استقبل السؤال برد فعل عادي . . وعلق : « أفهم سؤالك جيدا ، لكنك تعرف انني داغستاني ، في هذه البلاد عشت طفولتي ، واغتنت ثقافتي البصرية والسمعية والعقلية والشعورية بكل مافي هذه البلاد من أشياء وقيم ورموز وتعبيرات ، لذلك فانني أعيد لبلادي بعض ما منحتني اياه ، واذا ماكنت غير مطلع على كتاب « بلدي » فانني أنصحك بالاطلاع عليه ، لأنه يحتوي على أجوبة كثيرة على سؤالك وأسئلة غيرك » .

* علقت : هي مناكفة ليس الا . . أردت من ورائها الاستزادة في هذا المجال ، واذا ما مثلت « ألف ليلة وليلة » زادا ثقافيا للجيل الذي سبق جيلكم ، فان كتاب « بلدي » هو زاد للكثير من مثقفي أقطارنا العربية .

ـ أعلن عن شكره وتقديره لما علقت به .

الوطني والقومي والانساني

* أنت تنتمي الى منطقة يسكنها شعب آفاري ـ وهو قليل عدديا ـ وهذه المنطقة موجودة داخل الجمهورية الداغستانية ، التي هي بدورها موجودة ضمن الاتحاد السوفييتي . فكيف توفق في التعبير عن هذه « الانتماءات » ؟ دون أن تجد تعارضا بينها ؟

ـ « دعني أتذكر كلمات شاعرنا الداغستاني أبي طالب : قال : « نحن لا نحول لغاتنا الى ذئاب ، وهي لا تتعارك ، غبي البيت يشنع على جيرانه ، وغبي القرية يشنع على القرى المجاورة ، وغبي قومية ما يشنع على البلدان الأخرى ، ان الذي يتناول بالسوء لغة أخرى لا يحسب عندنا انسانا » .

وأنا لا يسعني الا أن أعيد ما كتبت : « اللغة في بلادنا لا تعادي لغة أخرى ، والأغنية لا تقتل الأخرى ، ولأن بوشكين أتى الى داغستان ، فلا يجب على محمود ـ أحد شعراء داغستان ـ أن يغادر ربوعها ، ليس هناك من معنى لأن يحل ليرمنتوف محل باتيراي ـ أحد شعراء داغستان أيضا ـ اذا شد صديق طيب على يدك ، فان يدك لا تذوب في يده ، بل تصبح أكثر دفئا وقوة ، اللغات مصابيح حياة وعندي مصباحان : أحدهما كان ينير لي الدرب في نافذة بيت والدي ، كانت أمي هي التي أشعلته كي لا أضل الطريق ، اذا انطفأ هذا المصباح ، ستغرق حياتي في الظلمة ، حتى ولو لم أمت جسديا ، والمصباح الثاني أشعله بلدي العظيم ، وطني الكبير ، الاتحاد السوفييتي ، كي لا أتيه في طريقي الى العالم الكبير » .

الباقي والمستمر

* لك أصدقاء كثيرون من بين شعرائنا العرب ، فهل اطلعت على شعرهم ، ومن هو الأفضل من بينهم ؟

ـ « كما قلت لك . . أنا لا أعرف العربية ، لكنني أرتاح وأعجب بموسيقا شعركم ، وبخاصة الكلاسيكي منه ، وأرتاح لشعر المتنبي على سبيل المثال .

وعليَّ أن أقول بأن ما يترجم من شعركم لا يصلني بشكل مناسب ، انني أجد فيه قصورا ، مع ذلك فانني أجد أن بعض النتاجات الشعرية لبعض الشعراء الفلسطينيين هي الأفضل من بين ما يصلني ، أو على الأصح في مقدمة ما يصلني .

ان شعر محمود درويش ومعين بسيسو وسميح القاسم وغيرهم يستفيد من الحالة النضالية السائدة لدى قطاعات كثيرة من الشعب الفلسطيني ، ويحاولون اغناءه واشباعه بمضامين انسانية مؤثرة » .

* ألا تجد في بعض الشعر الذي قرأته للشعراء الفلسطينيين أولئك وغيرهم حالة تعبير مرحلية . . قد يتم تجاوزها لاحقا ؟

ـ « ما تقوله صحيح ، ومع ذلك فان بعض شعرهم يحمل نفسا نضاليا انسانيا يبقى ويستمر الى مراحل لاحقة » .

الشعر الوجداني

* قبل وصولنا الى (ماختشكلا) ، قابلنا في (غروزني) الشاعرة الشاشانية رئيسة اخاتوفا ـ احمد ـ وقد لفتت نظرنا الى أنك أصبحت تميل الى كتابة الشعر الغزلي ، والكتابة عن المرأة والحب . . الخ ، فهل ستستمر في هذه الاتجاه ؟ والى أين ستصل به ؟ وهل هو تعبير عن حالة معينة تعيشها ؟

ـ « ان مجمل شعري يركز على موضوعات أعتبرها مهمة ، من بينها : الوطن ، والمرأة والحب ، وطبعا

لا يمكن فصل هذه الموضوعات عن بعضها البعض ، حب الوطن لا يمكن النظر اليه خارج نطاق حب الأم الحبيبة . . . الخ .

وعليّ أن أعترف أن نتاجي الشعري فيه القليل عن المرأة ، لذلك فانني أجد نفسي مدفوعا للكتابة عن المرأة والطفل أيضا . . هناك قول داغستاني يفيد :

« يحارب الرجال من أجل الوطن ، ومن أجل المرأة أيضا » ولا أدري هل الضحايا الذين سقطوا من أجل الوطن هم أقل من ضحايا المنافسة على النساء أم أكثر ؟

انني بصدد كتابة كتاب عن هذا الموضوع ، سيكون ككتاب « بلدي » متضمنا الكثير من دروس التاريخ والعادات والذكريات والحكم وغيرها ، الحب في الحياة كالملح في الطعام ، بدونه لا نحس الطعم أو المذاق » .

ثورة شامل

* هناك اجتهادات متعددة ومختلفة حول ثورة الشيخ شامل في داغستان ضد السلطة القيصرية الروسية ، كيف تنظر وتقوّم هذه الثورة بعد مضي هذه السنين عليها ؟

ـ « دعني أبسط الأمر قليلا ، لقد لبس شامل اللباس الوطني التقليدي ، وحمل معه الخنجر التقليدي الداغستاني .

الخنجر هو رمز الدفاع عن الوطن ، والشملة ـ غطاء الرأس ـ كانت رمزا للدفاع عن الأفكار الوطنية ، لقد كانت ثورته تتجه الى توحيد الشعب الداغستاني ، وتحقيق استقلاله عن شتى القوى » .

* والمناداة بإقامة حكومة دينية ترددت في بعض الأحيان ضمن ما كان يطرحه الشيخ . . كيف تنظر الى ذلك ، وماهو رأيك فيها ؟

ـ « ان تركيز الشيخ شامل على الاسلام ، كان نابعا من ادراكه لحقيقة معروفة للجميع ، تفيد بأن الاسلام كان منتشرا في جميع أنحاء داغستان ، كما ان الكثير من اللغات الداغستانية كانت تكتب بحروف عربية ـ لغة القرآن ـ وبما أن هذه البلاد يسكنها عشرات القوميات والشعوب ، لذلك فإن « الاسلام » هو ما كان يوحدها في تلك المرحلة ـ منتصف ثلاثينيات القرن الماضي . .

* والعامل الوطني والقومي . . . هل أغفله شامل ؟

ـ لا لم يغفله شامل ، بل هو باعتقادي كان سبب ثورته ، ان الثورة كانت تدعو لتوحيد الداغستانيين ضد الغزاة ، بغض النظر عن انتمائهم لقوميات وشعوب مختلفة ، وبغض النظر ان كان هؤلاء الغزاة من الروس أو الفرس أو الأتراك .

ثورة شامل لم تكن ضد المسيحية كدين ، بل كانت ضد الغزاة الروس وغيرهم ، لقد حارب شامل قبائل اسلامية وقفت بوجه الثورة أيضا .

صحيح ان النهاية كانت فاجعة لهذه الثورة وناسها وقائدها . . وصحيح أن الأهداف الاستراتيجية أصبحت غائمة في ذهن الشيخ شامل في أيامه الأخيرة قبل هزيمته واعتقاله ، ومع ذلك فان الثورة كانت ثورة وطنية ديموقراطية لتحقيق استقلال ووحدة شعوب داغستان .

الشاعر . . البحر . . والطفل أيضا

شُغل الشاعر بأمر طارىء ، فانتهزت الفرصة ووجهت بعض الأسئلة الى زوجته فاطمة :

* هل تواجهين صعوبات معينة من كونك زوجة لشاعر مشهور ؟

ـ علقت : لا شك في ذلك ، وكما أن للأمر محاسنه فان له سيئاته أيضا . ان زوجات الرجال الآخرين يواجهن مصاعب أيضا ، وواجبات الحياة كثيرة والطلبات لا تنتهي ، ونحن النساء علينا أن نقوم بأدوارنا في الحياة بصور حسنة ، الشاعر كالبحر وكالأطفال ، وامرأته عليها أن تتعامل مع هذا الوضع .

* تعنين أن الشاعر رسول مازالت فيه جوانب من عهد الطفولة ؟

ـ نعم فيه جوانب عديدة من عهد الطفولة .

* ألم تنتقل اليك عدوى الشعر ، بعد هذا العمر الطويل مع شاعر كرسول ؟

ـ انا لست شاعرة ـ الشعر موهبة لا تنتقل بعدوى المعايشة .

* هل غزتك الغيرة يوما بسبب وجود شخصية نسائية في شعر زوجك . . تعاطف معها ووصف محاسنها ؟

ـ سكتت للحظات . . تمعنت واستعادت بعض الذكريات . . ثم علقت :

لا أتذكر شيئا من ذلك قد حدث معي ، ومع ذلك فالانسان لا يخلو من ردود فعل عادية وفطرية .

* هل تقرئين قصائد زوجك قبل نشرها . . وهل يستمع الى ملاحظاتك حولها ؟

ـ انني أطلع على الكثير من قصائد زوجي قبل نشرها ، وأكوّن بعض الملاحظات حولها . . وأبدي رأيي فيها .

* هل يستمع لملاحظاتك ويعدل بالقصائد حسب ما تقترحين ؟

ـ ليس دائما ، يستمع نعم ، لكنه لا يأخذ بكل الملاحظات .

شرطة الأدب

عاد الشاعر . . فسألته : هل تعتبر زوجتك فاطمة الناقدة الأولى لشعرك ؟

ابتسم ابتسامة خفيفة وأجاب :

ـ ان علاقتي بالنقاد هي كعلاقة السائق بالشرطي . . هم يريدونني أن أتقيد « بالقوانين » حسبما يفهمونها ، وأنا أتفلت في الكثير من الأحيان من هذه القوانين .

لكل حالة قانونها عندي ، وهم يمكسون مساطر لا تتوافق أحيانا مع الولادات والمناخات الجديدة التي تولد بولادة القصيدة .

أما عن رأي زوجتي فاطمة ونقدها . . فهي تبدي بعض الانطباعات الأولية . . التي ربما آخذ ببعضها . . وربما لا آخذ . .

اضطررت الى طرح السؤال الأخير . . . بعد أن لفت نظري مترجمنا المرافق الى أن موعد طائرة المغادرة قد أخذ يدخل في ساعاته الأخيرة والحرجة قلت :

* كيف تنظر السيدة فاطمة لعمل المرأة . . بعد مضي هذه السنين من صدور قوانين المساواة ؟

ـ لا شك ان الدستور السوفيتي قدم الكثير من المكتسبات للمرأة في مجتمعاتنا التي كانت تحسب على « الشرق » بما فيه من تخلف ، لقد انتهت الأمية في داغستان منذ زمن طويل ، وتساوت المرأة بالرجل في الحقوق والواجبات .

لكنني أصدقك القول . . بأن ساعات الراحة أصبحت قليلة .

أنا أعمل مديرة للمتحف الوطني في ماختشكلا ، أحب عملي وأخلص له ، لكنني أشتاق لبناتي ولأولادهن . . والساعات التي أقضيها معهن أعتبرها قليلة . . يبدو أن لكل شيء ثمنا . . ومع ذلك فان وضعنا نحن النساء الآن أفضل بكثير مما كنا عليه في العهود السابقة .

أو لنقل . . انه لا يمكن المقارنة بين ما كنا عليه ـ كحريم ـ وبين ما نحن فيه الآن من مساواة واحترام .

قبل أن أطوي أوراقي . . سألت الشاعر رسول : ماهي القصيدة التي تحب ان تهديها للقراء العرب ؟

حك رأسه وأجاب بسرعة وحسم : « اللغة الأم » . وهذه مقاطع منها :

قد تشفي بعضهم لغة أخرى ،
لكني لا أستطيع ان أغني بها ،
وإذا كانت لغتي ستضمحل غدا ،
فأنا مستعد أن أموت اليوم . □

هل دخل السرطان مرحلة الإحتضار ؟

بقلم : الدكتور عماد شمسي باشا

« السرطان ! هذا الرعب الذي أقض مضجع الانسانية أجيالا طويلة ، هذه المعاناة التي عاش الناس منها فيها يشبه الموت قبل أن تحين ساعات الموت ، سواء في ذلك الضحية نفسها أو أهلها القريبون منها ، هـذا المرض الخبيث الماكر الذي صال وجال في طيش وعنفوان ، هل آن الأوان ليختفي من حياة الناس ؟ وهل يقدر لجيلنا أن يشهد الساعات التي يلفظ فيها أنفاسه الأخيرة ؟

رغم كـل الانجازات المهمـة ، والتـطورات الكبيرة التي حدثت في السنوات القليلة الماضية في مجال علاج السرطان بمختلف أنواعه وأشكاله ، وبرغم كل الأسلحة التي استخدمها الطب الحديث في صراعه مع هذا المرض ، من علاج جراحي باتر ، إلى مـداواة كيماويـة معقدة ، إلى معـالجة شعـاعية مـركزة ، إلا أن السـرطان مـا يزال مـرضـا سيّء السمعة لدى كل من الطبيب والمريض على السواء ، ولقد أنفقت أموال طائلة ، وبذلت جهود مضنية ، وأجريت بحوث مطولة في هذا المضمار ، وما تزال هنالك أسئلة أسـاسية ومبـدئية تبحث عن جـواب يكشف الغموض ويبدد الحيرة ، لكن الليل لا يدوم سـرمـدا ، ولا بـد للشمس أن تـطلع من جـوف الظلام ، فها هـي بوادر جديدة مشجعة تبدأ في الظهور مبشرة بأمل طال انتظاره ، ألا وهو القضاء الكامل على هذا المرض الوبيل .

هذه البوادر الجديدة تتمثل في مفهومين حديثين ، تبين أن لهما أهميـة كبيرة في مجـال إدراك السبب في حـدوث السرطـان عمومـا ، وفي مجـال التشخيص المبكر له ، ومن ثم في مجال المعالجة المجدية لأنواعه المختلفة . ولم يكن لهذه البوادر الجديدة أن تظهر لولا هذا التطور الكبير الذي حدث في مجال « البيولوجيا » الجـزيئية ، وفي مجـال التقنية المـرتبطة بهـا ، ولقـد عـرضت هذه المعلومـات الحـديثة عن السـرطـان تشخيصا وعلاجا في المؤتمر السنوي السابع والعشرين للجمعية الأمريكية للسرطان الذي عقد مؤخرا .

هذه البوادر الجديدة التي تحمل الأمل وتلوح به تتلخص في نقطتين اثنتين ، أولاهما مفهوم مورثات

« جينات » الأورام « ONCOGENES » ، والثانية تتعلق بموضوع الأجسام المضادة وحيدة السلالة « Monoclonal-AB » ، وسأحاول في الأسطر التالية من هذا المقال أن أقدم فكرة كافية عن هذين الاكتشافين الحديثين ، وعن أهميتهما ، وعن الأمل المرجو من إدخالها حيز التطبيق العملي .

مورثات الأورام

يعلم معظم من له اطلاع على علوم الحياة أن الصفات والوظائف التي تتميز بها الكائنات الحية عامة ، بدءا من أبسط الخلايا النباتية ، وانتهاء بالكائن البشري المعقد التكوين ، إنما تعود إلى وجود ما يسمى الجينات أو المورثات في خلايا تلك الكائنات ، وأن الجينات هي التي تستوعب السمات والمظاهر التي يتمتع بها أي كائن حي ، كما أنها هي التي تتحكم في انتقالها بصورة محكمة ودقيقة من جيل إلى آخر ، عبر سلالات متعاقبة لا محدودة ، وأن هذه الأجزاء المتناهية في الصغر التي نسميها « جينات » لا تعدو أن تكون جزيئات كيماوية ، متجاورة ، وفق ترتيب خاص ، اصطلح على تسميتها جملة حمض (D . N . A .) .

والآن ماذا يعني مفهوم مورّثات الأورام أو جيناتها ؟

الحق أن الأمر في حالة مورثات الأورام ليس على صورة التوارث السابق الذكر تماما ، إلا أنه يمت إلى هذه الصورة بصلة ما . فمورثات الأورام توجد في خلايا الانسان جميعها ، كغيرها من المورثات الأخرى ، وهي موجودة في هذه الخلايا منذ اللحظات الأولى لتشكله داخل الرحم ، إضافة إلى أن هذه المورثات تملك القدرة أو الامكانية على أن تحول الخلية الحاوية لها من خلية طبيعية سليمة ـ تنمو وتتكاثر ضمن نظام منضبط ـ إلى خلية أخرى ، لا يحكمها ـ في نموها وتكاثرها ـ أي نظام ، وبمعنى آخر تحولها إلى خلية سرطانية .

ظواهر ملفتة للنظر

من الظواهر الملفتة للنظر أن مورثات الأورام هذه تظل بلا فاعلية ، وبدون أي نشاط ، حتى يتوافر لها ما يبعث فيها الحيوية ، وما يوحي إليها بالانطلاق ، وحينئذ تطلق إشارتها الخبيثة إلى خليتها لتعلن عصيانها على الناموس المنظم لحركتها ، ولتبدأ تكاثرها السرطاني اللامحدود .

لقد بات كثير من العلماء في الوقت الحاضر يعتقدون أن مورثات الأورام تلعب دورا أساسيا مهما في كافة أنواع السرطان ، وأن كل الأسباب التي نعلم أن لها دورا في إحداث المرض كالتدخين والتعرض للاشعاع وبعض أنواع (الفيروسات) إنما يقتصر عملها وتأثيرها على تنشيط أو تشغيل تلك « المفاتيح » الخلوية المسئولة عن الأورام ، وأعني بها مورثات الأورام .

المفهوم الثاني في هذا المجال الذي ازداد الاهتمام بتطبيقاته في السنوات القليلة الماضية هو موضوع استخدام الأجسام المضادة كاحدى الوسائل الناجعة في علاج السرطان . والأجسام المضادة ما هي إلا مواد كيماوية حيوية ، يشكلها الجسم حين يتعرض لأي « غزو » خارجي على شكل عدوى جرثومية أو فيروسية ، وهذه الأجسام المضادة المتكونة تتميز بصفة مهمة وحيوية ، وهي صفة « الخصوصية » أو « الفردية » ، بمعنى أنها لا تهاجم إلا « العدو » الذي أنتجت للقضاء عليه .

هذا المفهوم السابق الذكر للأجسام المضادة شُرع في تطبيقه واستخدامه في مجال مكافحة الأورام وعلاجها مؤخرا ، إذ تبين أن للأجسام المضادة قدرة على مهاجمة الخلايا السرطانية الشاذة ، بنفس قدرتها على مهاجمة أي جرثوم أو فيروس ، لأن كل خلية سرطانية وكل جرثوم عبارة عن عنصر غريب عن الجسم في صفاته وخواصه وتركيبه ، ولذلك يستحق نفس الاستعداد ونفس التأهب للمهاجمة والصد ، فالأجسام المضادة لسرطان القولون مثلا تهاجم الخلايا

السرطانية فيه وحدها على الرغم من وجود خلايا قولونية سليمة مجاورة لها ، وهذه الخصوصية في الأجسام المضادة هي ما يعطيها أهميتها الكبرى في مجال كبح جماح السرطان وفي أن تكون واحدة من بوارق الأمل في القضاء عليه .

التكلفة باهظة !

على الرغم من أنه قد تم تحضير أجسام مضادة خاصة لعشرة أنواع من السرطان الأكثر حدوثا ، وأنها أصبحت جاهزة لادخالها حيز الاختبار السريري والتطبيقي على المصابين بهذه السرطانات ، إلا أن تحضير كميات كافية من هذه الأجسام المضادة التي تسمح بإجراء الفحوص اللازمة على عدد كبير من المصابين ما يزال بحاجة إلى وقت طويل ومال كثير ، ولقد قدرت تكاليف اختبار نوع واحد فقط من الأجسام المضادة تلك بحوالي ٢٠ مليون دولار ، كما أن جراما واحدا منها تبلغ تكاليف تحضيره مبلغاً لا يقل عن سبعة آلاف دولار ، فإذا علمنا أن تجربة عملية سريرية واحدة تحتاج إلى عدة آلاف من الجرامات أدركنا مقدار التكلفة الباهظة التي يواجهها العاملون في هذا المجال ، لكن يعتقد كثيرون أن هذه التكاليف ستنخفض بشكل ملموس حينما يشرعون بإنتاج تلك المواد الكيماوية بأساليب أخرى وكميات كبيرة ، وذلك بعد إثبات فاعليتها بشكل قاطع ، وبعد التأكد من أن أثرها في المعالجة أثر جذري . وعلى الرغم من ضخامة التكاليف المادية بدأ أحد المراكز الطبية المتخصصة بأبحاث السرطان وعلاجه في فيلادلفيا بتجربة الأجسام المضادة كعلاج لسرطان القولون الذي فشل فيه التدخل الجراحي ، وكانت النتائج المبدئية لهذه المعالجة مشجعة غاية التشجيع ، مما يبشر بخير كثير في مجال علاج السرطان

من المشاكل الكبيرة التي تواجه الأطباء في مجال علاج السرطان عموما مشكلة التأثيرات الجانبية الشديدة للأدوية المستخدمة في العلاج ، فبعض هذه الأدوية يحدث تَقَيُّؤاً وإسهالاً شديدين ، وبعضها يسبب آلاما عصبية مستمرة ، أو يؤدي إلى تساقط شعر البدن ، ومنها ـ أيضا ما يوقف عمل نخاع العظم المسئول عن توليد كريات الدم الحمراء والبيضاء ، وغير ذلك من التأثيرات المختلفة ، وكثيرا ما تكون هذه الأدوية بالنسبة للمصابين مصدر معاناة تفوق بكثير معاناتهم من مرضهم الخبيث .

ومع تطوير أسلوب المعالجة بالأجسام المضادة أصبحت مشكلة التأثيرات الجانبية قليلة العبء على المريض ، إن لم تكن قد أخذت طريقها إلى الحل الكامل . فما حقيقة الأمر في ذلك ؟

إن معظم تأثيرات أدوية السرطان الضارة يعود إلى كونها تدمر خلايا سليمة إلى جانب تدميرها خلايا سرطانية ، فهي سلاح عشوائي أعمى يخرب كل خلية يصادفها ، بغض النظر عن هويتها ، وهذه التأثيرات الجانبية هي الثمن الفادح الذي يدفعه المريض من جسمه في سعيه للتخلص من آفته الخبيثة ، أو للتخفيف من آلامه المبرحة ، أما مع الأسلوب الجديد المطروح للمعالجة ـ وأعني به أسلوب المعالجة بالأجسام المضادة ـ فالأمر يختلف كثيرا ، إذ يمكن « تحميل » هذه الأجسام المضادة بالدواء المطلوب ، ثم إرسالها إلى داخل الجسم ، بواسطة الحقن الاعتيادي ، ثم تركها لتكمل المهمة بمفردها ، إنها عندئذ ستتجه ـ تلقائيا ـ إلى الخلايا الخبيثة ، وكأنها تبحث عنها بعين مبصرة ثم تفرغ حمولتها من الدواء عند تلك الخلايا دون سواها ، وكأنها صواريخ موجهة ، وبهذا تظل الخلايا السليمة في أجزاء الجسم الأخرى في منأى عن أثر ذلك الدواء المدمر .

ومن الجميل أن إمكانية « تحميل » تلك الأجسام المضادة الموجهة ضد السرطانات لا تقتصر على الأدوية وحدها وإنما يمكن توسيع المجال ليشمل النظائر المشعة ، وفي هذه الحالة يتم استبدال العنصر المشع بالدواء ، الأمر الذي يجعل أثر الاشعاع المخرب مقصورا على الخلية السرطانية دون سواها ،

وهذا ما تم تطبيقه بالفعل ، وأصبح إشراك النظائر المشعة مع الأجسام المضادة من الطرق المستخدمة حاليا في علاج بعض أنواع السرطان .

ومن ضمن الفوائد التي يمكن تحقيقها من إدخال طريقة الأجسام المضادة مجال التطبيق الواسع استخدامها في علاج الحالات المتقدمة من السرطان ، حيث تكون بذور المرض قد تغلغلت في أعضاء الجسم المختلفة ، إذ يمكن بواسطة تلك الأجسام المضادة المحملة بأسلحتها مهاجمة الخلايا الخبيثة أينما وجدت ، ومن ثم الفتك بها ، والقضاء عليها .

ولكي تكون الصورة المتعلقة بموضوع الأجسام المضادة تامة الوضوح لا بد لنا من التعرف على بعض العقبات التي ما تزال تواجه الباحثين في هذا المضمار ، فمن هذه العقبات مثلا أن الخلايا الخبيثة المسببة لنوع من أنواع السرطان قد لا تتماثل أو يتشابه بعضها ببعض مائة بالمائة ، بل قد يكون هنالك اختلاف بين بعض هذه الخلايا وبعضها الآخر ، ولهذا فالأجسام المضادة المستخدمة تجاه « تركيبة » معينة من الخلايا قد لا تصيب هذه الفئة الشاذة المختلفة عنها ، وهذا يعني أن هذه الفئة ستنجو من الملاحقة ، ومن ثم تكون الفرصة سانحة أمامها لتبدأ هجمة جديدة شرسة ، إلا أن هذه العقبة ليست بالمشكلة المستعصية الحل ، إذ يمكن ـ نظريا ـ تطوير الأجسام المضادة أو تعزيزها بأجسام مضادة أخرى تكون قادرة على مجابهة هذه الفئة الضئيلة الشاردة من مجموع الخلايا السرطانية المعروفة .

ومن هذه العقبات أيضا عقبة تبدو كأنها نقيضة للعقبة السابقة ، أعني بذلك أن بعض الخلايا السليمة المعافاة تتشابه في تركيبها مع بعض الخلايا السرطانية ، ولذلك فالأجسام المضادة للسرطان سوف يلتبس عليها الأمر ، فتهاجم خلايا سليمة في نفس الوقت الذي تتجه فيه إلى تلك الخلايا السرطانية ، ومع اعتراف معظم العاملين في هذا المجال بما تسببه لهم هذه العقبات من تعويق وإحباط إلا أنهم يجمعون على أن المشكلة تظل ـ في نظرهم ـ أقل سوءا من المعالجة بالأدوية المعتادة ، أو بالنظائر المشعة ، بدون الاستعانة بالأجسام المضادة ، فالضرر الناجم عن مهاجمة الخلايا السليمة حين تطبيق الطريقة المعتادة أشد بكثير من الضرر الناجم عن استخدام الأسلوب الجديد في العلاج .

هذه العقبات وغيرها لابد من أن توجد لها حلول مناسبة من خلال التجارب الميدانية الواسعة التي تستعد لها المراكز الطبية المتخصصة المتعددة .

عودة إلى مورثات الأورام

على الرغم من التفاؤل الكبير الذي يرافق الأسلوب الجديد في المعالجة ، والذي يقوم على استخدام الأجسام المضادة المناسبة ، إلا أن الحل النهائي لمشكلة السرطان سيكون ـ فيما بعد ـ على أيدي علماء « البيولوجيا » الجزيئية ، وليس على أيدي الأطباء المعالجين ، فهؤلاء العلماء ينظرون بتجرد كبير إلى الخلية وأقسامها وجزيئاتها الكيماوية وتفاعلاتها ، ويحاولون الامساك ببداية الخيط الذي سيوصلهم ـ في النهاية ـ إلى غايتهم المنشودة ، وهي معرفة سر السرطان ، وكيفية تطوره ، ومن ثم التدخل للحيلولة دون هذا التطور أو التكامل ، اعتمادا على أسس خلوية وكيماوية بحتة .

ويبدو أن هؤلاء العلماء قد وصلوا إلى ما يمكن تسميته ببداية النهاية في هذا المضمار ، وذلك باكتشافهم مورثات الأورام ، تلك التي تحدثنا عنها في بداية المقال ، إلا أننا سنضيف هنا أن مورثات الأورام تؤلف نسبة ضئيلة جدا من العدد الكلي لمجمل المورثات التي تقدر بحوالي خمسين ألف مورّثة ، ويعتقد العلماء أن عدد مورثات الأورام قد قدر بخمسين مورثة تَمّ الكشف عن عشرين منها حتى الآن .

وحتى وقت قريب كانت نظرية مورثات الأورام ودورها الأساسي في تحويل الخلية السليمة إلى خلية سرطانية شاذة تدور في مجال التصور والافتراض ،

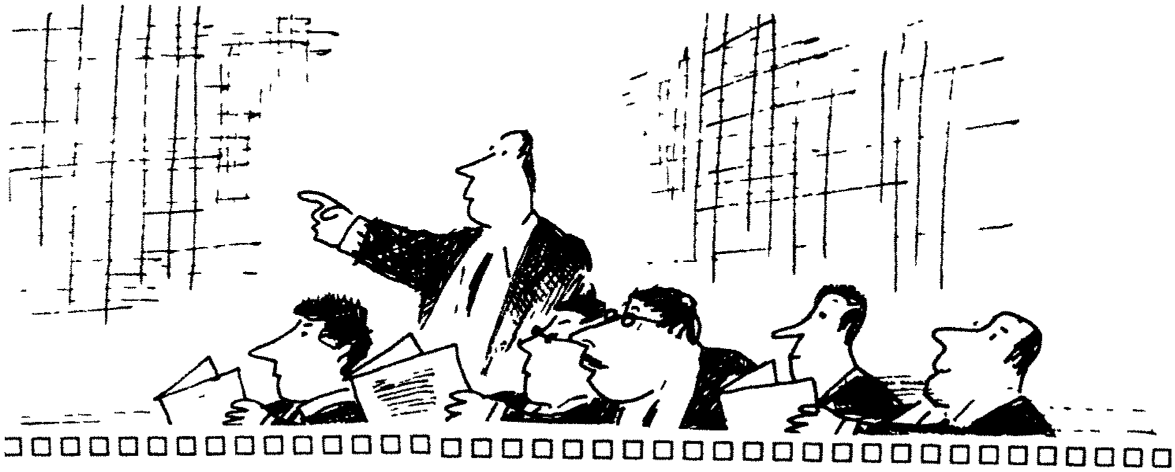
إلى أن تمكن العلماء في العام الماضي من تشغيل تلك المورثات الكامنة ، الأمر الذي أدى إلى تحويل الخلية الطبيعية إلى خلية سرطانية بالفعل ، ثم جاءت التجارب لتؤكد صحة نظرية المورثات ، لا سيما التجارب التي أجريت في مختبرات جامعة (هارفارد) ، حيث أمكن نقل الاستعداد للاصابة بسرطان الثدي عند الفئران بنقل مورثات الأورام من سلالة مصابة بسرطان الثدي إلى سلالة أخرى سليمة ، ومن ثم رفع فاعلية هذه المورثات وتنشيطها بواسطة الهرمونات ، فكانت النتيجة إصابة الفئران السليمة بسرطان الثدي ، على أن دور مورثات الأورام لا يقتصر على كونها خطوة البداية في تشكل الأورام عموما ، لكن يبدو أن لعددها أهميته في هذا المجال ، فكلما ازداد عدد هذه المورثات في الخلايا كانت أكثر شراسة وعنفا ، وبالتالي فإن معرفة عدد المورثات الموجودة سوف تحدد طريقة العلاج الأمثل منذ البداية ، وهذا في الواقع ما نرجو تحققه في المستقبل القريب .

لا شك أن الحدث الأعظم في مجال مورثات الأورام سيكون في التوصل إلى طريقة ، يتم بواسطتها إعادة إيقاف فاعلية المورثات ، بعد أن تكون قد رفعت فاعليتها لسبب ما ، وحينئذ نكون قد وضعنا أيدينا على الحل النهائي لمشكلة السرطان ، وهذا يتطلب ـ بلا شك ـ مزيدا من التقدم في مجال تقنية « البيولوجيا » الجزيئية ، وما نظن أن العلماء ستفتر هممهم عن تحقيق هذا الأمل المنشود .

تفاؤل حذر

إن المتتبع للمراحل التي مرت بها عملية البحث عن سبب السرطان وعلاجه لابد أن يعتريه شيء من التفاؤل الحذر إزاء نظرية مورثات الأورام ، فقد مرت مسيرة البحث بمحطات كثيرة ، يعتقد أن كل واحدة منها هي نهاية المطاف في مأساة السرطان ، ثم يأتي الواقع ليقول إن الطريق ما يزال طويلا ، وأن الرحلة لم تنته بعد ، فمن مرحلة تميزت باكتشاف عديد من المواد الكيماوية المحدثة للسرطان ، إلى مرحلة برز فيها دور (الفيروسات) كعامل محتمل للاصابة ، إلى مرحلة ثالثة توجه البحث فيها ناحية المناعة ودورها حين تصاب بالضعف أثناء الاصابة بالسرطان ، اضافة إلى نظريات أخرى تحدثت عن أهمية مادة « الانترفيرون » INTERFERON في علاج أنواع مختلفة من السرطان ، لكن من المعتقد أن المحطة الجديدة مختلفة عن كل ما سبقها ، وأن موضوع مورثات الأورام سيكون هو الاطار الذي سيؤلف بين شتات « القصة » المتناثرة ، حيث يضع كل عنصر من هذه العناصر في مكانه الصحيح من هيكل « القصة » ، فالعوامل المختلفة التي تساعد على حدوث السرطان كالفيروسات والاشعاعات والمواد الكيماوية تؤثر ـ مجتمعة أو منفردة ـ على مورثات الأورام الكامنة ـ أساسا ـ في الخلايا ، وحين تتفاعل تلك المورثات تؤدي إلى تشكل مواد « بروتينية » خاصة ، تعمل ـ بدورها ـ على إحداث تبدلات أساسية في صفات الخلية ووظائفها ، وتحيلها إلى خلية أخرى مختلفة ، أي خلية سرطانية ، وهنا ينشط الجهاز المناعي السليم في الجسم لتشكيل أجسام مضادة تتصدى لهذه الخلايا المنحرفة ، فإن كانت له الغلبة تَمّ القضاء على المرض في مهده ، وإن فشل في مهمته نما هذا « النبت الشيطاني » ، وأطل بوجهه القبيح سرطانا شرسا .

وفي ختام هذه الجولة التي تناولت نقطتين جديدتين مهمتين ، توجهت إليهما أنظار العلماء في الأشهر القليلة الماضية ، واعتبرتا نصرين حاسمين في حلبة الصراع العنيد مع السرطان ، أحب أن أقول إن شمس الأمل قد سطعت ، وان نهاية النفق المظلم قد قربت ، وإن كانت قد بقيت هناك معارك جانبية لابد من خوضها لتطهير الساحة تماما من فلول معتد مرعب ، أقضّ مضجع الانسانية أجيالا طويلة . □



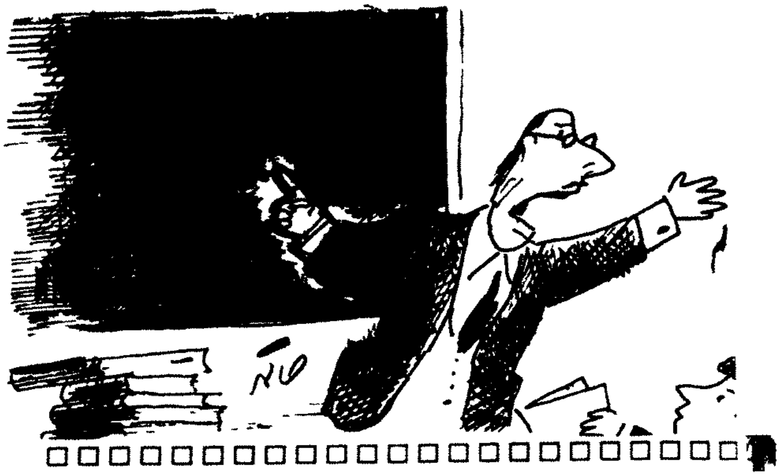
التعلم عن بعد..
الجامعة المفتوحة

بقلم : توفيق أبو بكر

يواجه التعليم التقليدي في وطننا العربي تحديات كبيرة ، ليس أقلها ارتفاع نسبة الأمية في كافة افكاره فحسب ، بل في المهمات المستقبلية الجسيمة التي تتطلب معالجات تربوية مبتكرة ، بينها نظام التعلم عن بعد .

منذ وقت مبكر من هذا القرن لجأ عدد من دول العالم - المتقدم ، والنامي على حد سواء ، الراسمالية والاشتراكية - إلى استخدام أسلوب متطور في التعليم ، يعرف بالتعليم عن بعد ، وذلك لتحقيق مبدأين أساسيين ، الأول مبدأ الديمقراطية في التعلم ، وذلك لاتاحة الفرصة لأكبر عدد ممكن من المواطنين الذين فاتهم قطار التعليم ، أو انقطعوا عن الدراسة والتدريب للاستمرار في تلقي العلم ، والثاني مبدأ التحديث عبر استثمار أوسع في إنجازات العلم والتقنية التي يمكن الافادة منها في هذا الأسلوب التعليمي ، بدرجة أوسع مما يحصل في التعلم التقليدي .

ولذلك تنتشر اليوم في العالم أكثر من خمسمائة جامعة مفتوحة ، تقدم الخدمة التعليمية بأسلوب « التعلم عن بعد » الذي تقوم فلسفته - بشكل عام - على الانتقال إلى الدارس ، بدلا من التعلم المباشر الذي ينتقل فيه الدارس إلى الجامعة ، والذي تقوم فلسفته على تقديم كم من المواد التعليمية المكتوبة التي



يشترك في انتاجها فريق كبير من العلماء والمربين والفنيين والمحررين ، وليس عالما واحدا كما هو سائد في الجامعات التقليدية أو الجامعات التي تقبل الدراسة بالانتساب ، يشتركون فيه من البداية حتي النهاية ، وكذلك المواد التعليمية المسموعة ، عبر الأشرطة والاذاعة ، والمرئية عبر أشرطة (الفيديو) ، وبرامج التلفاز ، إضافة لوسائل أخرى ، كاستخدام الهاتف ، كما هو سائد في بريطانيا وأمريكا والسويد ، واستخدام مراكز الارشاد الفرعية في أماكن وجود الطلبة وأبنية الجامعات التقليدية مساء ، ومختبراتها ، والدورات الصيفية ، والدوام المباشر لمن يستطيع من الطلبة .

وقد أثبتت الدراسات التربوية أنه بالرغم من البعد بين الدارس والمعلم في التعليم المفتوح ، فإن توفير رزمة تعليمية متعددة الوسائط في أكثر من اتجاه يمكن أن تحدث تفاعلا بين المتعلم والمادة التعليمية ، موازيا لما يحصل في الجامعات التقليدية ، وإذا كان عدد من دول العالم قد لجأ لأسلوب التعلم عن بعد ، كنظام مؤازر للتعليم التقليدي ، يستجيب لعدد من التحديات السكانية التقنية ، لايستطيع أن يصمد في مواجهتها التعليم التقليدي بإنجازاته المحدودة ، فإن الوطن العربي أحوج مايكون لتبني هذا النظام ، لمواجهة نفس التحديات التي تتفاقم في بعض أقطاره سنة بعد أخرى .

نسبة أمية خطيرة

التعليم التقليدي في الوطن العربي يواجه عددا من التحديات القائمة والمستقبلية التي تتطلب الأخذ بنظام « التعلم عن بعد » ومن أهم هذه التحديات :

أولا : نسبة الأمية في الوطن العربي التي مازالت مرتفعة جدا رغم النجاحات النسبية البطيئة في مجال محو الأمية ، عبر مراكز تعليم الكبار ، بالأساليب التقليدية ، فالمتوسط العام للأمية حسب إحصاءات ١٩٨٠ ـ ١٩٨٢ تبلغ نسبته ٦٩٪ في مجمل الوطن العربي ، لكن هذه النسبة تصل في الصومال مثلا إلى ٩٣,٥٪ ، وفي اليمن الشمالي ـ طبقا لما جاء في التقرير الاقتصادي العربي الموحد لعام ١٩٨٥ ـ تصل نسبته إلى ٩١,٤٪ ، وفي المغرب ـ حسب تقرير اليونسكو لعام ١٩٨٤ ـ تصل نسبته إلى ٧٨,٥٪ ، وأكثر التقديرات تفاؤلا حول نجاح خطط محو الأمية في الوطن العربي تشير إلى أنه رغم ذلك سيكون هناك في عام ٢٠٠٠ م ١١٥ مليون أمي عربي . وهذه الأرقام المستقبلية مرعبة ، تتطلب ـ بالضرورة ـ أساليب تربوية جريئة لمعالجتها ، وإلا فإن التقدم العربي سيبقى محكوما عليه بالفشل ، وهذه النسبة العالية من الأمية تزداد في أوساط البنات في الأقطار العربية ، حيث تغادر الفتيات المدارس للزواج ، أو لأسباب اجتماعية مختلفة . تقول الاحصاءات ـ طبقا للمصادر التي أشرنا إليها سابقا ـ إن نسبة أمية الفتيات في بلد كسوريا وصلت إلى ٨٠٪ ، في وقت تنخفض فيه هذه النسبة إلى النصف تماما ، حين يتعلق الأمر بالذكور ، فنسبة أمية الذكور في سوريا في نفس العام هي ٤٠,٤٪ فقط ، والفجوة نفسها تتكرر في لبنان الذي بلغت فيه هذه النسبة ـ حسب إحصاء ٨٠/ ٨٢ لأمية الفتيات ـ مامقداره ٤٢,١٪ وأمية الذكور مامقداره ٢١,٥٪ أي النصف ، ونفس الفجوة موجودة بدرجات متفاوتة في الأقطار العربية الأخرى ، ففيها تزيد نسبة الأمية للاناث في المغرب والصومال واليمنين ، الشمالي والجنوبي عن ٩٠٪ ،

الكسب الحرام في الإسلام

بقلم : الدكتور توفيق محمد شاهين*

الإسلام دين يكرم الإنسان ، ويحثه على الاعتماد على النفس ، وكسب الرزق بطريق حلال . وقد أحل الله سبحانه الحلال وما أوسع دائرته ، وحرم الخبائث التي تضر الانسان في دينه ودنياه ، وهي قليلة . فماذا عن الكسب الحرام وكيف التعرف عليه ؟

العمل في الاسلام للقادر شرط لشرف النفس ، وكرامة الشخص ، ونفع الأسرة والإنسانية ، كما أن التعب في طلب الرزق الحلال يكفر ذنوبا ارتكبها الانسان ، كما يقول الرسول عليه الصلاة والسلام .

والنصوص في هذا كثيرة متوافرة في القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة ، منها : -

قول الله تعالى ، في طلب الرزق الحلال والأكل منه ، والتمتع به :

« فامشوا في مناكبها ، وكلوا من رزقه ، وإليه النشور » الملك / ١٥ » .

وقوله سبحانه :

« فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا ، واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون » - النحل / ١١٤ » .

ويرشدنا الرسول - ﷺ - الى أن الله تعالى يحب المؤمن القوي في دينه ، وخلقه ، وماله ، وعلمه ، وجسده ، بقوله : « المؤمن القوي خير وأحب الى الله من المؤمن الضعيف » .

وهذه النصوص من الآيات الكريمة والحديث الشريف تبين أن الله سبحانه يحب للإنسان ان يعمل ، وان يكسب رزقه حلالا ، وأن ينفع نفسه وغيره في هذه الحياة ، ومتى قصد بكل ذلك وجه الله تعالى كان عمله للدنيا وللآخرة معا ، وييسره الله بفضله وكرمه .

* المركز الاسلامي - اوتاوا - كندا

وقد سأل كثيرون من الإخوة والأخوات عن حكم الله تعالى في طرق كسب مشبوهة ، وغير مشروعة في الإسلام ، مثل :

(اليانصيب) ، و(اللوتر) ، والسباق ، ولعب الورق (الكارد) ، والقمار ، والربا ، والسحر ، والرهان ، والتجارة في الخمر ، والحشيش ، وكل أنواع المخدرات . . الخ .

ونود أن نفيد بأن كل هذا الكسب حرام ، وفيه أكل لأموال الناس بالباطل ، وهو سحت ، ومن الكبائر التي حرمها الله تعالى على عباده المؤمنين ، لأنها من الكسب الخبيث لا الطيب ولا الحلال ، وكل جسم تغذى منها ، وكل انسان انتفع بها قاصدا ، وكل إنسان تعود على ذلك ولم يتب إلى الله فله النار ، وهي أولى به .

والنصوص كثيرة في القرآن الكريم والسنة النبوية ، وهي تدل على تحريم ذلك الكسب الخبيث الذي لا يرضاه العقل السليم ، ولا تقبله الفطرة المستقيمة ، لأنه كسب حرام مشبوه ، أتى بطريق سهل ، وبالباطل لا بالحق .

يقول الله تعالى في تحريم هذا الكسب الخبيث :

« يا أيها الذين آمنوا ، انما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون . إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ، ويصدكم عن ذكر الله ، وعن الصلاة ، فهل أنتم منتهون . وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول واحذروا ، فإن توليتم فاعلموا أنما على رسولنا البلاغ المبين » المائدة / ٩٠ - ٩٢ » .

ويقول الله تعالى :

« الذين يأكلون الربا لا يقومون (أي بين يدي الله سبحانه يوم القيامة) إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المسّ (أي كالمصروع) ذلك بأنهم قالوا انما البيع مثل الربا . وأحل الله البيع وحرم الربا » البقرة / ٢٧٥ » .

ويقول سبحانه :

« يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وذروا ما بقي من الربا إن كنتم مؤمنين . فإن لم تفعلوا فأذنوا بحرب من الله ورسوله ، فإن تبتم فلكم رؤوس أموالكم ، لا تظلمون ولا تظلمون » البقرة / ٢٧٨ ، ٢٧٩ » .

ويقول سبحانه : « إنما حَرَّمَ عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير » [أي لحمه وشحمه ودمه وكل شيء فيه] - البقرة / ١٧٣ » .

فقد حرم الله تعالى في هذه الآيات الكريمة :

« الميسر » وهو المقامرة بكل أنواعها ، ومنه لعب الصبيان بالجوز ، ولعب الورق وغيره ، وكذلك لعب الطاولة ، و« الأنصاب » حجارة كانوا يذبحون قرابينهم عندها ، تقربا الى الأصنام ، و« الأزلام » لون من ألوان القمار ، وبقية الآيات واضحة المعنى .

وكل ذلك شر من عمل الشيطان ، ومباشرها ، والآكل منها بعيد عن رحمة الله ، ولا يفلح في الدنيا ولا في الآخرة ، ويعيش في غضب الله تعالى محاربا عاصيا أوامره ، وآكلا لأموال الناس بالباطل .

ولو استعرضنا بعض أحاديث رسول الله - ﷺ - في هذا الجانب ، لوجدناها مؤيدة وموافقة لآيات القرآن الكريم في حرمة ذلك ، حرمة لا شك فيها :

يقول الرسول - ﷺ - :

« مثل الذي يلعب بالنرد (أي الزهر والورق والكارت والطاولة وما أشبه ذلك) ثم يقوم فيصلي ، مثل الذي يتوضأ بالقيح ودم الخنزير ثم يقوم فيصلي »

وقال الرسول - ﷺ - :

« ثلاثة لا ينظر الله اليهم يوم القيامة : العاق لوالديه (أي العاصي والمؤذي لهما) ، والمدمن الخمر ، والمنان بما أعطى . ومن تاب تاب الله عليه »

ويروي معاذ بن جبل - رضي الله عنه - أن رسول الله - ﷺ - قال :

« ما تزال قدما عبد (أي لا تتحرك) يوم القيامة حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن

شبابه فيما أبلاه ، وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه ، وعن عمله ماذا عمل فيه » .

وعن ابن مسعود ـ رضي الله عنه ـ قال : قال رسول الله ـ ﷺ ـ : « إن الله قسم بينكم أخلاقكم ، كما قسم بينكم أرزاقكم وأن الله يعطي الدنيا من يحب ومن لا يحب ، ولا يعطي الدين إلا لمن أحب ، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبه . والذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ، ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه (أي غشه وظلمه) ، ولا يكسب عبد مالا من حرام فينفق منه فيبارك له فيه ، ولا يتصدق به فيقبل منه ، ولا يتركه خلف ظهره الا كان زاده الى النار . إن الله لا يمحو السيىء بالسيىء ، ولكن يمحو السيىء بالحسن ، إن الخبيث لا يمحو الخبيث » . صدق رسول الله .

والآن ، ماذا يعمل من معه مال حرام

يقول العلماء في القديم والحديث ، بأن من معه مال حرام ، وأراد التوبة منه والبراءة ، فإن كان له مالك معين وجب صرفه إليه .

فإن كان لمالك لا يعرفه ، ويئس من معرفته (بأن حاول معرفته ولم يستطع) فينبغي أن يصرفه في مصالح المسلمين العامة كالقناطر (الجسور) والربط (أي حماية الثغور وحدود الدولة والدفاع عنها) وغير ذلك مما يشترك فيه المسلمون ، مثل :

إقامة المدارس ، والمستشفيات ، والمساجد ، والصرف عليها ، أو يتصدق به على فقراء أو لاجئين ، أو من نزلت بهم كوارث ، وله أن يصرف منه على نفسه وعياله ، إن كانوا في حالة فقر شديد ، وليكن الصرف في أضيق الحدود الممكنة ، بما يزيل الضرر والهلاك فقط ، فله أن يأكل منه فقط ، وليس له أن يشتري منه ما يركبه ، لأنه لا ضرورة في ذلك .

وهذا الذي ذكرناه قاله بعض علماء الشافعية ، ومنهم الإمام الغزالي رحمه الله تعالى ، والإمام الغزالي نقل ذلك عن علماء السلف ، ومنهم : معاوية ، والإمام أحمد بن حنبل ، والحارث المحاسبي وغيرهم من أهل الورع . رضي الله عنهم أجمعين .

وقال بعض علماء الحنابلة : يجوز الصرف على المسجد من المال النجس . لأن المال الحرام لا يتعدى الذمتين : فهو حرام في اليد الأولى قطعا ، ولا ثواب ولا أجر للمتصدق بهذا المال ، لأنه حرام في الأصل ، ولكنا نرجو أن يتوب الله عليه اذا تاب توبة صادقة ، وندم على ما بدر منه ، ولم يعد إليه ثانية .

ولا يجوز إتلاف هذا المال ، أو رميه في البحر ، أو ترك الفائدة (للبنك) إن كان المال موضوعا بالفائدة ، وإنما يصرف في مصالح المسلمين العامة .

بذلك أفتت لجنة الفتوى بالأزهر ، ودار الفتوى في لبنان ، ويضيف سماحة الشيخ حسن خالد مفتي لبنان الأكبر ـ أطال الله في عمره ـ قوله :

(وعليه فإن على من بيده مال حرام ، ويئس من معرفة مالكه ، أن يتوب الى الله تعالى ، ويبرأ من هذا المال ، ويصرفه في مصالح المسلمين العامة ، كما ذكره الغزالي ، ونقله النووي عن الشافعية ، وعليه ان يسعى لكسب عيشه ، وعيش أهله من الحلال الطيب ، فإن كان مضطرا الى ذلك ـ كما ذكر ـ فإنه يمكنه الإنفاق منه في حدود دفع الضرر والهلاك عنه وعن عياله ، ويدفع الباقي في المصالح العامة ، كما ذكر ، ولا يجوز له شراء ما يركبه من هذا المال ، ولا أن يعمل به في تجارة او غيرها . . وهذا كله متى قصد البراءة والتوبة ، وعدم معاودة الحرام ، والا فلا يحل له شيء من ذلك ، والله أعلم) . اهـ

وتذكر لجنة الفتوى بالأزهر : (أن الأئمة الأربعة ـ رضي الله تعالى عنهم ـ يرون أن الأموال التي تكتسب من غير الطرق المشروعة في الإسلام يجوز صرفها فيما يعود على جماعة المسلمين بالنفع العام ، مثل الصرف على المسجد ، والمدرسة ، والملجأ ، والمصنع . وجوز الإمام ابن تيمية ، وكذلك ابن القيم صرف هذه المبالغ أو بعضها للفقراء والمساكين متى تحقق فيهم شرط الفقر والله أعلم) . □

اقـرأ
في العـدد
القادم من
العـربي

عدد يوليو ١٩٨٧

استطلاعات

- اللاذقية موطن للجمال.. بين البحر والجبل — أبو المعاطي أبو النجا
- نيويورك.. تفاحة عسيرة الهضم ! — صلاح حزين
- السياحة في بلدٍ حارّ — سليمان الشيخ

حطين أخرى قبل حطين !	الأبعاد الأربعة في نهج الإسلام	الانجاز الاقتصادي اليـابـاني وأبعاده الثقافية
د. شاكر مصطفى	د. عبد العزيز كامل	وحيد عبد المجيد

- الدخول في دائرة الحداثة / د. عبد الرحمن ياغي
- حركات الاصلاح الحديثة / د. المنجي الكعبي
- الصليبيون في الشرق / محسن خضر
- بوكوك الانجليزي يكتب شعراً بالعربية ! / د. نبيل مطر
- ماذا جاء في "الاعتبار" ؟ / جمال الغيطاني
- الطيران حول العالم دون توقف / سعد شعبان
- نظرة على الفيلم الروائي المغربي / علاء الدين محسن
- وقفة مع الكحالين العرب / د. سري سبع العيش
- وجهاً لوجه : نعمان عاشور وزينب الكردي

واقرأ أيضاً للكتاب

د. محمد الرميحي - د. محمد حسن عبد الله - د. علياء شكري - د. حسين العروسي
د. عبده بدوي - د. محمود الشابي - د. جليل العطية - رجب سعد السيد

العربي - العدد ٣٤٣ - يونيو ١٩٨٧



منتدى العربي

قضية

نحن والتراث

بقلم : فاروق خورشيد

في حديثنا عن التراث نسأل أنفسنا : هل نحن نتحدث عن شيء واحد مفهوم ، أم نحن نتحدث عن عدة مفهومات متغيرة ، قد لا تتكامل ، بل قد تتناقض في أحيان كثيرة ؟

فالكلمة تناولتها أقلام كثيرة ، ومفاهيم متعددة ، حتى غدا تحديد وجود متكامل لها شيئا مثيرا بالفعل .

ذهب كثيرون إلى أن التراث هو ماتركه السلف الصالح من عطاءات متراكمه لمعى الأحكام والقياسات ، والاجتهادات الاسلامية القديمة ، حتى عصور النهضة الفكرية ، أي حتى القرن الرابع ، حيث انتهى التراث إلى اجتهادات واضحة صريحة لا لبس فيها ، وإلى هنا ينتهي التراث ، ولا شيء بعده ، ولا شيء يليه إلا التفسيرات والشروح والحواشي ، وكل ماعداه مدسوس مرفوض من حيث المبدأ ، ومن حيث الوجود نفسه . هذه النظرة إلى التراث حصرت حصيلتنا من عطاء الحضارة الاسلامية كلها في حدود المفاهيم الشرعية السلفية للدين ، وهي نظرة محدودة ، تعرف ما تريد ، وتفهم ماتجد ، ولا تتورع عن رفض كل ما لاترى فيه ما تريد ، أو ماتفهم من تراث .

ولسنا نريد أن ندخل مع هذا الاتجاه في جدل ، فهو صحيح وسليم في حدود رؤيته ومنهجه ورسالته ، لكنه شيء من أشياء .

التراث والدين

لكن الاشكال الأكبر أن كلمة التراث لاعلاقة لها بالدين ، ولا بمعطياته ، فهي أكبر وأشمل من كل

هذا ، وهي تتجاوزه إلى العطاء الانساني الرحب الذي لا يرتبط إلابمعنى الانسان وفكره وثرائه الوجداني وعطائه العقلي في كل زمان ومكان .

فعلوم البحار وعلوم الجغرافيا وعلوم التاريخ ، وعلوم الطبيعة ، وعلوم الطب ، وعلوم الصيدلة تراث ، وكل مادوّن فيها جزء من تراثنا ، وجزء من وجودنا الانساني العظيم .

ونستطيع أن نعمم نفس هذه المقولة على العطاء الانساني في الفنون عامة ، وفي فنون القول من شعر وقصة وملاحم خاصة .

وقد برع الانسان منذ اخترع الكتابة في تدوين حصيلته من المعرفة ، ومن الفن ، على السواء ، لينقلها من جيل إلى جيل ، ومن مكان إلى مكان ، ولعله كان يتحدى بهذا الفناء والمحدودية الانسانية ، فعن طريق هذه المعرفة المتوارثة لا يكرر الانسان نفسه ، وإنما يبدأ من حيث انتهى كل من سبقوه ، ليتحقق بهذا معنى استمرار الحضارة ، ومعنى تطورها إلى الأحسن والأكمل بصورة متتابعة مستمرة ،وبهذا فإن مفهوم التراث عند حدود العطاءات والاجتهادات الدينية الموروثة مفهوم خاطيء ، أو هو على أقل تقدير مفهوم قاصر . . فكل الترجمات التي نقلناها في عصور النهضة العلمية غدت جزءا من تراثنا نحن . . وكل الاجتهادات في كل مناحي العلم والفن هي بالقطع جزء من تراثنا نحن بصرف النظر عن رضا البعض عن مضمونه أو عدم رضاهم . وقد كان أبناء هذه المنطقة حريصين كل الحرص على هذه المدونات المتوارثة ، فتناقلوها ، وظهرت مخطوطاتها في المكتبات العامة ، ومكتبات المساجد والمعابد والأديرة . كما اهتم الاثرياء باقتناء نسخ من كل مخطوط جديد يظهر إما مؤلفا في عصورهم ، واما مكتشفا عند أصحاب المكتبات الموروثة . وغدت مهنة الوراق من أهم المهن في حياة ابناء هذه المنطقة ، وغدا الزهو بحجم المكتبة التي يقتنيها كل ثري مجالا للتنافس والمفاخرة . .

وحين دخل المستعمرون بلادنا كان همهم الاول هو نهب هذه المخطوطات وغيرها من معالم الآثار الى بلادهم . . ولعل همهم الأول منذ العصور الوسطى كان تجريد هذه المنطقة من موروثها المدوّن . وحملت سفن قراصنة الغرب ، وحملت جيوشهم ، الآلاف المؤلفة من هذه المخطوطات لتهدى الى الجامعات والمكتبات ، ولتوضع تحت أيدي المترجمين والباحثين في كل فرع من فروع المعرفة الانسانية . وواضح أن هذا النهب المنظم هو سر النقلة الحضارية التي خرجت بها أوروبا من عصور الظلام الى عصور المدنية والنور . وواضح ان هذه المخطوطات كانت طريقهم الى التعرف على فكر الانسانية كله كما دونه العرب المسلمون ـ العرب لغة والمسلمون دينا ـ بعد أن أضافوا اليه عبقريتهم وابحاثهم الجديدة ، واجتهاداتهم الصادقة . وواضح أيضا أن أوروبا حرصت أن تنكر هذه الحقيقة تماما . . فبعض علمائهم ـ وبالذات بعض أهل الاستشراق منهم ـ يحسون بالحسد والغيره من هذا الدور الإسلامي الهام ، وبدلا من أن يرجعوه الى طبيعة تتابع الحضارات الانسانية ، وتلقائية أخذها وتفاعلها مع الحضارات السابقة ، دخل التعصب ليجعلهم يأخذون بإنكار ، ويقتبسون في تعال ، ويسرقون في تبجح يفوق الوصف . فليس في التاريخ كله سرقة كهذه السرقة ، ولا في التاريخ كله قرصنة كهذه القرصنة . .

غزتنا أوروبا بأساطيلها ومدافعها و (القنبر) ، والعلم العسكرى المتطور ، فهزمنا البرتغاليون في المحيط الهندي وحطموا أسطولنا ، وهزمنا الفرنسيون في مصر ودمروا فرساننا ، وهزمنا الانجليز في التل الكبير واجهزوا على معنى انتمائنا وثقتنا بأنفسنا ورجالنا ، واحاطت اساطيل كل دول العالم باسطولنا البحري في نفارين وفرضوا شروطهم الباغية وخضعنا ، واستدار التاريخ ليشهد دمارنا في ١٩٦٧ ، ونكسنا الرؤوس خجلا وحياء ونفورا من

مواجهة الحقيقة . .

ولكن كل هذا شيء ملموس مفهوم ومتوقع ـ جيوش حاربت ، وجيوش بذلت كل ما عندها ، لكنها هزمت . . من جيوش المهدي في السودان أمام غوردون ، الى جيوش عرابي في مصر أمام خيانة توفيق ، الى جيوش عبد الناصر في ٥٦ , ٦٧ ، الى غزو بيروت ودمار الكرامة والتمزق في حيرتنا أمام لغز الحروب المستعرة الآن في المنطقة ، كلها أشياء مرة ولكنها اخر الامر مواجهات بين رجال ورجال ، وبين سلاح وسلاح ، وبين ذكاء وذكاء وبين مصالح ومصالح ، وبين أطماع وأطماع . .

مؤامرة على الوجدان

أما ماحدث لتراثنا فشيء آخر . . القوة الغاشمة تفعل فعلها لحظات في عمق التاريخ ، ثم تنحسر . . والمؤامرات الخبيثة تسود لحظات في وجود انسان العصر ، ثم تنكشف وتختبيء وتتوارى . . ولكن التآمر على عقل شعب ووجدان شعب ، شيء آخر تماما . .

جريمة ارتكبها الغزاة في وضح النهار وأمام كل شهود التاريخ . . وخرجوا منها بنقل عقل أمة الى أمة أخرى ، وبنقل وجود أمة الى أمم أخرى . . وصمت التاريخ وشوهت الحقائق ، ولم يتحدث أحد . .

لايستطيع دارس منا الآن أن يدرس شيئا في اللغة أو في التشريع الاسلامي ، او في المعاني الفلسفية للدين ، أو في الفلسفة الاسلامية أو في تاريخ حضارتنا كلها ، وأدبنا كله ـ الا اذا رجع الى مكتبات أوروبا ، والا إذا رجع الى المخطوطات المحفوظة في دور الآثار والكتب والجامعات الأوروبية .

ولا يستطيع دارس منا الآن أن يدرس الطب أو الهندسة أو العلوم الا بلغاتهم هم وبمناهجهم هم . . ومن كتبهم هم . . وكأنهم هم الذين أوجدوا هذه العلوم من عدم ، وكأنهم هم أصحاب الفضل الأول والأخير في البحث العلمي المنظم ، وفي التجريب الممنهج ، وفي تقديم حصيلة كل هذا الى البشرية خيرا وتقدما وحضارة .

والحقيقة التي غابت تقول انهم أقاموا علمهم على ماسبق أن أخذوه من علوم ، كما أقام العرب فكرهم وعلمهم على ماسبق أن ترجموه وأخذوه وطوروه في مرحلة من مراحل الحضارة الانسانية .

ولكن العرب اعترفوا بمصادر حضارتهم ، وأقروا بها ، ودفعوا أسماء أرسطو وبطليموس الى مرتبة الاستاذية ، وأسندوا لهم من الفضل ما هو حق لهم . . أما الغرب فقد سكت عما أخذ ، وأسند الكثيرون من أبنائه لأنفسهم الفضل في كل ما ترجموه ونسبوه الى أنفسهم من علم الاجتماع الى علوم البحار الى علوم الطب والكيمياء . . ثم ساروا في رحلة التطور الطبيعية التي يفرضها التقدم الانساني .

وكما خانت أوروبا الذاكرة خانت المسلمين وأصحاب الحضارة العربية ذاكرتهم أيضا ، فنسوا أنهم اشتغلوا بكل العلوم قبل غيرهم ، ونسوا أنهم أنشأوا المعامل والمستشفيات والمراصد ، والمصانع قبل غيرهم بكثير ، وساعدهم على النسيان شيئان رئيسيان :

الأول أن العثمانيين لم يرتبطوا بالمعنى العربي لانتمائهم واكتفوا بشعار الخلافة الاسلامية لما كان يضفيه على سيطرتهم على مقدرات المنطقة كلها من شرعية ، ونقلوا كل معالم المعرفة وكل رجالها الى الأناضول لتبدأ من هناك رحلة حضارية جديدة ، بينما تركت المنطقة لتخلفها التدريجي المتعمد ، واكتفوا بأن يتركوا لأهلها من كل تراثهم المعنى الديني وحده ، والدين في الاسلام عبادة وعمل ، وما التقوى وعمل الصالحات الا الاستمرار في الحفاظ على عقل الأمة ونمائها ، والاستمرار في العمل الصالح من أجل ازدهار الانسان المسلم وتحضره ، وتحت حكمهم انهار كل شيء الا معنى العودة الى الماضي ، والتدين المتخلف الذي أخذ يتجه تدريجيا

الى ماحاربه الاسلام من كهانة وأساطير وخرافات ، وممارسات الجهالة والجاهلين .

والثاني أن أهل الغرب أدركوا منذ الحروب الاسلامية الأولى أن وحدة هذه المنطقة تحت أي شعار تهديد حقيقي ومباشر للثروات المتدفقة من آسيا وأفريقيا ، وتهديد أيضا لاستمرار سيطرتهم على البحار الدافئة في الجنوب ، وعلى الأرض البكر في عمق أفريقيا والهند ، وتقاسم الاستعمار الغربي المنطقة لتتنافر في ثقافتها ، وفي مصادرها الجديدة للمعرفة ، ولتغير انتمائها الموحد الى انتماءات متعددة بتعدد الدول المستعمرة ، وتعدد اللغات الوافدة بموروثها الفكري والمعرفي المختلف ، وكان المستهدف في هذا كله انسان المنطقة نفسه ، فطالما ظل هذا الانسان معزولا عن ماضيه ، وبعيدا عن ممارسة أي نشاط موحد ، فهو أداة طيعة في يد الاستعمار الغربي ، وريث الروم والصليبيين أعداء المنطقة التقليديين . .

محاور على مر الزمن

وقد سار الاستعمار في تحقيق هذا على عدة محاور لم تختلف على مر الزمن وان تطورت في أشكالها وممارساتها . . ومن هذه المحاور الاستقطاب الثقافي الذي تحدثنا عنه ، ومنها تغير الهوية بمحاربة الثقافة القديمة التي وجدت وجمعت،ومن هنا كانت حملة التغريب أو محاولة محو اللغة العربية بكل تراثها من الوجود كمحور رئيسي في الاستمرارية الفكرية والعلمية الموحدة ، وغدت اللغة الفرنسية في الشام والمغرب اللغة الأم ، وغزت الانجليزية العراق ومصر ، واستقلت عرقيات بلغاتها القديمة ، فعاد الايرانيون الى الفارسية ، وعاد الأتراك الى التركية ، وتضاءل زحف العربية في الدول الاسلامية الآسيوية والافريقية ، لتحل محلها لغات محلية شديدة المحلية مع سيادة الانجليزية والفرنسية كلغة رئيسية ، بل وصل الأمر الى محاولة عزل المغرب العربي ، وبخاصة الجزائر عن جذورها اللغويه عزلا كليا . .

فاللغة هنا ليست مجرد أداة تعامل ، وانما هي أداة تحضر وأداة معرفة وثقافة ، وموروث العربية منها هو كل موروث العالم قبل انهيار الامبراطوريه الاسلامية في قمة عطائها الحضاري الرائد . .

ومن هذه المحاور أن ينغلق الانسان في المنطقة على انتماءاته الضيقة المحدودة بتشجيع الاقليات العرقية والمذهبية من ناحية ، وبالقفز بالفكر عند أبناء هذه المنطقة الى ماقبل توحدهم الاسلامي وتحقيقا للمقولة الأولى ظهرت مشكلات الأقليات القومية والعرقية والطائفية . . وتحقيقا للمقولة الثانية ظهرت قضايا الفرعونية والجزيرية واليمنية والفينقية والآشورية ، كما تحددت قضية الوطنية الضيقة في كل اقليم على حدة . . وهذه الولاءات الضيقة ترسب تدريجيا معنى الانفصال عن الولاء العام ، فلم يصبح التنافس من أجل قضية موحدة ، ولا في مواجهة عدو واحد ، ولا تحسبا لمؤامرة واسعة تشمل المجموع . . وانما غدا التنافس عاملا ممزقا لكيان ظل موحدا في عهود تفوقه ، وفي عهود اظلامه على السواء . . وفي عهود التفوق كان خطرا واضحا بارزا للعيان يمنع الغرب من ابتلاع الكيان العالمي كله ليخدم تفوقه وثراءه ، وفي عهود اظلامه كان خطرا كامنا يهدد باليقظة من حين الى حين ، ويردع عسكريا مرة بعد مرة ، ويردع بالتآمر عليه والتوحد ضده حتى من أعتى الاعداء الخصماء والذين ينسون في مواجهته كل خلافاتهم وصراعاتهم ليعيدوا المارد الى القمقم ، ثم يعودوا بعد هذا الى تصفية حساباتهم هم فيما بينهم .

فصل العقل العربي

ولكن أخطر هذه المحاور وأكثرها فعالية كان ومايزال هو فصل العقل العربي عن ماضيه وعن حاضره على السواء ، وذلك بأن يقر في ضميره بكل الوسائل من التعليم الى الاعلام الى الثقافة والأدب انه لا يملك من موروث الدنيا الحضارى الا ما يتعلق

بالدين واللغة ، كدين وكلغة بعيدا عن كل معنى حضارى وفلسفى وثقافي فيها ، وانه مدين للغرب بكل معطيات العلم والحضارة ، وانه تابع لا اصل له في الوجود الانساني كله .

وقد نجحت هذه المحاور في فعلها ، وكان أخطرها نجاحا هو المحور الأخير لاشك ، وليس أدل على نجاحه من مقولة الغزو الثقافي أو الغزو الفكرى التي انتشرت بيننا فنحن ـ بحكم هذه المقولة ـ لا علاقة لنا بالعطاءات العلمية والفلسفية المعاصرة ، لأنها غريبة عنا وغريبة عن وجودنا وموروثنا ، فكل هذه العطاءات غربية وغريبة عنا ، ونحن ينبغي أن نبتعد عنها لأنها تمثل غزوا لعقولنا وغزوا لفكرنا . . والحقيقة أن هذه كلها بضاعتنا أخذت منا سلبا ، وأنسينا أصلها وحقيقتها ، وطوروها هم كما طورنا نحن في مطلع وجودنا الحضاري عمن سبقونا ، ويجب أن نعود اليها في صورتها الراهنة المتطورة ، كما يجب أن نعود اليها في جذورها الأولى التي حملت سماتنا وعقليتنا وطريقة تفكيرنا ، لنعيد من جديد احتواءها وتمثلها ، ثم لنقوم بدورنا الواحد في تطويرها والاضافة اليها ، ليكون لنا دور ما في الوجود الحضاري الانساني المعاصر .

إن هذا التراث الانساني في العلم والمعرفة في الفكر والفلسفة في الأدب والابداع . . ملك لنا بحكم أننا جزء من هذا العالم الذي أنتجه وأبدعه ، وهو ملك لنا بحكم أننا أصحاب كلمة هامة فيه ، في مرحلة نامت فيها البشرية ، وحملنا الأمانة فحملناها بكل صدق وشجاعة .

ان الاسلام لم يقدم لنا العبادات وحسب ، وإنما قدم لنا حين ساد ماحوله ، فكر وثقافة وعلم البشرية قبله . . والاسلام لم يحملنا امانة العبادات وحدها ، وإنما حملنا أمانة معرفة البشرية وعلمها،نطلبها ولو في الصين لتستكمل البشرية مسيرتها ، وقد فعلنا .

وآن لنا أن ندرك أن المقولات التي تسود بيننا حول التراث مقولات زرعها الاستعمار الذي سلبنا بلادنا كما سلبنا عقولنا ، ويريد أن يسلبنا حاضرنا ومستقبلنا معا . . كما آن لنا أن ندرك أن الفعل الثقافي هو الفعل الحقيقى ، فمنه تنبع قوة الانسان ، وقوة الأمة ، منه تنبع قوة الجيوش وقوة الأسلحة وقوة العقل ان أردنا معنى القوة . . كما آن لنا أيضا أن ندرك أن لعبة السياسة التي ننغمس فيها في إطار الاقليمية المحدودة ، والانتماءات الضيقة ، ومعارك الأقليات ليست شيئا طبيعيا جاءنا بالضرورة ، وإنما هي معارك تولدت عن فعل استعمارى منظم درس وفهم كل مناطق ضعفنا ثم دفعنا اليها دفعا بالتآمر المبني على أساس من العلم والمعرفة ، ولن يتوقف هذا كله إلا أذا فهمنا ان جيوشهم حين غزت أرضنا لم تكن تستهدف الأرض والثروة وحسب ، وانما كانت تستهدف الثقافة والعلم والمعرفة والفكر ، واننا حين سرقنا توقفنا ، وان لصوص التراث هؤلاء ساروا بما سرقوا خطوات خطيرة في تاريخ الحضارة الانسانية ، وأنهم يغرسون فينا من المقولات عن طريق المخدوعين البسطاء أو عن طريق العملاء والخونة معنى الدونية تجاه صرح حضارتهم المعاصرة ، ويغرسون فينا معنى التشرذم والاقليمية لنظل في تطاحن يستريحون اليه ويستهدفونه ، كما يغرسون فينا الخوف من المعرفة والنفور من العطاءات العلمية بدعوى أن لنا تراثنا ولهم تراثهم، وماتراثهم هذا كله الاما ترجموا وطوروا من اصل تراثنا نحن المسروق .

نحن حيث أرادونا من فهمنا للتراث ومن فهمنا لمكاننا من المعرفة ، فهل نظل فيما نحن فيه ، أم عودتنا الى أصولنا تعني معرفتنا ان نتاج هذه الأصول هو تراث البشرية المعاصر كله ، وانه ملكنا نحن كما هو ملك الآخرين ؟

لو قفزنا على مرحلة التجهيل والتعصب والانانية وتضخم الذات ، ربما وجدنا الاجابة ، وعرفنا الطريق . □

منتدى العربي

تعقيبات

ملاحظات على مقال

الإسلام والتراث الإسلامي

بقلم : الدكتور عجيل النشمي*

في مقال الدكتور محمد أحمد خلف الله بعنوان (الاسلام والتراث الاسلامي) المنشور في العدد ٣٣٧ يناير ١٩٨٧ ، يمكن أن نصنف الموضوعات التي أثارها ورام الوصول اليها كنتائج علمية في الآتي :

● القضية الأولى : الاسلام شيء ، والتراث الاسلامي شيء آخر .

يفرق الدكتور بين الاسلام والتراث الاسلامي ، بطريقة خاطئة من الناحية العلمية ، حيث يذكر الدعوى ، ثم يستدل على صحتها من نفس ما ادعاه ؛ فقد وضع هو عنوان « الاسلام والتراث الاسلامي » ، ثم قال : إن العطف بالواو يقتضي المغايرة ، فهما عنصران متغايران ، وهذه مصادرة على المطلوب ، لا يصح بحال أن تكون الدعوى أو جزء منها دليلا على نفس الدعوى .

ثم يعرف الاسلام بالمعنى العام تعريفا سليما ، لكنه حين عرف التراث لم يصب السلامة حين قال : (والتراث الاسلامي هو ما ورثناه عن الأسلاف من نتاج عقولهم في تفاعلها مع الاسلام باعتباره ديانة سماوية) .

وهذا تعريف غير سليم في جملته ، فإن قيل إن كل ما خلفه فقهاؤنا ، وعلماؤنا ، وفلاسفتنا ، وكل ما خلفه غيرهم من علمائنا تراث فهذا صحيح ، لكن لا يصح وصف ذلك كله بأنه (نتاج عقولهم) ، فإن من ذلك الفقه الاسلامي - وسياق الكلام يعنيه - وهو لا يعبر عنه بهذا التعبير غير الدقيق (نتاج عقولهم) ، وإنما يعبر عنه بمثل : فهم الفقهاء للنصوص ، فهو كذا ، أو اجتهاد الفقهاء فهو كذا ، لأن قول الفقيه لا يرجع - في حقيقته - الى محض عقله وفكره ، بمعنى أن يكون من بنات أفكاره ، لأن النصوص الشرعية حاكمة على الفقيه وعقله ، وقد يوافق العقل ما يقتضيه الشرع ، وقد لا يوافقه ، بمعنى أن لا تظهر له الحكمة فيه ، ومع ذلك يسلم الفقيه بمقتضى الشرع ، ويكون الحكم له ، فهل يقال لهذا أنه من نتاج عقولهم ؟

ثم أراد الدكتور خلف الله أن يستدل على هذه التفرقة من جهة أن مصدر الاسلام يختلف عن مصدر التراث ، وقوة الالزام بينهما تختلف فقال : إن مصدر الاسلام هو المولى سبحانه وتعالى ، ومصدر التراث الاسلامي هو العقل البشري الذي تفاعل مع الاسلام

* عضو هيئة التدريس بكلية الشريعة والدراسات الاسلامية - جامعة الكويت .

باعتباره ديانة سماوية .

ونحن نقول : إن قوله بأن مصدر الاسلام هو الله تبارك وتعالى ، حق لا يماري فيه أحد ، ومن هنا كان التشريع ملزما ومقدسا .

لكن مناظرة ذلك ومقابلته بالدعوى الثانية غير مسلم به على إطلاقه ، لأن قول الفقيه المجتهد إذا كان كاشفا لمدلول النص وفق قواعد الاستنباط وأصوله بحيث لا يختلف فيه الفقهاء المجتهدون فهو ملزم ، لأنه ليس تشريعا جديدا ، ولا رأيا من بنات أفكار الفقهاء ، وإنما هو فهم سليم لمراد النص .

ثم انتقل الدكتور خلف الله الى قضية الالزام ، فقال : « الذي يملك قوة الالزام الديني هو ما يكون دينا ، هو ما يكون مقدسا . أما غير الدين فيملك قوة إلزام أخرى هو الالزام الأدبي » .

ونقول : إن قضية الالزام راجعة عند فقهاء المسلمين ـ دون شذوذ من أحد ـ الى النصوص الشرعية من الكتاب والسنة كأدلة متفق عليها ، ويلحق بهما ـ كأدلة متفق عليها أيضا ـ الاجماع والقياس ، ودور الفقهاء المجتهدين في ذلك بيان المراد من النص ، أو تحقيق أن القضية مجمع عليها ، وإثبات ذلك ، أو أن شروط القياس المعتبرة متحققة في الفرع تحققها في الأصل .

حتى في دائرة الفروع الفقهية لم يقل أحد أن إلزامية الأحكام فيها أدبي ، بل هو إلزام شرعي ، وغاية ما هنالك أن فيه سعة في التخير بين هذا الحكم عند هذا الفقيه المجتهد أو الحكم عند مجتهد آخر ، تبعا لقوة دليل كل منهما .

● القضية الثانية : أن الشريعة ملزمة ، والتشريع غير ملزم .

يميز الدكتور خلف الله بين الشريعة والتشريع ويفرق بينهما ، فيعتبر الشريعة هي ما كان من وحي الله وبيان النبي صلى الله عليه وسلم ، مما هو نص قطعي الدلالة ، وأما التشريع فيكون فيما لا نص فيه ، وهو محل الاجتهاد العقلي المحض ، وهذه تفرقة لم نعرفها في الفقه أو أصول الفقه الاسلامي ، بل إن المعروف عند الفقهاء الأقدمين والمحدثين أن المراد بالشريعة هو الأحكام التي سنها الله تعالى لعباده على لسان رسول من رسله ، وعلى خاتمهم محمد صلى الله عليه وسلم ، وهي شاملة لما يدخل في دائرة الأفعال والعقائد والأخلاق .

واشتق من لفظ الشريعة كلمة (شرع) بمعنى أنشأ الشريعة أو سن الشريعة ، وإذا فهمنا كلمة الشريعة كما ذكر الدكتور خلف الله ، أي فيما هو نص صريح قطعي الدلالة ، فإن قسما كبيرا من القرآن الكريم ليس كذلك ، إذ أن دلالة ألفاظ القرآن قد تكون قطعية وقد تكون ظنية .

وقد اعتبر الدكتور الاجماع والقياس من قبيل مالم يرد به نص ، وبالتالي للعقل البشري أن يرد من الأحكام ما كان مستنده ودليله الاجماع والقياس ، باعتباره نتاج عقول بشرية .

والصواب في ذلك أن الاجماع والقياس دليلان مرجعهما إلى اعتبار الكتاب والسنة ، ولذا فهما بإجماع الأصوليين من الأدلة المعتبرة ، وتثبت بهما الأحكام الشرعية ، فما كان دليله لا يرد باعتباره نتاج عقول بشرية كما ذكر .

● القضية الثالثة : تعديل النص والاجتهاد مطلق في المعاملات :

ثم يتناول الدكتور خلف الله قضية دقيقة هامة ، وهي إمكان تغيير ما ورد فيه نص قطعي من القرآن الكريم أو تبديله ، وقد استخدم لهذا الغرض عبارة « تعديل » ، وهو تعبير غير موفق ، لما يحمله من افتراض وجود خطأ أو عدم ملاءمة أو اعوجاج في النص القرآن القطعي ، وأن دور العقل حينئذ هو تعديل ذلك النص .

وإذا أمكن القول بهذا ، فإنه لم يبق للنص مزية ، ولا حجية ، ولا قدسية . وأتى هذا بالنقض على أصل الأدلة الشرعية المعتبرة ، وهو القرآن الكريم .

يقول الدكتور خلف الله : « لا حق لنا في إدخال أي

تعديل على الحكم الذي ورد فيه نص صريح قطعي الدلالة وارد مورد التكليف ، وهذا هو الأصل التشريعي . لكن هذا لن يحول بيننا وبين أن ندرس القضية على أساس آخر ، هو قدرة العقل البشري في إدخال التعديلات ، فهل يستطيع ذلك ؟ » .

● القضية الرابعة : إذا عارض النص المصلحة يؤخذ بالمصلحة ويقدم العقل على النقل .

ولقد أخطأ الدكتور خلف الله في هذه الدعوى في ثلاث قضايا علمية :

(١) في المراد بكلمة المصلحة في الشريعة الاسلامية :

فمما لا شك فيه ولا خلاف أن الشريعة الاسلامية في جميع أحكامها الكلية والتفصيلية قد راعت تحقيق مصالح العباد في أمور دنياهم وآخرتهم وهدفت إلى ذلك ، إلا أن ما ينبغي أن يعلم على وجه اليقين هو أن المصلحة ليست دليلا منفصلا ، أو مستقلا عن أدلة الشريعة الأخرى ، إذ لو كانت المصلحة دليلا مستقلا لكانت وحدها كافية في بناء الأحكام الشرعية عليها ، ولكان العقل مستقلا بتشريع الأحكام .

ولكي لا تكون المصلحة قضية عامة غير منضبطة فقد وضع لها الأصوليون الضوابط التالية :

١ ـ ألا تعارض المصلحة الكتاب الكريم أو السنة المطهرة .

٢ ـ ألا تعارض المصلحة القياس .

٣ ـ ألا تفوت المصلحة مصلحة أهم منها ، أو مساوية لها .

(٢) في معنى تغير الأحكام بتغير الأزمان ، وبالتالي تغير المصالح :

أما هذا الموضوع فقد فهمه الدكتور خلف على غير المعنى العلمي المراد منه ، فهم منه أنه مادامت الأحكام مربوطة بالمصالح ومنوطة بها ، والمصالح تتغير من زمن إلى آخر ، ومن مكان إلى آخر ، فان الأحكام تتغير حينئذ بتغير الزمن .

لقد قعّد علماء أصول الفقه هذا الموضوع ، ووضعوا له قاعدة مستقلة برأسها ، هي قاعدة (لا ينكر تغير الأحكام بتغير الأزمان) .

وقد حدد الفقهاء وعلماء أصول الفقه الاطار العام لما تنطبق عليه هذه القاعدة أو لا تنطبق ، فاتفقوا على أن ما تنطبق عليه القاعدة هو القضايا الاجتهادية التي بنيت على أساس من القياس ، أو على أساس من المصلحة .

(٣) استناده إلى رأي (الطوفي) في تقديم العقل على النقل إذا عارضت المصلحة النص :

استند الدكتور خلف الله لتأييد رأيه في أن المصلحة مقدمة على النص إذا تعارضا إلى رأي نجم الدين سليمان بن عبدالقوي الطوفي .

وقد أجمع علماء الفقه والأصول على أن رأي (الطوفي) شاذ ، خرق به إجماع الأئمة ، والشاذ لا يبنى عليه رأي ، وقد ناقشه كثير من العلماء ، وردوا عليه ، وفندوا رأيه وأدلته ، وأصبح من المستقر عندهم أن قوله هذا لا يعول عليه .

وأما قضية أن العقل مقدم على النص فهذا قول من جنس سابقه ، والقول به يبطل الشريعة في نصوصها المحكمة قطعية الثبوت والدلالة ، وهذا مالا يقبل من أحد . يقول الامام الشاطبي : « لو جاز للعقل تخطي مأخذ النقل لجاز إبطال الشريعة بالعقل ، وهذا محال باطل » .

ثم بدأ الدكتور خلف الله بذكر ثلاثة أمثلة للاستدلال على أن العقل يحكم بحكم الاستمساك بالنص قد يكون فيه إضرار بالصالح العام ، ولذلك ينبغي أن يقدم حكم العقل ، ويبطل حكم النص .

المثال الأول : ما ورد بشأن توزيع الغنائم في قوله تعالى : « واعلموا أنما غنمتم من شيء فإن لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل » .

فيرى الدكتور أن نظام توزيع الغنائم نظام مناسب للزمن السابق ، حيث كان القتال تطوعيا ، أما الآن فالدولة هي التي تنظم هذا الأمر ، فينبغي تعديل الآية لذلك .

ونقول ردا على ذلك : إنه لا يمكن أن تكون النصوص القرآنية مصادمة لمصلحة حقيقية ، وحين يضع القرآن نظاما ما فإنه لا يضعه لزمن دون زمن ، ولا لمكان دون مكان .

وينبغي أن يعرف هنا : أن الشارع الحكيم قد راعى من وراء نظام توزيع الغنائم تحقيق مصالح فردية واجتماعية ، فجعل مصرف الخمس لمصلحة الدولة ، تنفقه فيما يعود عليها في مرافقها أو جيشها بالاصلاح ، أو القوة والمنعة ، وهذا معنى « فإن لله خمسه وللرسول . . . » فما كان لله ولرسوله فمرجعه إلى مصالح الدولة الاسلامية .

وبعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم اجتمع رأي الصحابة على أن يجعلوا سهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وسهم ذوي القربى في الخيل والعدة في سبيل الله .

وإعطاء الغانمين من الغنيمة راجع إلى أصل عظيم في الاسلام ، وهو أن الجهاد في سبيل الله هو ذروة سنام الدين .

وهذا المعنى الايماني إنما يناسبه التجرد من الأجر المادي في الدنيا ، وليس هو طريقا للتكسب ، وإنما هو طريق للجهاد .

المثال الثاني : أبطل الدكتور الآيات التي أنزلت بشأن الرق ، بدعوى أن الرق لم يعد موجودا الآن ، وينبغي أن تعدل الآيات التي تعتبر الرق كفارة عن بعض الأمور ، ويترتب على قوله هذا إبطال الآيات الواردة في سورة النساء آية ٩٢ ، وفي المائدة ٨٩ ، والمجادلة ٣ ، ٤ ، والبلد ١٢ ، ١٣ .

ولا شك أن تعديل أو تعطيل هذه الآيات دعوى لا يمكن أن تقبل من أي وجه كان . ذلك في المقاييس الاعتقادية الاسلامية .

والذي يثبته التاريخ أن الاسلام حين أطل على البشرية كان الرق يملأ طباق الأرض ، فبدأ بعلاج تلك البلوى العالمية بطريقة تدريجية ناجحة ، فعمل على تجفيف مصادر الرق ، وفي نفس الوقت وسع طرق تحرير الأرقاء وأكثرها .

والاسلام حين عالج قضية الرق راعى في علاجه وحكمه استمرار مطاردة الرق في كل زمان ومكان ، لعلمه تبارك وتعالى أن الرق لا ينفك منه البشر ، وهو موجود في كل زمان ، وإن انقطع في زمن ما ـ ولم ينقطع ـ فإنه يعود في زمن لاحق .

وأما كون العتق كفارة من الكفارات فليس في هذا إشكال مع عدم وجود الرق ، لأن العتق ككفارة إنما طلبه الشارع عند وجوده ، وجعل الأمر فيه راجعا إلى خيار من عليه الكفارة ، فإن لم يوجد أو لم يختره انتقل إلى غيره ، مما هو منصوص في الآيات الكريمة ، وليس هناك ما يستدعي تعديل أو تعطيل الآية لمجرد تغير الزمان ، وندرة الرقيق أو انعدامه .

المثال الثالث : بشأن الآيات الواردة في عقوبة جريمة الزنا قال الدكتور خلف الله : « إن جريمة الزنا لا يمكن إثباتها اليوم عن طريق الشهود الذين يرون العملية رأي العين » . ويترتب على قوله هذا إبطال الآية الثالثة من سورة النور في عقوبة الزاني غير المحصن وعقوبة الراجم للزاني المحصن ، الواردة في السنة .

لقد اعتبر الاسلام جريمة الزنا من أكبر الجرائم وأخطرها ، لأنها تدخل في دائرة الأعراض التي اعتبرها الاسلام إحدى الضرورات الخمس ، وهي الدين والنفس والمال والعرض والعقل ، ولكن لما كانت هذه العقوبة شديدة ناسبها أن يشدد الاسلام في طرق إثباتها .

ولا يعني تشديد الاسلام في وسائل الاثبات ترك الجريمة تستشري في المجتمع المسلم ، لكن اعتبر الجانب الوقائي في قضايا الأعراض أهم من الجانب العقابي لأن جريمة الزنا والجرائم الأخلاقية في جملتها جرائم خفية ، لا تقع إلا في أماكن آمنة كالبيوت التي لا يمكن دخولها لغير أهلها ، ولو تساهل في وسائل إثباتها ـ والحال هذه ـ لتناول أناس أعراض آخرين ، ولشاع فحش القول في المجتمع . ولذا اهتم الاسلام بالجانب الوقائي الناجع ، فسد الذرائع والطرق المؤدية إلى وقوع هذه الجريمة . □

قصة مترجمة

نخب

قصة الكاتب الروسي : آ . كوبرين *

ترجمة : يوسف حلاق

أشرف عام مائتين من العهد الجديد على نهايته ، ولم يبق إلا خمس عشرة دقيقة حتى ذلك الشهر، وذلك اليوم ، تلك الساعة التي قررت فيها ألمانيا - آخر بلد تقوم على أرضه دولة ، وأخف بلاد الدنيا وأكثرها محافظة - التخلي عن وجودها القومي المتآكل المضحك والانضمام فرحة - والأرض كلها تهلل لها - إلى الاتحاد العالمي للناس الأحرار .

حسب التقويم الميلادي القديم نحن الآن على عتبة عام ٢٩٠٦ ، لم يستقبل هذا العام الجديد بمثل هذه الاحتفالات النابضة بالفخار والاعتزاز ، كما استقبل في القطبين الشمالي والجنوبي ، وفي المحطات الرئيسية بشركة الكهرباء المغناطيسية العظيمة .

لقد عمل على مدى ثلاثين سنة ماضية آلاف من الفنيين والمهندسين والفلكيين والرياضيين والمعماريين وغيرهم من الاختصاصيين على تحقيق أكثر أفكار القرن الثاني إلهاما وبطولة ، ألا وهي تحويل الكرة الأرضية إلى وشيعة مغناطيسية جبارة ، لفوها من الشمال إلى الجنوب (حلزونيا) بحبل فولاذي ، مغطى بمازل ، يقارب طوله أربعة مليارات من الكيلومترات ، ورفعوا في القطبين محطات استقبال ذات قوة خارقة ، وأخيراً ربطوا أطراف الأرض كلها فيما بينها بأسلاك لا حد لها ، ولم يكن أهل الأرض وحدهم هم الذين يتابعون بقلق هذه المغامرة المذهلة ، بل كان يشاركهم في ذلك كل من يقطن النجوم الأخرى التي يربطها بالأرض اتصال دائم ، ووجد كثيرون ، بعضهم ينظر إلى عزم الشركة نظرة عدم ثقة ، وبعضهم الآخر ينظر نظرة خوف ورعب .

لكن العام المنصرم كان عاما حافلا بالنصر الباهر للشركة على المشككين ، إذ حركت قوة الأرض المغناطيسية التي لا تنضب كل المعامل والمصانع وآلات الزراعة والخطوط الحديدية والبواخر ، وأضاءت كل الشوارع والبيوت ، وبعثت الدفء في المنازل ، فانتفت الحاجة إلى الفحم الحجري الذي

* الكاتب هو ألكسندر كوبرين (١٨٧٠ - ١٩٣٨) أحد كبار كتاب القصة والرواية الروس في مطلع هذا القرن ، عرف بتعاطفه مع الانسان الصغير المسحوق ، وبسخطه على مشوهي هذا الانسان . ومن أعماله الروائية المعروفة « المبارزة » و « مولخ » كما له عدد كبير من القصص القصيرة منها « النخب » التي نقدم لقراء العربي ترجمة لها .

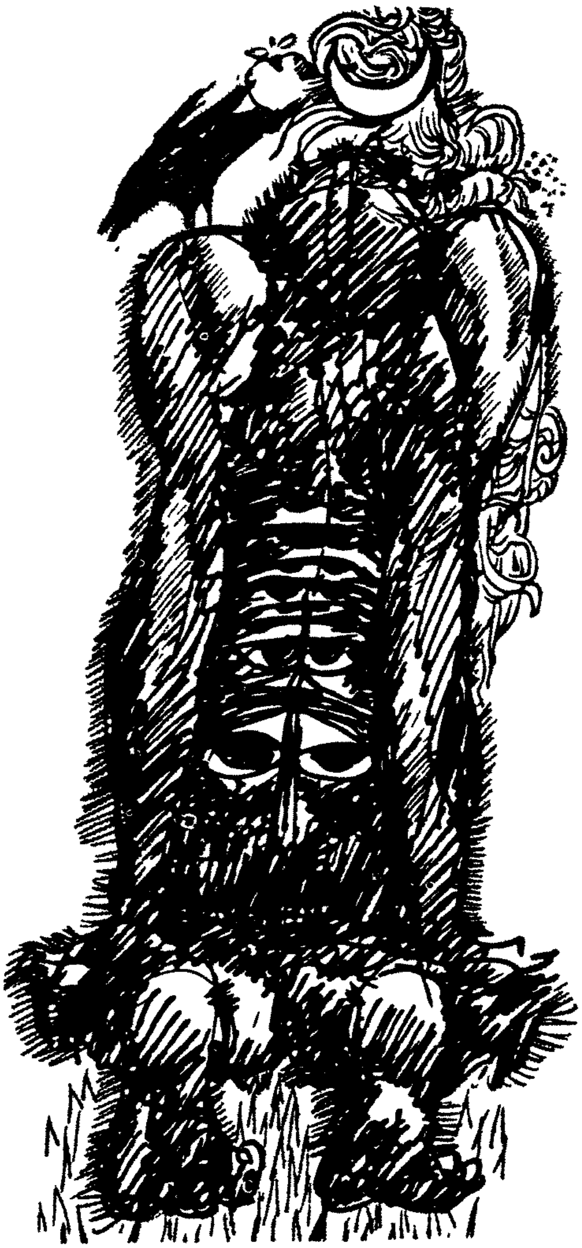
تضبت مكامنه منذ أمد بعيد ، وبحت من على سطح الأرض المداخن الكريهة المسممة للهواء ، فأنقذت الأزهار والأعشاب والأشجار ، هذه هي الفرحة الحقيقية للأرض ، فقد أمنت خطر الذبول والموات ، وأعطت أخيرا نتائج لم تسمع بها أذن قط في الزراعة ، إذ رفعت إنتاج الأرض في كل مكان إلى أربعة أضعافه تقريبا .

نهض أحد مهندسي المحطة الشمالية من مكانه وكان قد انتخب رئيسا ـ هذا اليوم ـ ورفع كأسه عاليا فخيم الصمت على الجميع وقال : أيها الزملاء ، إذا كنتم توافقونني فإني سأتصل فورا بمساعدينا الأعزاء الذين يعملون في المحطة الجنوبية ، فهم قد اتصلوا بنا منذ برهة وجيزة جداً .

كانت قاعة الاجتماع الضخمةالتي تترامى أطرافها الى البعيد في غير نهاية قاعة رائعة من البلور والمرمر والحديد ، يزين كل ما فيها أزهار نادرة ، وأشجار زاهية ، جعلتها أشبه ببستان منها بمكان اجتماع ، وفي الخارج كان أشبه بليل قطبي ،ولكن بفضل المكثفات كان ضوء الشمس الباهر يغمر خضرة النباتات والطاولات ووجوه آلاف المحتفلين والأعمدة الرشيقة واللوحات الرائعة والتماثيل ، وكان ثلاثة من جدران القاعة شفافة أما الجدار الرابع الذي كان يدير الرئيس إليه ظهره فقد كان على شكل (شاشة) مربعة الزوايا من زجاج لامع وناعم جدا .

وبعد أن نال اقتراح الرئيس الموافقة لمس بأصبعه زراً صغيرا في الطاولة ، وفي الحال أضاء الشاشة نور داخلي ، يبهر الأبصار ، لكنه ما لبث أن تلاشى ليكشف عن قصر بلوري ، لا يقل عن الأول روعة وضخامة .

وفي الطرف الآخر ـ تماما كما في القاعة الأولى ـ كان يجلس وراء الطاولات أناس أقوياء ، وسيمون، ذوو وجوه مشرقة ، وهم يرتدون ملابس خفيفة لامعة ، وكان أولئك يتعرفون على بعضهم



البعض من على بعد عشرين ألف فرسخ ، ويبتسمون لبعضهم البعض ، رافعين كؤوسهم للتحية ، لكنهم لم يكونوا يسمعون أصوات أصدقائهم البعيدين ، بسبب الضحك والهتافات .

نهض الرئيس من جديد وبدأ كلامه ، فصمت أصدقاؤه ومعاونوه على طرفي الكرة ، قال : إخوتي وأخواتي الأعزاء ، وأنتن أيتها النساء الرائعات ، وأنتن أيتها الأخوات اللواتي أحببتني قبلا ، إن قلبي مفعم بالشكر ، لكن ، اصغوا إلي ، فالمجد للحياة الشابة دوما ، الحياة الرائعة ، الحياة التي لا تنضب ،

والمجد للمسيطر على الأرض ، وهو الانسان ، فلنمجد أفراح جسده كلها ، ولننحن أمام عقله الخالد ، هأنذا أتطلع إليكم ، عزيزين ، شجعانا ، متساوين ، فرحين ، فيشتعل قلبي بمحبتكم ! ولا حدود لعقلنا ، ولا حدود لرغباتنا ، فنحن لا نعرف الخضوع ولا السلطة ولا الحسد ولا العداوة ولا العنف ولا الخداع ، وكل يوم يحمل إلينا أبعادا لا حد لها من أسرار العالم ، ونعي كل يوم - وبسرور أكبر - مدى المعرفة وقدرتها ، وحتى الموت نفسه لم يعد يرهبنا ، فنحن لا نترك لهذه الحياة أن تشوهنا بالشيخوخة ، وبالرعب الوحشي في أحداقنا وباللعنة على شفاهنا ، بل إننا نغمض أعيننا في هدوء كأننا مسافرون تعبون ، فعملنا متعة ، وحبنا الخالص البعيد عن كل قيود العبودية والتفاهة يضاهي حب الزهور ، إنه حر ورائع .

أصدقائي ، أتفوه بأشياء معروفة منذ القديم ، لكني لا أستطيع غير ذلك ، فاليوم كنت أقرأ منذ الصباح وبدون توقف كتابا رائعا ومرعبا ، إنه تاريخ ثورات القرن العشرين ، وكثيرا ما كانت تراودني فكرة أنني أقرأ أسطورة ، فلقد بدت لي حياة أجدادنا الذين عاشوا قبلنا منذ تسعة قرون متوحشة وبلا معنى وغير حقيقية .

لقد كانوا ضعفاء ، قذرين ، سقيمين ، مشوهين وجبناء ، أشبه بحيوانات قذرة في قفص ، كان واحدهم يسرق قطعة الخبز من الآخر ، ثم يحملها إلى زاوية مظلمة ، ويرتمي عليها كي لا يراها غيره ، وآخر يغتصب المسكن والخشب والماء والأرض والهواء من أخيه ، أكوام من الشرهين والفاجرين ، يسعى لارضائهم المراؤون واللصوص والمخاتلون والمغتصبون ، كانوا يخيفون جمهورا من العبيد السكارى وجمهورا آخر من البلهاء ، وكانوا يعيشون طفيليين على صديد التفسخ الاجتماعي ، وكانت الأرض على رحبها وروعتها ضيقة بالناس كسجن ، وخانقة كمدفن .

ولكن حتى في ذلك الزمن رفع أناس عزيزون أنفون أبطال ذوو نفوس كريمة ، رءوسهم من بين هذه الحيوانات المستسلمة ، ومن بين هؤلاء العبيد الزاحفين على الأرض كالأفاعي ، كيف ولدوا في هذا العصر السافل الجبان ، لست أفهم ذلك ؟ كانوا يخرجون إلى الساحات وإلى مفارق الطرق صارخين : فلتحيا الحرية ، وفي ذلك الزمن الدموي المرعب حين لم يكن أي بيت يمثل ملجأ أمينا ، وحين كان الملوك يحكمون بالعنف والقتل والتعذيب ، كان هؤلاء الناس يهتفون في جنون مقدس : ليسقط الطغاة . لقد أغرق هولاء الناس الأرصفة بالدم الحار الزكي القاني ، وكانوا يموتون على أعواد المشانق أو رميا بالرصاص،وكانوا يمتنعون بملء رغبتهم عن كل ملذات الحياة إلا واحدة ، ألا وهي الموت في سبيل حياة حرة للانسانية العتيدة .

يا أصدقائي : أحقا أنكم لا ترون هذا الجسر من الجثث البشرية الذي يصل حاضرنا المشرق بالماضي المرعب ؟ ألا تشعرون حقا بنهر الدم الذي حمل البشرية كلها إلى هذا البحر الفسيح المشرق من السعادة العارمة ، لتبق ذكراكم إلى الأبد أيها الغائبون ، يا أيها الشهداء الصامتون ، فحين كنتم تصعدون أنفاسكم ، كانت ابتسامة تشع من عيونكم الثابتة الشاردة إلى أعماق القرون ، وكنتم ثروتنا ، نحن المتحررين الأقوياء المنتصرين ، وكنتم تبحثون إلينا ببركتكم في لحظة استشهادكم العظيمة . يا أصدقائي ، ليشرب كلنا بهدوء وخشوع كأسه تخليدا لهؤلاء الشهداء ، وليشعر كل منا بنظرتهم الوادعة المباركة إليه !

وشرب الجميع في صمت ، لكن امرأة خارقة الجمال ، كانت تجلس قرب الرئيس ، ألقت فجأة برأسها إلى صدره ، وبكت في صمت ، وحين سئلت عن سبب دموعها أجابت بصوت يكاد لا يسمع : ومع ذلك كم وددت لو أني عشت في ذلك الزمن معهم ، معهم ، معهم . □

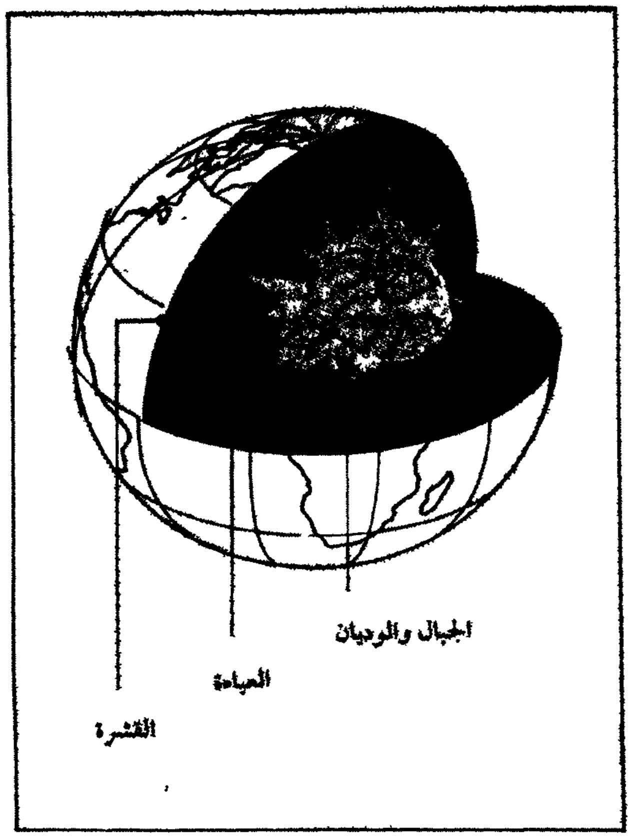
العربي - العدد ٣٤٣ - يونيو ١٩٨٧

الجديد في العلم والطب

اعداد : يوسف زعبلاوى

جبال ووديان في باطن الكرة الأرضية

● عقد اتحاد علماء الجيوفيزياء الامريكيين اجتماعا هاما لهم في مدينة سان فرانسيسكو في الأيام الأخيرة من السنة الماضية (١٩٨٦) .. وشهد هذا الاجتماع من المناقشات والنتائج ما يحمل على الشعور بأن قصص الخيال العلمي التي برز في كتابتها جول فيرن حول باطن الأرض قد أصبحت حقيقة واقعة ، أو كادت . فالنظرية الجيولوجية القائلة بأن باطن الأرض مكون من نواة تلفها عباءة ، وهذه العباءة تلفها القشرة الأرضية التي نعيش فوقها ، وأن سطح النواة والعباءة مستوية ويحاذي بعضها بعضا « دونما تداخل ، وهي النظرية التي سادت على مدى القرون ، والتي سلم بصحتها الجميع ، قد انهارت في اجتماع العلماء المذكور ، على أن انهيارها لا يعزى الى نظرية أخرى مثلها ابتدعها أحد العلماء ، وإنما الى الرسوم والخرائط التي ساعدت على وضعها أجهزة جيوفيزيائية متطورة ، وتعرف هذه الأجهزة الحديثة باسم Seismic-Tomography Scans . انها الشق الآخر لأجهزة التصوير الطبي (CAT Scanner) التي أحدثت ضجة كبيرة ، وفتحت صفحة جديدة في عالم الطب .. أما الأمواج أو الاهتزازات التي اعتمدتها الأجهزة الجيوفيزيائية الحديثة لاستكشاف مجاهل باطن الأرض، فهي الأمواج الزلزالية Seismic التي تحدثها الزلازل . فقد عكف عدد من العلماء العاملين في معهد التقنية في كاليفورنيا .. عكفوا على دراسة الأمواج والاهتزازات التي أحدثتها مجموعة كبيرة من الزلازل .. بالتحديد (٢٥٠٠٠) زلزال ، كانت كلها بقوة تزيد على (٤,٥ رختر) . وراحوا يراقبون كيف تغيرت سرعة تلك الأمواج ، واين وعلى مدى آلاف الأميال التي قطعتها في باطن الأرض .. وهكذا اتضح لهم أن مركز الأرض أو ان شئت النواة تتداخل وعباءتها .. وأن في كل منها نتوءات وفجوات .. وتتداخل النتوءات في كل منها مع الفجوات في الأخرى .. وبالعكس ولا يخفى أن هذه النتوءات والفجوات لابد وأن تكون ضخمة .. بضخامة السطوح التي تنتمي اليها : سطح النواة وسطح العباءة في باطن الكرة الأرضية ، فهي إذن جبال شاهقة ووديان سحيقة ، تمحو النظرية السابقة التي اعتبرت سطحي النواة والعباءة مستويين



مهدين يحاذي أحدهما الآخر أو يلامسه .

ولم تقف الأجهزة الحديثة عند رسم تلك الجبال والوديان بل ذهبت الى تحديد أبعادها ، وقد استطاعت تحديد ارتفاع بعض جبال النواة بنحو ١٨٠٠ ميل . . وتقع الجبال المذكورة تحت قارة استراليا (الى الشرق) وتحت المحيط الأطلسي الى الشمال . . وفي مواقع مختلفة . . أما الوديان العميقة فتقع في الغالب تحت أوروبا والمكسيك وتحت الجنوب الغربي في المحيط الهادي ، وتبين الخرائط الغربية الجديدة جزر الهند الشرقية عائمة فوق واد عملاق سحيق يبلغ عمقه (٦) أميال أو يزيد .

على أن هذه النظرية الجديدة لا تعدو كونها (نظرية) بالرغم من أنها مستمدة من تقارير ورسوم وضعتها أجهزة متطورة وحديثة ، إلا أنها أكثر موضوعية ووجاهة من النظرية القديمة . وقد استخلصت مما سجلته تلك الأجهزة في رسوم ومعلومات ، ولعلها هي النظرية الصادقة التي ستصمد على الزمن كعمود نظرية الجاذبية مثلا . .

والجدير بالذكر أن للنظرية الجديدة مزايا هامة ، فهي تساعد على تفسير بعض الألغاز التي لم تستطع تفسيرها النظرية القديمة ، من ذلك طول اليوم الذي كان ـ ومازال ـ يتغير كل عشر سنوات أو نحو ذلك . . بمقدار (٥) أجزاء من ألف جزء من الثانية . . فلعل الاحتكاك الذي يحدث بين سطح النواة وسطح العباءة بين حين وآخر هو الذي يتسبب لدوران الأرض حول نفسها بأن يختلف قليلا فيختلف معه طول اليوم . ومن الألغاز التي تفسرها النظرية الجديدة أيضا لغز زحزحة القارات . . وهذا هو ما يتوخاه العلماء في هذه النظرية في مستقبل قريب . .

بقي أن نشير الى أن جبال باطن الأرض ووديانه انما تنشأ تبعا لحركة تحدث داخل العباءة فهذه مكونة من صهير . . أو صخور ذائبة ذات بنية منسجمة ، فاذا ما وقعت مادة باردة على ذلك الصهير غاصت فيه وكونت الوديان،أما اذا تعرض الى تيارات ساخنة،بل قل جحيمية انبثقت القمم ، وارتفعت الجبال . هذا على الأقل هو التفسير الذي قدمه أنصار النظرية الجديدة في الاجتماع المذكور .



سلامة البشرية في سلامة البيئة

تجربة رائدة في أعمال حماية البيئة

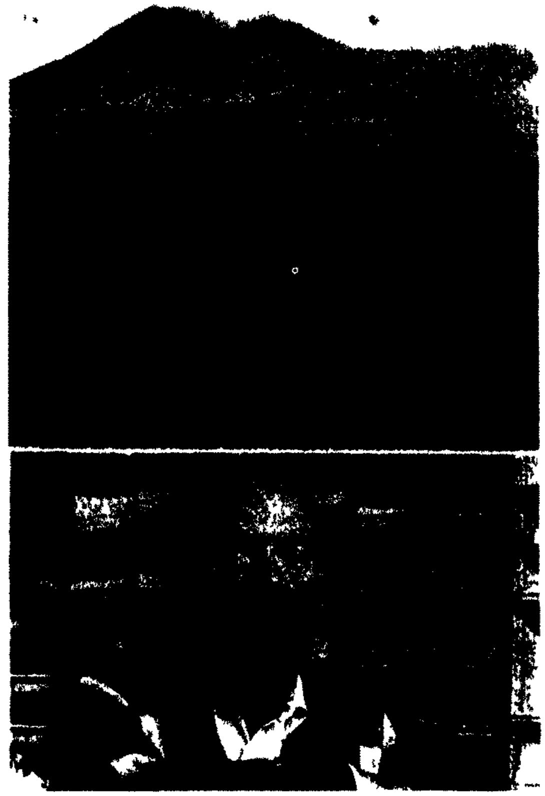
يعجب المرء للحماسة التي يقبل بها البيئيون في الغرب على أعمال حماية البيئة ومكافحة التلوث ، فنحن لم نألف مثل هذه الحماسة الا في أعمالنا الخاصة التي قد تعود علينا بالفائدة المادية ، أو تضمن اشباع لذاتنا أو غرورنا . . اما المشاريع البيئية التي قد تكبدنا المشاق او تكلفنا الخسائر والتضحيات ، والتي لاتطمح الى اكثر من تنظيف ماء بحيرة هنا ، أو انقاذ قطيع من الماشية هناك ، فلا تلقى منا في الغالب الا القصور . . هذا اذا أقدمنا عليها أو أسهمنا بها أصلا . . .

البروفسور دافيد جانزن استاذ يدرس البيولوجيا في جامعة بنسلفانيا في الولايات المتحدة الامريكية . . أشرف على الخمسين من العمر وعرف عنه الشغف بالعلم والبحث ، حتى أنه آثر العزلة واتخذ من مكتبه في الجامعة سكنا له ، وقضى معظم فراغه في جمع البذور والديدان ، ومراقبة الفئران ، والتجول في الحقول المهجورة ، الى آخر ماهنالك من هواياته العلمية والبيئية .

فوقاية البيئة ، وحماية أحيائها البرية ، والمحافظة على توازن منظوماتها ، أصبحت تحتل مكان الصدارة بين اهتمامات جانزن . . وذلك منذ نحو ١٥ عاما ، فقد راعه ماحل بالسلامة البيئية ، لا في بنسلفانيا حيث يعمل ويعيش ، ولكن في كوستاريكا ، في أمريكا الوسطى ، وعلى شواطئها الغربية بالذات ، شواطىء المحيط الهادي حيث توجد حديقة الحيوان الوطنية الشهيرة (سنتاروز) ذلك أن المناطق المحيطة بتلك الحديقة فقدت حيويتها ، فاختل التوازن في منظوماتها البيئية وتحولت بالتالي من غابات استوائية ممطرة الى غابات استوائية جافة . وهكذا أصبحت امطارها موسمية تشح بل تتوقف تماما طوال ٥ ـ ٦ شهور ، من شهر ديسمبر حتى شهر مايو ، وأجدبت تلك المناطق وفقدت عطاءها ، سواء من النبات او الحيوان ، حتى ضاق الفلاحون ذرعا بأراضيهم وأصبحوا يرحبون ببيعها بأبخس الاثمان .

ولم يدر أولئك الفلاحون انهم كانوا السبب الاول فيما حل بمنطقتهم من دمار ، فقد بالغوا في التحطيب وقطع الأشجار ، وجاروا في الرعي والصيد ، وواصلوا اشعال الحرائق بعد المواسم بقصد تنظيف الحقول مما تراكم عليها من شوائب ، ولم يخطر لهم ببال أن اعمالهم تلك انما كانت بمثابة جريمة اغتيال ارتكبوها لابحق بيئتهم فحسب ، ولكن بحق أنفسهم وذويهم ايضا .

ودرس جانزن هذه المشاكل جميعا بتفصيل فوجد أن في الامكان انقاذ تلك المناطق مما حل بها على مدى



هذه هي الأرض التي ماتت بيئتها ثم اصلحت
وهذا هو العالم الذي أصلحها

عشرين عاما ، وذلك اذا توافر المال الكافي للقيام بالاعمال والمشاريع التي يتطلبها انقاذها ، وشعر البروفسور بالتحدي وقرر الاسهام شخصيا لافي اعمال الانقاذ فحسب ولكن في جهود جمع الاموال التي تتطلبها تلك الاعمال ايضا ، وقد قدرها بنحو ١٢ مليون دولار ، ومضى جانزن في جمع المال حتى بلغ ماجمعه منه حتى الآن « ١,٣ مليون دولار » . . يفاوض على شراء الارض . . اذ لاسبيل الى القيام بأعمال الانقاذ المرجوة مالم تتوافر له حرية التصرف التي لاتكون الا في امتلاك الارض ، وتبين له ان الحد الادنى من المساحة المطلوبة لمشروعه البيئي النموذجي يبلغ ١٥٨ ميلا مربعا على وجه التحديد . . وبلغ الثمن الـذي طلبه اصحاب الاراضي للتخلي عن اراضيهم ٢٠٠ ـ ٣٠٠ دولار للهكتار الواحد . .

وواصل الشراء حتى بلغت مساحة الاراضي التي يمتلكها مشروعه نحوا من ١٥ ميلا مربعا واطلق على مشروعه اسم (جوانا كاست) وهو اسم شجرة اشتهرت بها تلك المنطقة . . وتتميز هذه الشجرة بضخامتها فهي تغطي بشتى اغصانها وفروعها أكثر من فدان من الارض وترتفع في الجو اكثر من ١٠٠ قدم

وأقام استاذ البيولوجيا لنفسه في المنطقة حجرة خشبية متواضعة جعل سقفها من تنك وسمح لبعض المزارعين بالعيش على ارض المشروع والقيام بأعمال زراعية وفق مخططه على ألا يقوموا بأي عمل من الأعمال التخريبية التي أدت الى تلف المنطقة ولعل الامتناع عن هذه الاعمال وهي التحطيب الجائر والرعي الجائر والصيد الجائر هو اهم اعمال الانقاذ التي يقوم بها جانزن

وقد أثمرت هذه الاعمال التي مضى على مباشرتها نحو ١٥ عاما واخذت الحياة تعود الى التربة والاشجار والمراعي ، وبدأت الأحياء البرية التي كانت هجرت المنطقة بالعودة اليها . وتشمل هذه الأحياء فيها تشمل ١٧٠ فصيلة طيور و (١٣٠٠٠) فصيلة حشرات و ١٠٠ فصيلة زواحف و ١١٥ فصيلة حيوانات لبون ناهيك عن النباتات.، وقد بلغت ٧٠٠ فصيلة وذلك وفق الدراسات المتصلة التي أجراها استاذ البيولوجيا . .

وتشير الدلائل الى أن شهر فبراير المقبل (١٩٨٨) سيشهد استكمال جمع الاموال والتبرعات ، واستكمال شراء الأراضي التي يتطلبها المشروع . . كلها . . وقد لاتحل سنة ١٩٩٠ حتى تعود الحياة البيئية الى المنطقة وذلك بفضل مشروع (جوانا كاست) بالتخصيص .

وتجدر الاشارة الى أن بعض الهيئات البيئية قد تعاونت مع البروفسور جانزن ، وأن أهالي المنطقة قدروا له مشاريعه حق التقدير ، وأسهموا في تنفيذها الى حد كبير . □

النوبة أرض الذهب وشعب المأساة



استطلاع : سليمان مظهر
تصــوير : سليمان حيدر



البداية من أسوان . . قلب الصقر النوبي بجناحيه القديم والجديد . فمن جنوبها عند الشلال الأول للنيل ، تمتد النوبة القديمة حتى الشلال الثاني عند حدود السودان . . وإلى شمالها تمتد النوبة الجديدة الى مابعد كوم امبو وحتى أقصى قراها في ذابود . . ومن بوابات سدها العالي تمتد أشهر بحيرة صنعها الانسان لتخزين مياه الحياة التي غمرت أرض الذهب والصبر . . ومن عيون أنفاقها تنطلق اكبر الطاقات لتضفي الخير والقوة والري والنماء على الأرض الطيبة .

والتاريخ . . شاهد كل العصور .

من فوق أعلى قمة في أسوان نقرأ سطور تاريخ مجيد كتبه الانسان على صفحات المكان والزمان . . إنها قمة نصب تذكاري شامخ بارتفاع الهرم الاكبر . . شيد رمزا للصداقة والتعاون ، على شكل زهرة اللوتس من خمسة أفرع ، يتوسطه من أعلاه ترس الصناعة ، وتتصدر واجهته لوحة محفورة بارتفاع النصب ، تمثل الامطار الهابطة من السماء ، وكفين يتلقيان فيض الخير ، وتتوسطه آية كريمة « وجعلنا من الماء كل شيء حي » . من فوق هذا النصب الرمزي نشهد معجزة صنعتها الأيادي المتلاحمة لتحول مجرى النيل الخالد وتشيد أضخم سد شهده التاريخ . . اشترك في بنائه على مدى أحد عشر عاما بدأت عام ١٩٦٠ ما لا يقل عن ٣٥ ألف خبير وعامل مصري يعاونهم في عملية التصميم والانشاء خمسة الآف خبير سوفيتي . ولا ينسى صانع هذا الرمز التذكاري جمال عبد الناصر باني السد أن يخلد قيمة التضحية الكبيرة التي قدمها أهل النوبة ،

فيسجل على أحد فروع الرمز التذكاري وبارتفاعه لوحة محفورة ، خلفيتها من رسوم لوحدات زخرفية هندسية من ورق البردي وزهرة اللوتس ، وواجهتها لفلاحة نوبية في زي فرعوني وإلى جانبها رسم يمثل الاطباق الخوصية والأبراش المزخرفة الملونة التي اشتهرت بها بلاد النوبة . . وذلك رمز إشادة وتقدير للنوبيين الذين ضحوا بأراضيهم وقبلوا التهجير الى النوبة الجديدة بعيدا عن موطنهم الاصلي ، الذي غمرته مياه أكبر بحيرة صناعية في العالم ، تبدو شاسعة الأطراف ممتدة الى الجنوب بسعة ١٦٢ بليون متر مكعب على منسوب ١٨٢ مترا وبطول ٥٠٠ كم وبعرض عشرة كيلومترات مغطية مساحة ٥٠٠٠ كم² وراء السد العملاق . .

السد العالي وترويض النهر

نطل الى السد العالي . . ونتذكر . .

لقد كان النيل دائما مصدر الخير لمصر . . يمنحها عاما حين يفيض فينشر الخير هنا وهناك . . ويمنعها عاما آخر حين يغيض فيعم القحط والحرمان . . وهو عملاق في شهور الفيضان يجري بما يزيد عن الحاجة طوال ثلاثة شهور ، وشحيح قزم في أشهر الصيف يحمل مالايدرأ الظمأ أو يكفل الرزق . وهولا يستقر على حال ، إنما يختلف إيراده يوما عن يوم وشهرا عن شهر وموسما عن موسم وسنة عن سنة . وكان لابد من معالجة طبيعة النهر وترويضه والسيطرة عليه . . فبدأت مشروعات التخزين السنوي ببناء خزان أسوان عام ١٩٠٢ مع مجموعات القناطر على النيل لتنظيم الري . إلا أن التخزين الموسمي لم يكن إلا علاجا جزئيا برغم أن تعلية سد أسوان تمت بعد ذلك مرتين عامي ١٩١٢ و ١٩٣٧ ، فقد ظل التفاوت الكبير في إيراد النهر يختلف من عام الى عام وتضيع من مياهه ٤٠٪ يلقى بها في البحر رغم شدة الحاجة اليها . ومنذ قيام ثورة ١٩٥٢ بدأت دراسة فكرة إنشاء سد عال للتخزين على منسوب مرتفع يكفل تزويد مصر سنويا بتصرف ثابت من مياه النيل ، ويسمح بالتوسع الزراعي في مساحات جديدة ، ويقي البلاد غوائل الفيضانات العالية ، ويزودها في نفس الوقت بطاقة كهربائية كبيرة تكون الركيزة الأساسية للتنمية الزراعية والصناعية للبلاد .

وبرغم معوقات كثيرة واجهت إنشاء السد

العالي ، إلا أن التنفيذ كان لابد منه ، حيث بذلت جهود كبيرة لاقامته ، وتم تحويل مجرى النهر في عام ١٩٦٤ وحفرت قناة بالجانب الشرقي للنيل لتصريف المياه ، مزودة بستة أنفاق رئيسية ، يتفرع كل منها إلى فرعين مركب على كل منها توربينة لتوليد الكهرباء ، مشكلة ١٢ توربينة قدرتها الكلية تزيد عن مليونى كيلوات تولد سنويا ١٠ مليارات كيلوات ساعة .

ويبلغ ارتفاع السد من متوسط سطح النهر الى القمة ١١١ مترا وطوله من السد الى نهايته ٣٨٣٥ مترا أي حوالي ٤ كيلومترات . وهو يأخذ شكل القوس حتى لا تشكل كمية المياه المخزونة في البحيرة ضغطا على جسم السد ، الذي يقف على قاعدة صلبة جدا مساحتها عند القاع ٩٨٠ مترا بحيث تتحمل أي ضغط عليها ، كما تتحمل جسم السد والانفاق وقناة التحويل .

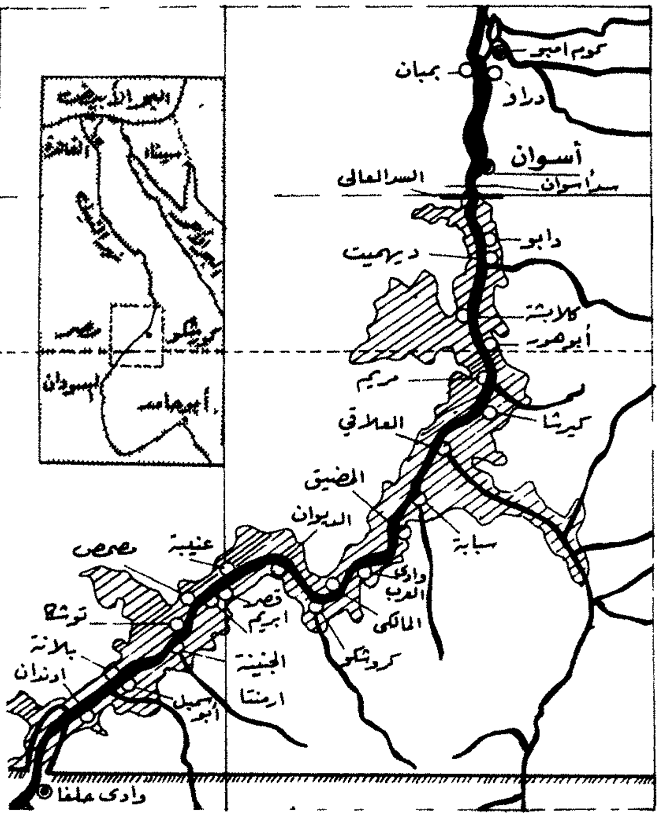
تضحيات أهل النوبة

ونلتقي بالمهندس صلاح شهاب رئيس هيئة السد العالي ، ونسمع منه الكثير :

ليس هناك من ينكر أن تضحية أهل النوبة كانت وراء قيام هذا البناء الشامخ . . فقد ضحوا بالأرض والزرع والنفس من أجل أن يصنعوا الحياة والسعادة والرخاء للآخرين .

والواقع ان السد العالي أدى الى طفرة وتطور كبير ، وأصبح دعامة أساسية للنهضة الصناعية والزراعية والاقتصادية والحديثة في مصر ، وهو يعتبر حجر الزاوية في المشروعات الانتاجية جميعا ، كما أنه وحيد نسجه بين جميع مشروعات الري الكبرى في العالم ، بل إن العائد منه يفوق أي مشروع آخر . . ويكفي أن نقول أن إجمالي تكاليف إقامة السد ومحطة الكهرباء والمشروعات المترتبة على مرور خطوط الكهرباء قدر بمبلغ ٤٥٠ مليون جنيه . . وقد أتى بتكاليفه في أقل من عامين إذ بلغ العائد الاقتصادي خلال عشر سنوات منذ إنشائه مالا يقل تقديره عن عشرة الآف مليون من الجنيهات . . أي عشرين ضعفا لما أنفق عليه .

وينفرد السد العالي بظاهرة عجيبة ، وهي أنه مشروع يعم أثره ويفيض خيره على أرض مصر جيمها ويتعدى ذلك ليعم السودان أيضا . . وهو متعدد الاغراض لاتقتصر أغراضه على الري فحسب ولا على توليد الطاقة الكهربائية فقط . وإنما تمتد

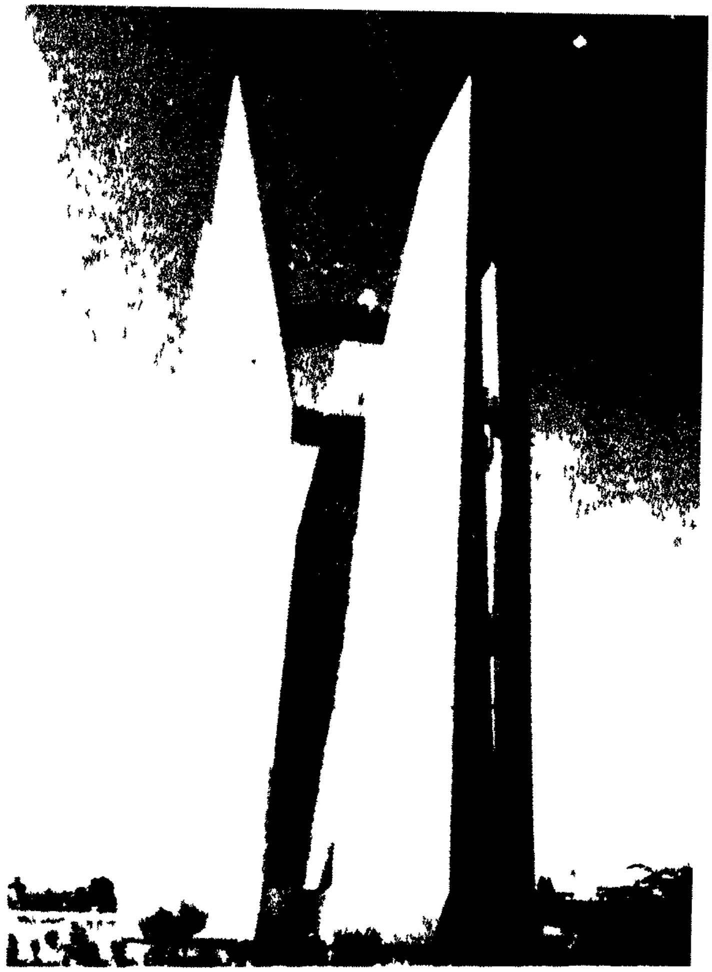


● النوبة القديمة والجديدة . . وموقع السد العالى وبحيرة ناصر

لتشمل فوق ذلك القوى الكهربائية وتحسن الملاحة والوقاية من الفيضانات العالية وتأمين محاصيل البلاد في جميع السنين . ولاشك أنه كان الأصل أيضا في خلق مجتمعات جديدة ، لانه لولا الكهرباء وقوة العمل التي يمكن استغلالها ، ما كان من الممكن

إنشاء المصانع في المجتمعات الجديدة وخاصة أنه أدى كذلك الى تحديث وتطوير القرى المصرية . وأذكر من فوائده أيضا تحويل ري الحياض الى ري دائم مع خطة ماتزال مستمرة لاستصلاح الاراضي الصحراوية تحقق مع التخطيط السليم زيادة في مساحة الأرض الزراعية تصل الى ٣,٣ ملايين فدان

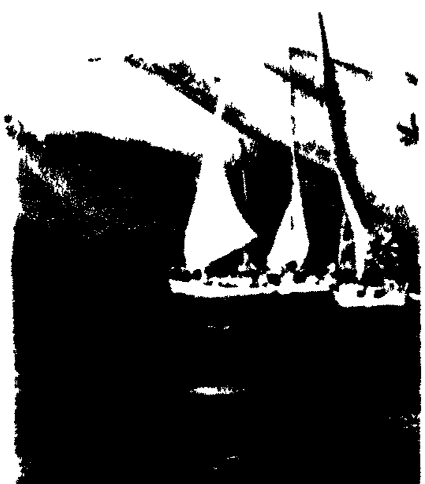
من أمثلتها تنفيذ مشروعات منطقة النوبارية في البحيرة والاسكندرية استصلح خلالها ٣٠٠ الف فدان ، كما تم استصلاح ١٩٠ الف فدان في صحراء الصالحية كل ذلك خلاف زيادة الثروة السمكية حيث تعطينا بحيرة ناصر حوالي ٣٥ الف طن من السمك سنويا .



● السد العالي وبحيرة ناصر ومجرى النيل في لقطة شاملة من فوق [illegible] (الى [illegible]) [illegible] شكل هذه [illegible] [illegible] على [illegible] [illegible]

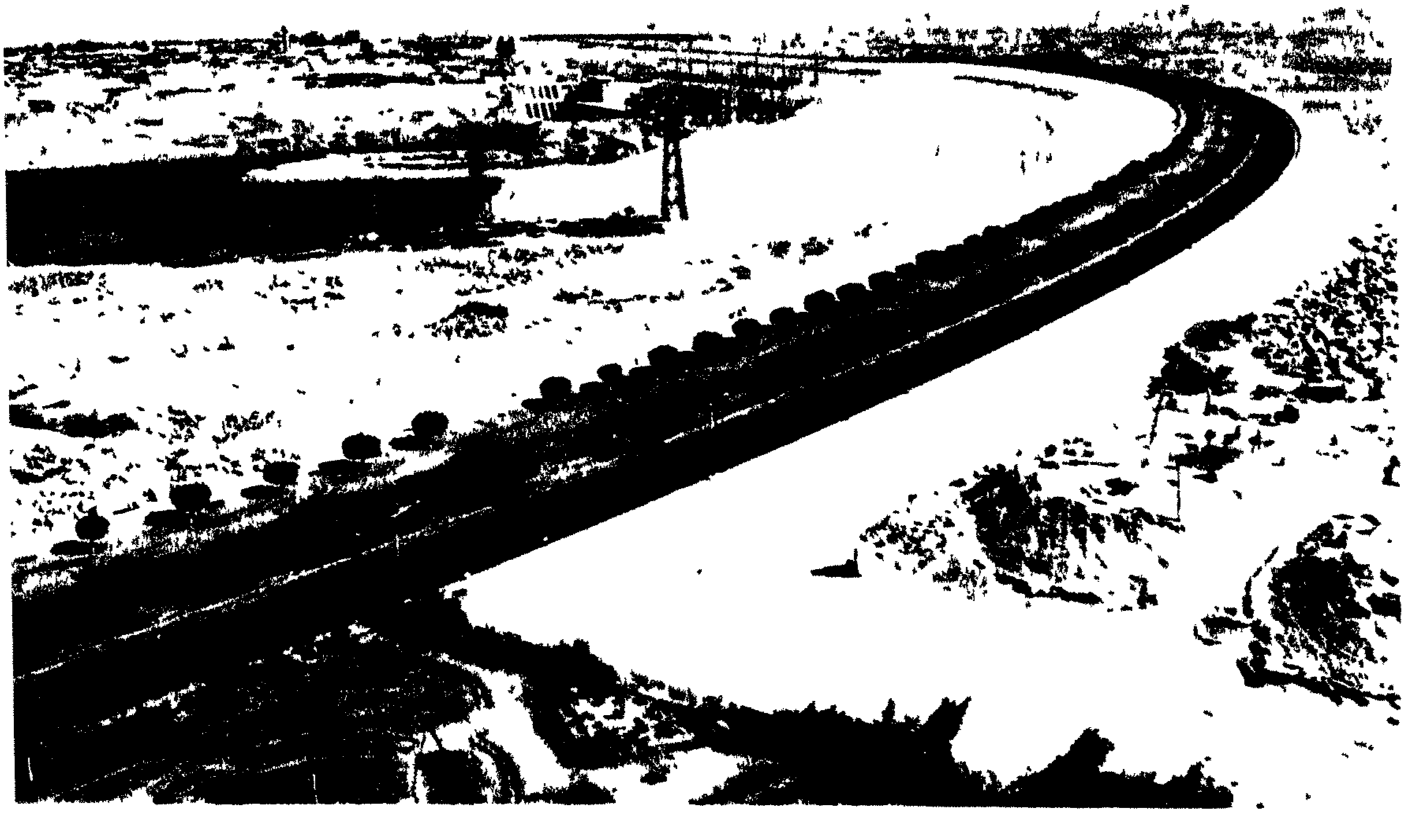


● [illegible]





● [illegible] شلال [illegible] ومدخل [illegible] لأديب عباس محمود العقاد أشهر من [illegible] ([illegible])




مقبرة الأديب الراحل
عباس محمود العقاد



لا مجال لأوهام المتشائمين

ويثور سؤال : ولكن ماذا عن موجات الهجوم والانتقادات المستمرة على السد وآثاره الجانبية التي سمعنا منها الكثير . . ؟

ويأتي الجواب : الحديث عن الآثار الجانبية هو في الحقيقة أمر يجانبه الصواب الى حد كبير وقد حققته أوهام المتشائمين . فأما عن حرمان الأرض من الطمي ، فحسب الأرقام كان النيل يحمل إلى الجمهورية حوالي ١٠٠ مليون طن اثناء الفيضان ، ولكن لم يكن يستهلك منها إلا الربع ، لان ثلاثة أرباع كمية الطمي كانت تذهب الى البحر . . هذه الكمية ثبت علميا إمكان تعويضها بالمخصبات أسوة بجميع دول العالم التي لا تقدم لها أنهارها طميا . وقالوا إن المياه الرائقة ستنحر في جوانب النهر والقناطر المقامة عليه . وقد أظهرت النتائج الفعلية التي حدثت خلال ١٥ سنة منذ بناء السد أن تقديرات العلماء التي كانت متوقعة والتي درست مع إنشاء السد كان مبالغا فيها ، إذ أن ما تحقق بالفعل لا يتجاوز خمس ما كانت عليه التقديرات السابقة . ومسألة النحر أمر طبيعي وتعالج بالطرق الهندسية المختلفة وكانت موضوعة في الحسبان منذ الانشاء . أما القول بتسرب المياه وضياع المخزون بخرا فالرد الواضح أنه امكن تخزين مخزون مياه تجاوز خلال السنوات الست الاخيرة وحدها ٦٠ مليون متر مكعب ، وقد أنقذت هذه الكمية مصر من مجاعة وقحط كانا متوقعين كما حدث في عدد من الدول الافريقية . وحسبنا أن نذكر أن السد العالي قد كفى مصر أو حماها من أربعة أعوام رهيبة جاء أولها بفيضان خطر عام ١٩٦٤ ، وثانيها بفيضان قحط عام ١٩٧٢ ، وثالثها بفيضان بالغ الخطورة عام ١٩٧٥ ، ورابعها بفيضان قحط عام ١٩٨٢ ، وقد توالت سلسلة من الفيضانات المنخفضة خلال الفترة من عام ١٩٧٩ حتى عام ١٩٨٤ ، ورغم ذلك لم تتأثر الزراعة في البلاد ، فقد تمت زراعة المليون فدان من الأرز ، والمليون فدان من القطن ، وربع المليون فدان من القصب ، ولم يحدث أي تخفيض في إنتاج المساحات الزراعية . ولاشك أن السد ومخزونه من الماء أظهر كفاءة وفعالية خلال سنوات الجفاف .

والواقع أن السد العالي لم يفقد أرض مصر خصوبتها ، ولم ينحر قاع النهر ، ولم تتهالك جوانبه ، ولم يتصدع أو يهبط جسمه ، ولم تتسرب مياهه أو يضيع مخزونه بخرا ، أو تسربا . . وكل ماتركه السد العالي من آثار وما صاحبه من ظواهر كان أمرا طبيعيا في حدود المسموح بل دون المقدر له بكثير . وتتحطم على مر السنين من بدء تشغيل السد أوهام المتشائمين ، ويبرز بصدق توهج آثاره المضيئة لتبدد ظلمة صور قاتمة رسمت في تجسيم كل أثر طبيعي للسد العالي .



● المهندس صلاح شهاب رئيس هيئة السد . .

قبل أن نمضي . . ومع نظرات أمل كبير نحو السد . . وبحيرة ناصر . . يقول رئيس هيئة السد العالي : . أحب أن أضيف شيئا . .

فبرغم كل هذا الذي يحدث . . فإننا لم ننس النوبة الاصلية أبدا . . فبحيرة ناصر التي غمرت الارض القديمة بمياهها سيتم في القريب زراعة ضفافها . وقد بدأت بالفعل في بعض مناطق بلاد النوبة الاصلية على الجانبين تجربة زراعة بعض النباتات والخضر والفاكهة بما يحقق مستقبلا زراعيا لهذه المنطقة . كما سيتم إنشاء مراع للاغنام والابقار وزراعة غابات للأشجار الخشبية التي يمكن الاستغناء بها عن استيراد الكثير من أنواع الأخشاب . وعلى جانب البحيرة قرب السد أنشأنا مصنعا لتجفيف الاسماك بالتعاون مع اليابان ، وسيتم في الخطة الخمسية القادمة توسيع المصنع ليتم تعليب الاسماك لتدعيم عملية الامن الغذائي ، وستكون أبواب العمل مفتوحة لمن يريد من أبناء النوبة للمشاركة في العمل . ومن المشروعات الجديدة بناء ميناء في ابو سمبل لتسهيل التكامل بين مصر والسودان من أبرز موقع في أرض النوبة الاصلية ، كما يجري إنشاء طرق ومراس على النيل النوبي بين أبو سمبل وأسوان حيث ماتزال هناك مجموعة من المعابد لتسهيل النشاط السياحي الى معابد

ابو سمبل وعمدا والسبوع والدكة . . .

ولا أخفيكم أن بعض أبناء النوبة قد بدأوا يعودون الى بعض المناطق المطلة على قراهم الاصلية ويقيمونها من جديد . . وقد بدأوا الاقامة بالفعل قرب أبو سمبل حيث أخذوا ينشئون قرية جديدة ، كما فعلوا مثل ذلك في موقع بلانة والقسطل وأدندان . . وقد يكون ذلك إيذانا بإعادة تعمير جديد للأرض النوبية على أيدي أبنائها النوبيين الذين مايزالون في شوق الى وطنهم الأم . . .

النوبة . . . الام

الحق أن أمل العودة الى الموطن الأصلي مايزال يعتمل في أعماق الكثيرين من الجيل القديم من أهالي النوبة القديمة .

واحد من هؤلاء ـ الحاج أحمد جاد ـ قال لنا حين التقيناه فى مقر المكتب الاعلامي بأسوان :

لا أستطيع أن أنكر أنني كنت من ضمن المجموعات الاولى التي عادت الى النوبة الاصلية عام ١٩٨٠ . . عدت الى ابو سمبل الأصلية وبنيت لنفسي بيتا هناك . ولعل الدافع الذي حدا بي الى التمسك بالعودة الى موطنى الاصلي هو إرضاء النفس والحنين الى الماضي . . وأكثر من ذلك هو أني لم أحس بالراحة النفسية عندما ذهبت الى النوبة الجديدة في كوم امبو .

والحقيقة أننا ذهبنا إلى موطننا الجديد نحمل عاداتنا وتقاليدنا . . ولكنني ـ وأقولها عن نفسي ، والبعض من رفاقي ـ أحسسنا أن هذه العادات والتقاليد بدأت تختلف بتغير الارض أولا وبالبيوت ثانيا وبالاختلاط بالاجناس الأخرى ثالثا . بدأنا نحس بضيق نفسي مع ضيق المساحة التي نقلنا إليها بالنسبة الى الأرض البارحة الواسعة التي كان عليها موطننا الاصلي . . الهواء النقي والنور والنخيل والهدوء واتساع المسافات بين البيوت والاطلالة على مياه النيل كان يشعرنا براحة كبيرة عما أصبحنا عليه ، ولم نكن نصاب بالامراض أو اعتلال الصحة والنفس ، وهناك دافع الحنين الى الارض التي عاش عليها الآباء والاجداد . ولو أردت الموازنة فإن قريتي في أبو سمبل القديمة كانت تمتد على مساحة ٣٦ كم^2 ، بينما هنا في الأرض الجديدة نجد أن القرية على مساحة كيلو مترين فقط تضم ٢٥٠٠ بيت . الازدحام والتكدس غير أخلاق الناس . صحيح أننا في الأرض القديمة كانت حياتنا وإمكانياتنا صعبة ، ولكننا كنا نحس بالراحة النفسية وبأننا بعض من أراضينا ووطننا وترابنا في النوبة الأم . الوطن القديم هو الأم الاصلية ، أما التي هجرنا إليها فهي خالة وليست اما ، أو على الاقل زوجة أب ، وما أكثر الفارق بين الام وبين الخالة او زوجة الأب . . !

النوبة الام ، اشتق اسمها من كلمة « نوب » وتعني عند المصريين القدماء « أرض الذهب » . وكانوا يطلقون عليها أيضا اسم « الأرض المقوسة » أو « أرض القوس » . وكانت أرض النوبة مقسمة بين الشمال والجنوب ، فالنوبة السفلى وطولها ٣٥٠ كيلومترا تمتد من الشلال أو الجندل الاول عند اسوان إلى أدندان قرب الحدود المصرية عند وادي حلفا وتعتبر جزءا من مصر وكانت تسمى « واوات » . أما النوبة العليا وطولها ١٥٠ كيلومترا فتمتد بين أدندان ودنقلة عند الجندل الرابع في السودان وكانت تسمى « كوش » ، وكوش هو الجد الأعلى للنوبيين « وأخ مصرايم » الجد الاعلى للمصريين ، وكلاهما من حام « ابن نوح » . وتبدي الآثار الموجودة من بدايات العصر الفرعوني أن سكان منطقة واوات كانوا عادة لا يميلون للحرب ، بينما كان أهل « كوش » محاربين أشداء ، لهذا استعان بهم المصريون في النوبة وفي مصر نفسها وجندوهم في الجيش الفرعوني وخاصة في عصر الامبراطورية ، كما استعانوا بهم في حفظ النظام داخل مصر ، وفي محاربة الاعداء في الخارج ورد المعتدين .

بين مصر والنوبة

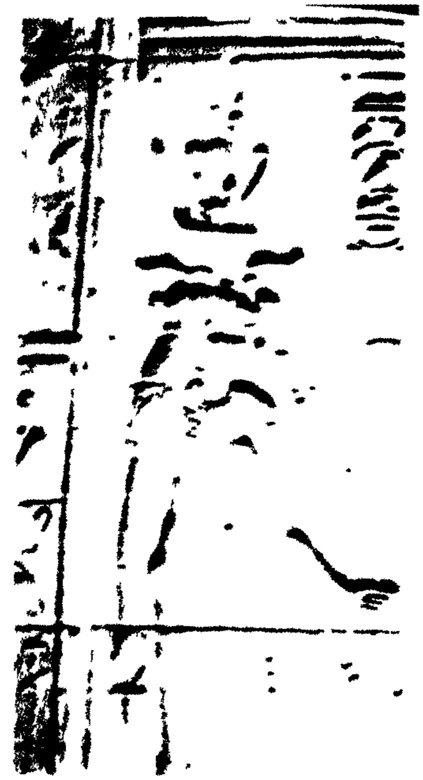
يقول التاريخ ان مصر اهتمت ببلاد النوبة لوقوعها على طريق القوافل التي تجلب اليها صادرات الجنوب وبلاد بونت (الصومال) . وكان النوبيون يتولون القيام بهذه المهمة ، فكانوا يحملون موارد بلادهم وموارد الجنوب والصومال من العاج والابنوس وريش النعام وجلود الحيوانات والبخور والمر والذهب والصموغ والمواد العطرية الى مصر ، ويعودون منها بالأنسجة والخرز والعسل والطيب والخزف المدهون وغير ذلك من السلع .

وفي عهد الدولة الوسطى في مصر وجه ملوكها ثلاث حملات الى بلاد النوبة . وبمثل هذه الحملات تمكنت مصر من احتلالها وضمها الى بلادها نهائيا ، حيث قامت هناك حضارة مصرية محلية ملائمة لها متأثرة ببيئتها . وحوالي عام ١٧٣٠ ق . م أغار













الهكسوس على مصر واستولوا عليها فهاجر كثير من المصريين الى بلاد النوبة وانشأوا مواطن لهم . والى هؤلاء المهاجرين يرجع الفضل الاول في ربط العلاقات المصرية النوبية .

وعندما تمكن أحمس أمير طيبة من طرد الهكسوس أعلن نفسه ملكا على مصر المتحدة من العاصمة طيبة . وأصبح إلهها آمون رع معبود مصر كلها . وقاد أحمس حملة عسكرية الى بلاد النوبة وكان يصحب معه عددا من الصناع والكهنة والجنود المصريين وأسكنهم هناك ، فأدخلوا عبادة آمون رع ونشروا الحضارة المصرية بين السكان . ومن ذلك الوقت اتخذ النوبيون آمون رع من معبوداتهم ، وأنشأ المصريون معابد على طول البلاد في كلابشة وجرف حسين والسبوع والدر وابريم وابو سنبل وحلفا ، وصارت هذه الاماكن مراكز لنشر الحضارة المصرية التي تأثر بها النوبيون ، وتوطدت العلاقات بينهم وبين المصريين ، وأصبحت البلاد قسما من أقسام مصر سياسيا ودينيا واداريا .

وفي حوالي ٧٥٠ ق . م قامت في بلاد النوبة مملكة مستقلة امتد سلطان ملوكها حتى شمل صعيد مصر ، بل وغزوا مصر نفسها وأسسوا الاسرة الخامسة والعشرين . ولكن لم يكد عام ٢٩ ق . م . يأتي حتى خضعت النوبة لنفوذ الرومان الذين غزوا مصر . ومنذ القرن الاول الميلادي ابتدأت المسيحية تنتشر في مصر ، ولاقى المسيحيون في اول عهدهم اضطهادا شديدا اضطر معه الكثيرون الى الهجرة الى بلاد النوبة فرارا من ظلم الرومان والتماسا للنجاة ...... وهناك تهيأ لهم الجو الملائم لنشر المسيحية بين السكان حتى صارت هي الدين الرسمي للنوبة .

وقد عني المسيحيون في النوبة ، بأقامة الكنائس والاديرة مستغلين في كثير من الاحيان مباني المعابد المصرية القديمة لتحويلها الى كنائس واديرة ، كما حدث في معابد فيلة وابريم ودنقله ، وقد طلوا النقوش الهيرغليفية والصور القديمة بالطين ورسموا على الطلاء صور المسيح والقديسين .

ثم جاء الاسلام على أيدي العرب ، وكان العرب قبل ظهور الاسلام يعرفون بلاد النوبة ، وكان التجار العرب يعبرون البحر الاحمر وبوغاز باب المندب في طلب العاج والذهب والعبيد والبهارات ، وكثر ذلك في عصري البطالمة والرومان . ولاشك ان بعض هؤلاء قد فضلوا الاقامة في النوبة على العودة الى بلادهم . وعندما فتح المسلمون مصر حوالى عام (٦٤٠م) ، غزا حكام مصر النوبة عدة مرات ولم يهتموا بالاستيلاء عليها ، واكتفوا بما يحصلون عليه من الجزية ، حتى اتفق فيها بينهم بعد ذلك بأن تدفع النوبة لبيت مال المسلمين ما يسمى « بالبقط » وهو لم يكن جزية بقدر ما كان رمزا للأمان والهدنة ، وكان المسلمون يقابلون هذا بمثله ، فيرسلون من مصر الي النوبة الحبوب والثياب والخيل ، وسميت في العهد المكتوب « صدقة جارية » .

ومنذ ذلك الوقت أخذ الاسلام يتسرب تدريجيا عن طريق النيل وعن طريق البحر الاحمر الى بلاد النوبة .. أرض الصقر الذهبي ..

فيلة .. بين ايزيس وأنس الوجود

ونبدأ مسيرتنا مع النوبة القديمة ، من آخر حدودها عند أسوان ، حيث نشأت بداية التاريخ المصرى المعروف مع ظهور أوزوريس سيد الأرض الطيبة .

كان أوزوريس فيما يروى المصريون الأقدمون هو الذى علم سكان مصر الزرع والرى والحصاد . وكانت جزيرة فيلة المستلقية وسط مياه النهر عند الجندل الأول هى النقطة التى ينبع منها نهر النيل . ومن نقطة البداية انطلقت ايزيس مع زوجها الملك الطيب الذى خرج ينشر الخير والحب بين الناس ويعلمهم كيف يزرعون الأرض ويحترمون قانون السماء .

وفى الفناء الرئيسى لمعابد ايزيس فى فيلة - لؤلؤة مصر - نتتبع مع مرافقنا الاعلامى محمد حسين قصة البداية ..

كلمة « فيلة » جاءت من كلمة فيلاى أو بيلاك ، وكتبها الأغريق فيلا بمعنى المحبوب أو المكان المرغوب ، وسماها العرب « أنس الوجود » نسبة الى إحدى قصص ألف ليلة وليلة ، أما المصريون فنطقوها فيلة ومعناها بالهيروغليفية « الطرف » أو « البداية » وذلك باعتبارها بوابة مصر . وكان القدماء يحجون الى هذا المكان باعتباره منبع نهر الخير ، وتقديسا للإلهة ايزيس وزوجها أوزوريس وابنهما حورس .... الإله الصقر ...

تحكي الأسطورة المسجلة على جدران معبد إيزيس أنه فى قديم الزمان كان يحكم هذه البلاد ملك اسمه « جب » ، وكان له ولدان من الذكور واثنتين من الاناث . وزوج الملك ابنه أوزوريس من أخته

ايزيس كما زوج ابنه ست من أخته نفتيس . . ولأن أوزوريس كان طيب القلب عادلا ملكه أبوه الوديان الخضراء والسهول والأنهار ، أما ست الذى كان شريرا حاقدا فقد ملكه أبوه أرض الصحارى القاحلة والرمال القفراء . وكان أوزوريس موسيقيا بارعا أحبه الناس فحقد عليه اخوه ست وتآمر مع آخرين حتى صنع صندوقا من الذهب الخالص بحجم أوزوريس زعم فى حفل أقامه أنه يهديه لمن يتسع له . .

وهنا على أرض جزيرة فيلة وعلى ساحة هذا الفناء بالذات ، أقيمت المأدبة . .

لم يتسع الصندوق لغير أوزوريس الذى كان طويل القامة . وعندما استلقى فى الصندوق أسرع ست فأمر رجاله بإغلاق الغطاء وإلقائه فى النيل . وراحت أمواج النهر تتقاذف الصندوق حتى بلغ مصب رشيد ثم تناقلته أمواج البحر حتى بلغت به شواطىء جبيل (بيلوس بلبنان) حيث كان قد توفى وهو داخل التابوت .

جدت إيزيس المخلصة الوفية فى البحث عن جثة زوجها ، ووظفت مالديها من علوم السحر الذى برع فيه المصريون حتى عرفت المكان الذى استقر فيه الصندوق . فركبت سفينة انطلقت بها الى بيلوس حيث حلمت بأن الصندوق داخل شجرة أرز كان الملك قد قطعها وأقامها عمودا ودعامة فى قصره . وتحايلت إيزيس على ملك بيلوس بعد أن كشفت له عن شخصيتها وأماطت اللثام عن سيدها ، فسمح لها باسترداد الصندوق . وإذ حل عليها المساء نامت فوق تابوت زوجها فجاءتها الرؤيا وهى نائمة بأنها حملت من روح زوجها أوزوريس ، وعندما عادت الى مصر اختفت ومعها الصندوق فى جزيرة فيله خوفا عليه من ست الذى قتله من قبل . وظلت مختفية حتى ولدت حورس بينما كان ست فى ذلك الوقت يواصل البحث حتى استطاع أن يعثر على جسد أوزوريس . وانتهز فرصة غياب إيزيس وقطع الجثة الى ستة عشر قسما بعثرها فى جميع مقاطعات مصر . وعادت هى لتواصل البحث من جديد حتى عثرت على الأجزاء جميعا عدا جزء واحد هو قدم أوزوريس اليمنى . . فقد كانت قد استقرت فى جزيرة بيجة المقابلة لجزيرة فيلة ، وكانت المياه تنساب من بين أصابعها محملة بالخصب والطمى لتنمو ربوع مصر بالخير من فيضان النهر . . ومنذ تلك اللحظة صار أوزوريس ملكا للموتى يتولى حسابهم فى الآخرة . . أما حورس الابن الذى غذت فيه أمه روح الانتقام فقد خاض صراعا مريرا مع عمه حتى انتصر عليه . وجلس الابن على عرش أبيه وتوج بالتاج الأبيض فى مقر حكمه بالمدينة الصغيرة على جزيرة فيلة المقدسة . ليصبح من بعد هو الاله حورس . . برأس الصقر الذهبى . .

تلك هى معابد فيلة حيث وقفنا فى فناء المعبد الذى شيد لعبادة ايزيس وإبنها حورس ، بعد أن نقلت المعابد بمعاونة اليونسكو الى جزيرة إيجيلكا الأكثر ارتفاعا ، وبعد ان تعاقب عليها الغرق والظهور لأكثر من ستين عاما ، كانت المدينة خلالها قد فقدت مبانيها المشيدة باللبن اذ تلاشت بفعل المياه عندما بنى خزان اسوان ، واختفت معها معالم تاريخية وأثرية كان لها أهمية كبيرة لدارس تاريخ النوبة المتأخر فى عصر ما يسمى « النوباد » الذين أتوا ليعبدوا الالهة إيزيس وليأخذوا تمثالها للزيارة السنوية الى بلادهم فى الجنوب . . !

وقد كان أول من بنى معبدا تقربا لإيزيس هو الملك « طهارقة » النوبى أحد ملوك النوبة السفلى . وكانت النوبة فى ذلك الوقت ممالك مستقلة ولها ديانة قائمة بذاتها بعيدة عن الديانة المصرية القديمة . بعد طهارقة جاء الملك « نكتانبو » وحكم مصر بين ٣٩٠ و ٣٢٠ ق . م ، وهذا الملك اشتهر بثورته ضد الفرس فبنى لإيزيس هذا المعبد وبوابة تقربا إليها .

بعد الملك « نكتانبو » يجىء البطالمة أو الأغريق فيحكمون مصر بين سنتى ٣٢٢ و ٣٢ ق . م . وقد بنى بطليموس لإيزيس مجموعة من المعابد تمجيدا لها ولزوجها أوزوريس وابنها حورس . ثم يأتى بعد ذلك الرومان ويبنون المعابد تمجيدا لإيزيس ، وفى خلال فترة الحكم الرومانى يأتى التبشير المسيحى فى عهد الامبراطور « جستنيان » وتصدر مراسيم بأن تحول جميع المعابد الى كنائس . وهكذا تحولت جميع المعابد فى مصر الى كنائس ماعدا معبد فيله ، حيث كان للكهنة نفوذ وسيطرة على جميع المعابد. وعندما رفضوا أن يحولوا المعبد الى كنيسة عمد المسيحيون الى إزالة النقوش حتى رضخ كهنة المعبد لتحويله الى كنيسة . . !

ويجىء العصر الاسلامى الى مصر . . وخلال أيام العباسيين تأتى قصة « أنس الوجود » .

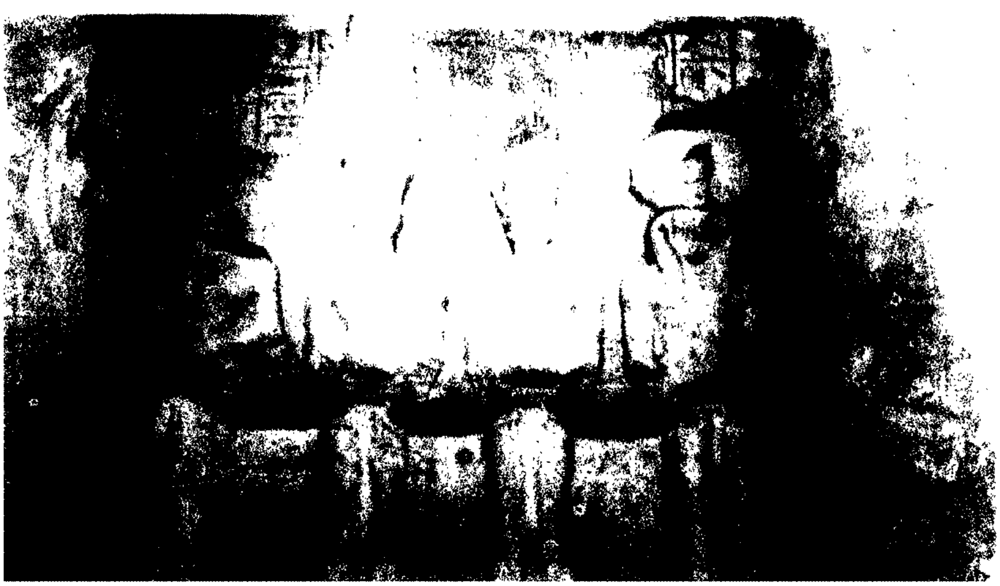
كان لأحد الوزراء ابنة تسمى « زهرة الورد » غاية فى الجمال ، أحبها أحد حراس القصر واسمه أنس الوجود . وأحبت الفتاة فيه الأخلاق النبيلة العالية





● الملكة نفرتاري .. زوجة رمسيس الثاني .. النوبية .. جميلة الجميلات .

● واجهة معبد رمسيس الثاني أكبر معبد محفور في الصخر في النوبة حيث تقوم على الواجهة أربعة تماثيل للملك يرتفع كل منها عشرين مترا يظهر في الصورة اثنان منها (في أبو سمبل) أما الصورة السفلى إلى اليسار فتمثل الأعجوبة الهندسية الفلكية التي ترتبط بالمعبد حيث تخترق أشعة الشمس قاعاته لتتعامد على وجه رمسيس الثاني يومين في السنة هما عيد ميلاده وعيد تتويجه



التي لم تجدها في أبناء الملوك و الأمراء . ووجد أبوها أن هذه العلاقة غير متكافئة ، فطرد أنس الوجود من أرض فيلة ، وحبس ابنته في القصر ، وأحاط هذه الجزيرة بمجموعة كبيرة من التماسيح حتى لا يقترب منها أنس الوجود . وأخذ أنس الوجود يجوب البلاد ويبحث عن حبيبته « زهرة الورد » وراحت البلابل تتغنى له والطيور تتراص فوقه لتكون مظلة تحميه من الشمس . واستأنست له الوحوش حتى وصل الى الجزء الشرقي من شلال جزيرة فيلة . وظل الفتى يواصل الغناء ويحكي حكايته حتى أنست له التماسيح وحمله تمساح كبير على ظهره وأتى به الى شاطىء الجزيرة . وكان لا بد أن يرضخ الوزير في النهاية ويزوج الفتى من ابنته زهرة الورد إذ وجد فيه إنسانا يتسم بالأخلاق العالية والنبل والشهامة . وهكذا سمي هذا المعبد بقصر « أنس الوجود » .

أبو سمبل . . مفخرة النوبة

كانت أرض النوبة موطنا لعبادة الكثير من الآلهة طوال العصور الفرعونية والرومانية والمسيحية . وكان النوبيون يعتزون اعتزازا كبيرا بالمعابد التي كانت ـ قبل أن يغمرها الماء ـ تمتد على طول الجانبين الشرقي والغربي من دابود الى ادندان .

وحين بدأت عمليات بناء السد العالي بذلت كل الجهود العالمية لانقاذ معابد النوبة لما لها من أهمية تاريخية كبيرة . . وأسهمت مختلف دول العالم بإرسال بعثاتها لعمليات الانقاذ والتنقيب عن آثار النوبة قبل أن تغمرها المياه ، خاصة بعد أن أعلنت حكومتا مصر والسودان أن المنقب له الحق في نصف حصة نتائج أعماله . . ونظمت المتاحف الأجنبية بعثاتها الخاصة الى وادي النيل بهدف زيادة المعرفة بهذا التراث التاريخي الهام ، بالاضافة الى اكتساب قطع جديدة لمجموعاتها . بل لقد وافقت مصر على أن تمنح بعثات الدول المشاركة حقا في نقل المعبد الذي تنقذه ليقام في بلادها .

على أن أهم ما تم إنقاذه من المعابد هو معبد رمسيس الثاني ومعبد زوجته الملكة نفرتاري في أبو سمبل .

معبد أبو سمبل بالنوبة . أكبر معبد منحوت في الصخر في العالم . وهو آية في العمارة والهندسة القديمة إذ نحت في عمق جبل صخري لمسافة ٦٢ مترا على الضفة الغربية للنيل أمام قرية « فارك » في الضفة الشرقية ، وفي منطقة كانت سكنية في عصر رمسيس الثاني . يقول النص المسجل على الجدار الداخلي أن أسرى الحرب قاموا ببناء المعبد الذي كرس لعبادة « رع حور اختي » مثل بقية المعابد في النوبة . . وهو الاله حورس الذي اندمج مع الشمس « رع » ويصور عادة على هيئة بشرية برأس صقر مرتديا قرص الشمس .

وهناك أعجوبة هندسية وفلكية ترتبط بهذا المعبد . فأشعة الشمس تدخل من باب المعبد وتخترق القاعات التي ضبطت على محور واحد يتفق فلكيا مع خط عرض معين ، بحيث تتعامد عليه الشمس مرتين في السنه يوم ٢٢ فبراير عيد مولد الملك ويوم ٢٢ اكتوبر عيد تتويجه حسب تعامدها على مداري السرطان والجدي . وعندما تتعامد الشمس على خط المحور يدخل أول شعاع لها من الباب عند الشروق ويستقر على تماثيل الالهة الأربعة في صدر قدس الأقداس في نهاية المعبد . وقد ضبط الباب بحيث يبدأ سقوط أشعة الشمس أولا على وجهي آمون وبتاح ، ثم على وجهي بتاح ورمسيس ، ثم تنتقل الى وجهي رمسيس ورع حور اختي . . ويستمر الانتقال خطوة خطوة لفترة تمتد الى ٢٥ دقيقة من شروق الشمس . . !

أهم ملامح المعبد واجهته التي ترتفع ٣٢ مترا بعرض ٣٥ مترا حيث تقوم تماثيل أربعة لرمسيس الثاني ارتفاع كل منها حوالي ٢٠ مترا ، وهي منحوتة في صخور الجبل ، اثنان من التماثيل على كل جانب من المدخل ، وهي تمثل الملك وهو جالس وعلى رأسه التاج المزدوج لمصر العليا والسفلى ، وعلى جانبي كل تمثال وبين الأرجل نرى تماثيل تمثل الملكة نفرتاري ، وبعض الأبناء الملكيين . . وكل من المجموعات الأربع تقوم على قاعدة عالية نقش عليها خرطوش رمسيس ومجموعة من الأسرى الأسيويين والزنوج . أما المنظر الخلفي للواجهة فقد نحت على شكل صرح ذي كورنيش نقش عليه صف من القرود رافعة الأذرع الى أعلى وهي تعبد الشمس . وفوق المدخل يقوم تمثال للاله رع حور اختي برأس الصقر الذي خصص له المعبد .

وندلف الى داخل المعبد . . يقودنا الاثري عطية رضوان رئيس تفتيش آثار أبو سمبل الى بهو كبير به صفان من أربعة أعمدة تتكىء عليها تماثيل ضخمة للملك واقفا وعلى رأسه التاج المزدوج ، حاملا « العصا والمذبة » . . وقد كسيت الأعمدة وجدران البهو الذي يصل ارتفاعه الى ٨ أمتار بمناظر ونصوص



واجهة المعبد الصغير للملكة نفرتارى « جميلة الجميلات »

دينية مع رسوم لأعمال الملك الحربية فى معاركه ضد الحيثيين فى سوريا والكوشيين فى السودان كما تمثل انتصاره فى معركة قادش . أما السقف فمزين بمناظر تقليدية من الخرطوش والعقاب ذى الجناحين الممدودين

بعد مجموعة من الأبهاء ننتقل الى بهو يقود الى غرفة تستند الى محور المعبد وتوصل الى غرفة قدس الأقداس التى تتصدرها تماثيل جالسة نحتت فى الصخر تمثل معبودات المعبد ، وهى بتاح وآمون ورمسيس نفسه ورع حور اختى . وفى وسط الغرفة تقوم مائدة غير منقوشة كانت تقدم عليها الأضحيات والقرابين ، عندما كانت أشعة الشمس المشرقة تدخل بعد الفجر . . أما فى غير ذلك الوقت فكان يوضع عليها نموذج لمركب الشمس .

جميلة الجميلات . . نوبية

على مسافة قريبة شمال المعبد الكبير نحت رمسيس الثانى معبدا صخريا صغيرا لملكته نفرتارى ومعناها « جميلة الجميلات » . وكرس المعبد لعبادة حاتحور ربة الجمال والحب والرقص والموسيقا . ومع أن عظمة المعبد الكبير حجبت معبد نفرتارى ، إلا أنه يعتبر أحد العمائر ذات الجمال الرائع فى النوبة .

المعبد شيده الملك هدية لزوجته المحبوبة نفرتارى ، وكانت هى أول زوجة تزوجها من بين ٦٧ زوجة . وكانت ابنة أحد كبار ضباطه من عامة الشعب فى منطقة النوبة .

فالملكة نفرتارى « جميلة الجميلات » نوبية ومن أجل أن يتزوجها عدل الملك القوانين التى كانت تمنع الملوك من الزواج من عامة الشعب وبعد أن تم الزواج وتحقق عاد الملك فألغى التعديل وأعاد القانون الى أصله . من هنا بالغ رمسيس فى تكريم نفرتارى ، وليجعلها فى نظر الشعب مقدسة أعطاها الصفة الالهية .

واجهة معبد نفرتارى على شكل بيلون ، وكانت تنتهى أصلا على شكل كورنيش . وعلى كل جانب من جانبى المدخل نجد ثلاث مشكاوات محفورة تقف فيها تماثيل ضخمة يصل ارتفاعها الى عشرة أمتار وهى أربعة للملك واثنان للملكة . ونلاحظ هنا أن تمثال الملكة بنفس حجم تمثال الملك ، وهى أول مرة فى التاريخ الفرعونى والحضارة المصرية القديمة يكون فيها تمثال الملكة فى حجم تمثال الملك . . !

الى جانب كل تمثال نجد تمثالين صغيرين يمثلان طفلين ملكيين هما أبناء أو أقرباء الملك من الأمراء ، وبنات أو قريبات الملكة من الأميرات . أما فى الداخل فنجد أن جدران الصالة العرضية وقدس الأقداس قد نقشت عليها مناظر دينية ، منها نقش عليه منظر بارز للربة حاتحور على هيئة رأس البقرة ورمزها « الشخشيخة » ويقف الملك تحت رأسها .

المعجزة الرئيسية الجديدة التى تمت هنا هى كيفية إنقاذ المعبدين قبل أن تغمرهما مياه السد . . نسمع التفاصيل من المهندس عطية رضوان بعد أن ينتقل بنا الى القبة الخرسانية التى يستند إليها المعبدان . . قال :

لنترك الآن ما خلفه الأجداد ونتحدث عن حضارة أحفاد الأحفاد . . فما فعله المصريون فى العصر

الحديث لا يقل عظمة عما فعله الأجداد

لقد كانت عملية إنقاذ معابد أبو سمبل معجزة بكل المقاييس، سواء في ذلك نزع الجبل وتقطيع أجزاء المعبد الصخري أو إعادة رفعه وبنائه بنفس المسافات والمقاييس وبدون أن يفقد منه حجر أو نقش واحد. ويضاف الى ذلك إقامة هذه القبة الخرسانية التي تعتبر معجزة وحدها. هذه القبة كان الغرض منها حماية المعبد وإعادة شكل الجبل الذي كان موجودا قبل عملية الانقاذ.

فقد كان من المستحيل إعادة بناء الجبل فوق المعبدين، لأن ذلك فيه خطورة من الناحية الجيولوجية والتصميمية. وخاصة أن هذه المنطقة منطقة زلازل قد يؤدي حدوثها الى سقوط المعبدين وانهيارهما. فكان لابد من الاستعاضة عن ذلك بانشاء هذه القبة الخرسانية فوق معبد الكبير وقبة أخرى فوق معبد الصغير. تمتد القبة ٥٦ مترا بعرض ٦٠ مترا [illegible] الى ٢١ مترا [illegible] ١٤٠ سنتيمترا [illegible] وقد تم ترتيب [illegible] لاعطاء كل القياسات المطلوبة للمحافظة على القبة والمعبد بحيث تم كشف أي شروخ أو هبوط أو تصدع في الصخور.

أما عملية الانقاذ نفسها فقد جرت في عام ١٩٦٣ فقد بدأت بحماية المعبدين بسد يعزلهما عن مياه النهر، ثم جرى رفع الجبل وإزالته. بعد ذلك تم تقطيع المعبدين بحذر مع تقسيم الجدران الى أجزاء لا تتعارض مع سلامة النقوش، واستخدم في ذلك المنشار اليدوي الدقيق من الأمام والمنشار الكهربائي من الخلف. وتم بذلك تقطيع كل أجزاء المعبد وترقيمها ثم نقلها الى الموقع الجديد، حيث أعيد بناؤه وتركيب أجزائه مع المحافظة على الاتجاهات الهندسية التي كان مقاما عليها. أما هذا المكان الجديد فهو فوق مستوى سطح البحر بارتفاع ١٨٩ مترا بعد أن روعي أن أعلى منسوب يمكن أن تصل إليه مياه السد هو ١٨٣ مترا. وبذلك يصبح من المستحيل أن تصل المياه الى المعبدين.

المجتمع النوبي

بين أرض النوبة القديمة والنوبة الجديدة يلتقي أبناء المجتمع النوبي ويتنقل بين قراهم الثلاث والأربعين

والنوبة الجديدة تقع في منطقة أراضي الاستصلاح الزراعي الجديدة بمنطقة كوم امبو في محافظة اسوان، على بعد حوالي ٥٠ كيلو مترا الى الشمال من مدينة اسوان. وتمتد على طول المنطقة شمال وشرق مدينة كوم امبو في شكل يقارب نصف الدائرة. ويتخللها طريق ممهد للمواصلات يربط جميع القرى النوبية بعضها ببعض ويمتد بين اسوان وكوم امبو وطريق آخر تمتد بين مدينة نصر النوبة ومدينة كوم امبو. وذلك على العكس مما كانت عليه القرى في منطقة النوبة الاصلية حيث لم يكن هناك الا النيل طريقا للمواصلات.

وتضم بلاد النوبة ثلاث جماعات: الكنوز والعرب والنوبيين. فالكنوز يعيشون في القسم الشمالي من المنطقة ويشملون ١٧ قرية. ويقيم العرب في القسم الاوسط ويشملون خمس قرى. ويقيم النوبيون في القسم الجنوبي ويضم ١٨ قرية. فالاقليم النوبي ينقسم الى ثلاث مناطق وفقا للتقسيم الاصلي في منطقة النوبة الاصلية. وتتوسطها الآن مدينة نصر كعاصمة جديدة التي تضم ست قرى هي كورسكو والرقة وأبو حنضل والدر والديوان وقتة. وهي كانت نفس موجودة في النوبة الأصلية حيث كانت عنيبة هي العاصمة. وتحمل القرى أسماء نظائرها في النوبة الاصلية.

وعلى أساس هذا التقسيم الثلاثي تنقسم أيضا اللغة التي يتحدث بها أبناء الجماعات الثلاث. فالاهالي النوبيون من أدندان وابو سمبل وحتى كورسكو يتكلمون اللغة النوبية وهي المسماة (الفديكة) او (المحسي).

ومن كورسكو الى قورته وحتى أسوان وهم الكنوز يتكلمون حتى اليوم باللهجة المعروفة باسم «كنوز» أو اللغة الماتوكية. وقليل من الكنوز ومن النوبيين من يعرف لغة الآخر. وكل من اللغتين تسمى «الرطانة» وتسمى في اللغة النوبية القديمة. أما في المناطق الأخرى بوادي العرب فهم يتحدثون العربية ولا يعرفون «الرطانة».

كان النوبيون في أول أمرهم يتحدثون الهيروغليفية لغة للكتابة والتسجيل بجانب لغتهم الخاصة التي كانوا يستعملونها في أحاديثهم العادية. فلما انفصلت النوبة عن مصر أهملوا الهيروغليفية وكتبوا لغتهم بأحرف محلية حديثة. وفي العصر المسيحي استخدمت الحروف القبطية في كتابة اللغة النوبية. واستمر ذلك حتى انتشر الاسلام وحصلت النوبة



● واجهة بيت نوبي .. بالزخارف والألوان والرسوم .

لنفوذ العرب المسلمين فبطل استعمال الحروف القبطية وكتابة اللغة النوبية نهائيا .

الأصول النوبية

في ذلك الوقت كانت أبواب النوبة قد أصبحت مفتوحة أمام طوائف المسلمين العرب الذين هاجروا إليها واستقروا فيها وصاهروا سكانها وأسسوا لهم منازل وقرى في صميم البلاد . ولأن الاسلام دين سمح فان السكان الأصليين من أهل النوبة لم يشعروا بعداء نحو الوافدين عليهم من المسلمين فتركوهم يعيشون بينهم .

وإذا تتبعنا أصول الجماعات النوبية فسنجد ـ كما يقول الدكتور السيد أحمد حامد في كتابه « النوبة الجديدة » ـ أن النوبيين الحاليين ينحدرون الى حد كبير من نسل هؤلاء الذين عاشوا في هذه المنطقة من وادي النيل في عصر فراعنة الدولة الوسطى . وكما كان الحال في العصور القديمة نجد أن النوبي المعاصر يختلف جنسيا عن المصري . وقد كان المهاجرون الى بلاد النوبة الأصلية يستقرون في القرى ولا يجدون ما يمنعهم من الزواج بالنوبيات . وهكذا امتص المجتمع النوبي تلك العناصر الغريبة دون التأثير في لغته وثقافته . فالزوجات النوبيات والأولاد ينشأون ويعيشون داخل المجتمع النوبي . وقد أدى ذلك الى تعدد القبائل وكثرتها واختلاف أصولها القبلية التي تعتبر إحدى المميزات الرئيسية التي يتميز بها المجتمع النوبي .

وقد أدى تعدد الغزوات والهجرات الى غلبة القبائل التي تكونت في الأصل من أصول عربية ويسمون أنفسهم الأنصار في الكنوز ، وغلبة قبائل الكشاف في النوبيين بينما يقول العرب انهم من عرب « العليقات » .

وتوجد قبائل أخرى الى جانب هذه القبائل في كل إقليم من الاقاليم الثلاثة . . الكنزية والعربية والنوبية .

كما توجد جماعات عائلية من أهالي قرى الصعيد . . وبخاصة في القرى التي انشئت فيها مشروعات الري في المنطقة الأصلية حيث يتزايد عددها عن بقية القرى ، وقد تكونت في الأصل من الافراد الذين كانوا يحضرون الى تلك القرى في موسم الزراعة للعمل مقابل الأجر النقدي ومنهم من تزوج من النوبيات واستقر في القرى .

ومن الواضح أن هناك تشابها بين الكنوز والعرب والنوبيين من حيث القبائل التي تتألف كل جماعة منها ، رغم اختلاف في أصول القبائل في كل جماعة . فهناك القبائل الكبيرة الحجم التي كانت تملك غالبية الأراضي الزراعية ، والقبائل الصغيرة الغريبة ، والنوبيون الأصليون ، وجماعات الصعايدة . ولكن على الرغم من اختلاف وتعدد الأصول القبلية التي تتألف منها كل جماعة من الجماعات الثلاث الكنزية والعربية والنوبية ، وتأثير ذلك في مدى التقارب والتباعد في العلاقات بين القبائل . . وعلى الرغم من استقلال القرية كوحدة اجتماعية قائمة بذاتها وانعدام الاتصال بينها وبين غيرها من القرى في المكان الأصلي الى حد كبير . . فإن كل جماعة تعتبر وحدة كلية واحدة في علاقاتها مع كل من الجماعتين الأخريين .

الآن . . وبعد انتقال الجميع الى الارض الجديدة والتقارب المكاني بين قرى كل جماعة وأخرى مع سهولة الاتصال فيما بينهم ، ما يزال هناك تباعد في العلاقات بين الكنوز والعرب والنوبيين فيما لا يزال التبادل الاقتصادي ضعيفا بين سكان كل قرية وأخرى نتيجة لعدم استكمال استصلاح الاراضي الزراعية ولقلة حجم نتاج الاراضي التي وزعت فضلا عن زراعة نصف مساحة الاراضي في الزراعة الكلية قصبا . ويعني ذلك عدم وجود مصالح مشتركة اقتصادية تؤدي حتما الى إقامة علاقات اقتصادية بين الكنوز والعرب والنوبيين ، مما يخفف من حدة التباعد بينهم وذلك على الرغم من ظهور نوع من المشاركة أو الاتفاق الجماعي بين جميع سكان القرى نتج عن المشكلات التي تتعلق بالزراعة ، مثل عدم توفر المياه للري ، واختيار نوع من المحصول الذي يفضلون زراعته وعدم توفر الآلات الزراعية مثل الجرارات لتسوية الارض ، وغيرها من المسائل التي تهم جميع السكان والتي تتعلق بالاسكان والاعاشة فهذه المشكلات أدت الى مثل هذا الاتفاق على أساس أنها تتعلق بحياتهم ومعيشتهم وأنها تتطلب من السكان جميعا الوقوف الى جانب بعضهم البعض حتى تمتثل الادارات الحكومية لرغباتهم وتحقق مطالبهم . ويتضح ذلك من مناقشات المجالس والمؤتمرات العامة ومجلس مدينة نصر ومحافظة اسوان حيث يسود الاتفاق الجماعي العام بين الكنوز والعرب والنوبيين ـ دون اعتبار لما بينهم من تباعد ـ على حلول ايجابية لحل مشاكلهم بما يتفق والظروف العامة لمجتمعهم الناشيء عن عمليات التهجير .

في « مضيفة » بيت النوبة النموذجي ضمنا لقاء مع عدد من المدرسين وأعضاء الوحدة المحلية والشباب . . كنا ما نكاد نذكر اسم أحد من أبناء النوبة الذين نلتقي بهم في قطاعات العمل المختلفة والذين توزعوا خارج بلادهم ، حتى نكتشف أن الجميع يعرفون بعضهم بعضا حتى ولو كان بالاسم . . فقد هاجر الكثيرون للعمل في المدن والبلاد البعيدة ، ومع هذا ظلوا مرتبطين بجذورهم في أرض النوبة ، القديمة والجديدة ، فعقيدتهم أن الوطن مهما تغيرت معالمه فسيبقى بالنسبة اليهم أحب الاراضي في العالم كله . . فإليها سيرجعون في كل فرصة سانحة . . وهم إذا مرضوا أو تقدمت بهم السن فإن أملهم الوحيد هو الرجوع إلى ارضهم التي وهبتهم الحياة .

كان محور الحوار هو : ما الذي يدفع هؤلاء الناس الى ترك وطنهم الذي يكنون له هذا الحب ويعيشون بعيدا عنه لفترات طويلة ؟ وكانت الاجابة حاضرة دائما ، فالبيئة الطبيعية لم تكن توفر ـ حتى قبل بناء خزان اسوان ـ الموارد الاقتصادية أو تسمح بزراعة تحقق الاكتفاء الذاتي من المحاصيل المعيشية . وكان نتاجها أقل من المستوى الفعلي لحاجات الأسرة والأبناء . . وثمة سبب آخر هو أن النوبيين يحبون بطبيعتهم السفر والتجوال ولديهم حب استطلاع ليس له نهاية لمعرفة بلاد جديدة وشعوب جديدة . . وذكر بعضهم ان هناك نوبيين يعيشون في دول امريكا واوروبا ويعملون ميكانيكيين وبحارة وطهاة على البواخر وفي المطاعم الفاخرة والفنادق المنتشرة في كل مكان .

فإذا ربطنا بين السببين ، وأضفنا إليهما عدم قيام صناعات بالمنطقة الأصلية ، نجد أنه كان لزاما على الرجال الأشداء والشباب أن يبحثوا لهم عن مهنة في المدن المصرية والسودانية الكبيرة . . . وبدأوا يكتسبون عيشهم من أعمالهم في الحراسة وأعمال الطهي والبحر ، خاصة مع ما يتمتعون به في كل مكان ذهبوا إليه من سمعة طيبة وأمانة وطهارة ذيل . . وفي الحقيقة ان من يتعمق في التعرف على عاداتهم وتميزهم يجد فيهم الصديق الوفي الذي لا ينسى الجميل أبدا .

قال لنا ناظر المدرسة :

لقد اتسع نطاق الهجرة وراء العمل مع توالي غمر المياه للأراضي النوبية ، وعلى مختلف المراحل منذ صارت بلاد النوبة خزانا للمياه لصالح الاراضي الزراعية في شمالها بعد بناء خزان اسوان . ومع توالى ارتفاعات مناسيب المياه مع تعليات الخزان غرقت كل الاراضي الواقعة تحت المنسوب المائي ، وتوقفت نتيجة الزراعة النيلية على مدى انكشاف الاراضي وانحسار المياه عنها ، وإن استثنى من ذلك القرى التي انشئت بها جسور واقية ، وهي أبو سمبل وبلانة وأدندان وقسطل ، مما أدى الى احتفاظها بمعظم الأراضي التي تعتمد الزراعة فيها على الري باستخدام السواقي ، كما استثنى منها القرى التي انشئت بها مشروعات الري الدائم والموسمي وغيرها في المنطقة الكنزية . ونتيجة لكل ذلك تعرضت بلاد النوبة لخسائر كبيرة في الأراضي الزراعية والسواقي وأشجار النخيل وغيرها من الأشجار والمساكن في كل مرحلة من مراحل بناء وتعلية خزان اسوان . وتأثرت بالتالي تربية الماشية نتيجة لارتباطها بالزراعة . ومن ثم لم تكن الخسارة مقتصرة على الأراضي الزراعية وإنما كانت أيضا بالنسبة لمصدرين مهمين من مصادر الدخل : هما النخيل الذى كان يحقق دخولا طيبة تغطى إلى حد كبير النقص في نتاج الاراضي الزراعية ، وتربية الماشية . . وهكذا كانت الاستجابة الطبيعية لهذه الظروف الاقتصادية هي زيادة معدل الهجرة للعمل في المدن . .

المهاجرون الأوائل

الحقيقة أن كل من كان يقدر على العمل في المدينة كان يهاجر اليها دون أن يقيد الآباء رغبته لضرورة بقائه في القرية لوجود غيره من أعضاء عائلته خارج المجتمع النوبي ، فقد كان من الضروري بقاء أحد أفرادها الذكور الذين يستطيعون الاشراف على مختلف شئون العائلة وقد تميزت هجرة النوبيين بطابع معين من حيث الاتجاه الى المدن التي يتخذها النوبيون مراكز للعمل ، وبالتالي للاقامة والاستقرار فيها . فسكان كل قرية مرتبطون بمدينة معينة من المدن المصرية والسودانية يتجه إليها كل من يرغب من سكانها في الهجرة للعمل ، فالمهاجرون مثلا من قرى معينة كانوا يتجهون الى الاسكندرية ، بينما من قرى أخرى يتجهون الى القاهرة وغيرهم إلى السودان . ويرجع هذا التحديد لاتجاه الهجرة للعمل من القرى النوبية الى المهاجرين الاوائل . فالشخص من مهاجري الجيل الأول يعتبر نقطة ارتكاز أو مركز جذب لأعضاء مجتمعه المحلي تجاه المدينة التي يعمل بها .



● إحدى فتيات النوبة تعمل أمام لوحة النسج



● سيدة نوبية بعد الطعام أمام « مصطبة » الدار

فلم تكن التزامات الشخص الذي يعمل في المدينة مقصورة على تقديم المساعدات المالية والعينية لاقاربه في القرية ، وإنما كان لزاما عليه مساعدة الغير في البحث عن العمل ، سواء من أقاربه أو من سكان قريته حين يلتجيء اليه ويرغب في العمل ، فضلا عن تحمل عبء إقامته الى حين تسلم العمل ولم يكن المهاجرون الأوائل ينتظرون التجاء القادمين اليهم أو ابداء الرغبة في العمل عن طريق المراسلة ، وان كان الشخص المقيم يرسل في طلب حضوره الى المدينة عندما تكون هناك فرصة للعمل وكان من السهل على المهاجرين الاوائل إيجاد العمل لغيرهم لأن أعمالهم كانت حراسة المنازل والخدمة فيها وفي المحلات العامة والأندية فكثيرا ما يشمل مكان العمل الواحد عددا من مختلف هذه المهن تربطهم روابط القرابة أو رابطة الانتماء الى مجتمع محلي

ويتضح هذا من السبب الاساسي الذى أدى بالنوبيين الى تكوين جمعية القرية في المدينة ، إذ كان الغرض الرئيسي من إنشائها هو توفير مكان لاستخدامه مقرا لاقامة الوافدين من القرية الى حين الالتحاق بالعمل وهكذا أصبحت هناك مدن بالذات مركز تجمع واقامة لاشخاص من قرية واحدة ولا يقتصر الأمر عند هذا الحد ، وإنما تتكتل مساكنهم في حي واحد من احياء المدينة

ويعتبر هذا التجمع والتكتل السكني لأعضاء المجتمع القروي الواحد احد العوامل الرئيسية لاستمرار علاقاتهم ببعضهم البعض ، خاصة أن هذا التجمع ناتج في الأصل عن التعاون لايجاد العمل المناسب للفرد ، ويعتبر استمرار العلاقات بين المهاجرين أساس ارتباطهم الوثيق بمجتمعهم المحلي ، وبالتالي لخضوعهم لمختلف الالتزامات الاجتماعية تجاه أقاربهم وغيرهم المقيمين في القرية

ايجابيات وسلبيات

ونواصل تجوالنا في قرى النوبة الجديدة أول ما يلفت النظر هو التوسع الأفقي للمباني وكلها ذات طابق واحد ، ويندر أن يكون هناك بيت من طابقين وقد تم بناء المساكن وفق أربعة نماذج تتفق وعدد أفراد الأسرة عند بداية التهجير فأحدها يتكون من حجرة واحدة لفرد واحد ، والثاني من حجرتين لفردين أو ثلاثة ، والثالث من ثلاث حجرات للاسرة التي تضم ٦ افراد ، والرابع من أربع حجرات لمن يتجاوز عددهم ستة أفراد وكل



● مجموعة من الفتيات يحملن صفائح الماء لتزويد البيوت بمياه الشرب

من هذه المساكن ملحقاتها معها حظيرة للحيوانات والدواجن. وتشكل مساكن كل نموذج في قطاع واحد مما أدى الى ان تنقسم القرية الى ثلاثة أو اربعة أقسام سكنية واضحة.

ولكن هذا لم يمنع الأهالي من التوسع العمراني بالجهود الذاتية التي يقولون انها أدت الى إضافات تجاوزت ٧٥٪ مما كان عليه الحال عند التهجير. فقد قام الأهالي بتوسيع بعض البيوت واستغلال الارض الفضاء المجاورة لها من كل مسكن واخر. كما أن البعض استغل مساحات من الأراضي لاقامة مساكن أخرى على نفس النمط الذي كان سائدا في الموطن الأصلي بحيث أصبحت هذه المساكن بيوتا نموذجية تمثل الصورة التي كانت عليها النوبة القديمة. من أمثلة هذه البيوت النموذجية دخلنا البيت النموذجي الذي دعانا إليه المهندس عمر محمدين رئيس الوحدة المحلية لقرية ابو سمبل.

البيت يتكون من مدخل يفتح على مضيفة رئيسية واسعة أو « ديوان » كما يسمونها، وهي مفتوحة من الناحية البحرية لتستقبل ريح الشمال. والى الجانب الأيمن مجموعة من الحجرات لبيت الضيوف ويفتح الباب الداخلي بعد ذلك على فناء واسع مفتوح على جوانبه عدد من الحجرات.

والبيت على بساطته نظيف لا نرى فيه من فتحات سوى الأبواب ونوافذ صغيرة للتهوية في أعلى الجدران. أما الواجهات فمزخرفة بنقوش من الحجر أو بقوالب من الأحجار تبرز من الجدار في أشكال مثلثة أو مربعة. أما السقوف فهي من الطوب حيث يخشون استعمال الخشب خوفا من حشرة « القرضة » ذات النهم الى أكل الأخشاب. وهذه السقوف تتخذ شكل قبو يكبر أو يصغر بحسب مساحة « الغرف ». أما الجدران الداخلية فتزين بأطباق مصنوعة من الصيني وغالبا ما تحتوي على زخرفة ملونة أصلا. أو تزين بأطباق من القش والخوص الملون و« الشماليج » والأبراش والمعلقات أو الخرز والأحجبة، الى جانب الوحدات الهندسية المرسومة بالالوان. وتتميز بعض البيوت بالنحت الزخرفي البارز في تزيين حوائط الديوان الثلاثة مع زخرفة المزاليج الخشبية للأبواب بوحدات هندسية تتراوح بين الدائرة والمثلث. وهذه الوحدات الزخرفية المستخدمة تعتبر استمرارا وتأثرا بفن الزخرفة المصرية القديمة.

على ان هذه الزخارف والزينات تفتقر إليها اغلب

البيوت في القرى . . ولم تعد الصورة المميزة التي شهدناها قبل سنوات التهجير في النوبة الأصلية موجودة بشكلها التقليدي البارز في المساكن الحالية فقد شملها التغيير الذى تأثرت به المجتمعات الثلاثة في الأرض الجديدة .

عن الزراعة نجد أن الارض الزراعية خصص جزء منها للتوزيع والتمليك على النوبيين في حين عرضت بقية الأراضي للبيع لهم ولغيرهم من سكان القرى والعزب الصعيدية المجاورة . وقد تجاوزت مساحة الاراضي الزراعية ١٥٠ الف فدان ممتدة إلى مسافة ٨٠ كيلومترا داخل صحراء كوم امبو الشرقية . وقد تم توزيع الاراضي ثم تمليكها للاسر النوبية ، وخصصت لتمليك أصحاب الاراضي الزراعية في القرى الاصلية ارض تساوي في مساحتها الأراضي محل التعويض ، أما الأسر التي لم تكن تملك أرضا زراعية وكانت تعمل بالزراعة فخصصت لها مساحة من الارض تم تقديرها بالنسبة لعدد أفراد الأسرة وبحد أدنى فدان واحد قد تصل الى فدانين .

وتسدد أثمان الأراضي والمساكن المملكة على أقساط سنوية لمدة أربعين عاما وبدون فوائد . .

وقد روعي عند توزيع الأراضي التي تم استصلاحها أن يقتصر التوزيع على الأسر المعدمة التي ليس لها مصدر للرزق إلا الزراعة ، واقتصر توزيع المعونة المالية والعينية التي خصصت لكل اسرة على تلك الاسر فقط . أما بقية الأسر من تجار وموظفين فجرى تسليمهم الأراضي بعد انتهاء التوزيع بالنسبة للاسر الزراعية . وتخضع الزراعة لنظام الدورة الزراعية التي يوجهها قصب السكر باعتباره المحصول الرئيسي .

في مدينة نصر العاصمة الجديدة أنشيء مستشفى عام وأقيمت مجموعات صحية في بعض القرى بالاضافة إلى وحدات اجتماعية قروية . ولا تخلو قرية من قرى النوبة من مركز تدريب على الصناعات الريفية والبيئية والمشغولات ، مع مشغل في كل قرية لتعليم الفتيات تلك الصناعات وأعمال التطريز ، وألحقت بكل وحدة اجتماعية دار للحضانة ومركز لتنظيم الأسرة وتنفيذ برامج التوعية الاسرية ، واختيرت رائدات للقرى دربن على مختلف الاعمال ، وكذلك أقيمت مراكز لأعمال التجارة وصناعة السجاد والاجهزة لتدريب الفتيات اللاتي يمنحن مكافآت شهرية . وقد تم إنشاء وتوزيع شبكة للمياه النقية لتوفير مياه الشرب النقية داخل القرى . . وأنشئت في القرى مراكز للشباب لتدريبهم على القيام بالاشراف والتوجيه في مختلف نواحي النشاط واختيار القادة المحليين منهم . وفي كل قرية أنشئت جمعية للاصلاح الاجتماعي تقتصر العضوية فيها على سكان القرية ويختار أعضاء مجلس إدارتها من بين هؤلاء الاعضاء حتى يمكن لسكان كل قرية تنظيم وتوجيه الحياة الاجتماعية داخل قريتهم على أن يقتصر دور موظفي الادارة على الارشاد والتوجيه فقط .

لماذا القلق ؟

على ان كل ذلك لم يمنع ان تسود في أعماق الكثيرين مشاعر القلق وعدم الطمأنينة . . نسمع ذلك من الكثيرين ممن التقيناهم وخاصة في قرية أبو سمبل الجديدة . . قال لنا سيد مكي احد كبار أبنائها :

لاشك أننا وجدنا مزايا في موطننا الجديد كما كانت هناك مزايا أخرى في أرضنا الأم . .

ورغم أنه مضت علينا سنوات عديدة من عام ١٩٦٤ الى ٨٦ إلا أن الكبار الذين عاشوا حياتهم السابقة في الوطن الأصيل عجزوا تماما عن التكيف مع البيئة الجديدة . ومع ذلك فنحن لا ننكر الميزات التي نلقاها هنا وخاصة من الناحية التعليمية . لقد كان التعليم هناك بسيطا وكانت لدينا مدارس ابتدائية قليلة العدد تتباعد بعضها عن بعض في القرى المترامية . . وكانت هناك مدرسة ثانوية واحدة . . الآن توجد مدارس ثانوية ومدارس اعدادية وابتدائية وبعدد كبير . كل أنواع المدارس موجودة وفي متناول أيدى كل سكان القرى وعلى بعد خطوات منهم . وفي محيط كل قريتين أو ثلاث توجد مدرسة ثانوية ، كما توجد مدرسة صناعية ومدرسة زراعية في مدينة نصر وفي عنيبة ، علاوة على المدارس الصناعية والزراعية القريبة من كوم امبو وأسوان ، وقد يسرت المواصلات عملية التعليم بشكل كبير . .

علاوة على ذلك فالأراضي الزراعية في متناول الجميع . . كل مزارع يملك فدانا واثنين وحتى خمسة . . بينما لم يكن أي منهم يملك في الارض القديمة إلا قراريط . .

رغم كل ذلك ما زلنا نشعر بالكثير من القلق بالنسبة للحياة الجديدة التي لم نتكيف عليها بعد ، برغم أن أبناء الجيل الجديد لا يحبذون العودة الى الأرض القديمة ، وهم يتمتعون الآن بمظاهر الحضارة الجديدة التي يجدونها هنا . .

التنمية والتغيير

عكس ذلك بالضبط نسمعه من المهندس الزراعي عمر محمدين عثمان رئيس الوحدة المحلية لقرية ابو سمبل .

لقد كانت الحياة في النوبة الأصلية تتسم بالبساطة . فالأعمال التي كان يتطلبها أي نشاط انتاجي قليلة فضلا عن عدم وجود درجة كبيرة من التمايز فيما بينها ، وكان الانتاج يعتمد على مهارة عدد قليل من المنتجين إن لم يتول أحدهم العمل من بدايته إلى نهايته ، ويرتبط كل ذلك بالتقسيم الطبيعي للجنس والعمر .

أما عملية التنمية الاقتصادية فتفرض تنظيما جديدا للعمل وتقسيمه نتيجة للعمليات الجديدة التي تستخدم بها الآلات والأدوات والأساليب الفنية ، وهذا كفيل بأن يؤدى الى إحداث تغيرات في المجتمع ، لعل أهمها زيادة التخصص وتقسيم العمل وظهور ظروف جديدة للحياة وامكانات جديدة لاستخدام الموارد الطبيعية لتقابل حاجة المجتمع وتشعبها . ثم إن ازدياد حجم السلع والسوق الجديد يؤدى الى مجموعة من العلاقات غير المباشرة التي تتميز بالفائدة والربح وهي لا تخضع لاعتبارات المركز والاعراف والأخلاقيات .

وقد أدى انتقال القرى النوبية الى اختلاف الظروف البيئية والجغرافية للمنطقة الجديدة عما كانت عليه تلك الظروف القديمة التي كانت تحكم بناء المجتمع النوبي في المنطقة الاصلية .

كما أدى ذلك الانتقال الى تغير التوزيع الاقليمي للقرى وتكتل وتجمع سكان القرية في مكان واحد ، وتلاشى انقسامها الى وحدات اقليمية اجتماعية هي (النجوع) ، واختفاء التكتل السكني المرتبط بالقرابة . كما أدى الى سهولة اتصال سكان القرى وخاصة القرى المتجاورة بعضهم ببعض . وأدى ذلك بطبيعة الحال الى احداث تغيرات في المجتمع النوبي إذ أن الظروف البيئية تؤثر في دائرة العلاقات الاجتماعية وكثافتها ودرجة قوتها داخل المجتمع المحلي .

وما من شك أن عملية التهجير أدت الى تعرض المجتمع النوبي لعملية تنمية اقتصادية واجتماعية ، فتحول بمقتضاها الاقتصاد النوبي من اقتصاد المعيشة الى الاقتصاد الذي لا يقتصر على الاكتفاء الذاتي وإنما يحقق زيادة في حجم الانتاج الزراعي نتيجة لربطه بالاقتصاد القومي .

والتنمية الاقتصادية يتعدى تأثيرها التأثير المباشر على المجالات الأخرى .

ولكن الاقتصاد بطبيعته مصدر للتغيرات الهائلة التي تطرأ على بناء المجتمع حيث يرتبط استمرار وتطور البناء الاجتماعي ارتباطا وثيقا بما يحدث من تغيرات هامة في المجال الاقتصادي وعملية التنمية الاقتصادية تؤدى إلى خلق مجالات جديدة للعمل وتغيير موقف أفراد المجتمع من الاستهلاك وعلاقاتهم بمصادر الثروة ، الأمر الذى يؤدى في النهاية الى تكوين قيم جديدة ، وبالتالي ظهور العلاقات الاجتماعية ذات الطابع الاقتصادي البحت . وعندئذ يتعرض المجتمع للتغيير .

وأدى انتقال القرى النوبية واختلاف الظروف البيئية والجغرافية للمنطقة الجديدة إلى تغير في شكل النظم والعلاقات الاجتماعية في المجتمع النوبي عما كان عليه في المنطقة الاصلية .

نداء وأمل

في نهاية حديثه يقول رئيس وحدة ابو سمبل :

الأمور الآن تسير بشكل يبعث على الرضا ويبشر بمستقبل طيب ، خاصة إذا أمكن الاستفادة بجهود وأموال أبناء النوبة الذين يعملون في أنحاء الوطن العربي .. ولدينا مثل في منطقة أدندان وقسطل ونحن نسميها منطقة « الاوبك » .. فكل من بنوا فيها بيوتا يشتغلون في الأقطار العربية البترولية لهذا سميت بمنطقة الاوبك .. وقد أمكن لهؤلاء تعمير قراهم بشكل يستحق الاعتزاز كما تملكوا أراضي زراعية جديدة ينفقون على استصلاحها ويشاركون بأموالهم في المشروعات الحيوية في القرى ..

وكل هذا هو ما نتمنى ان يتم في كل مكان في النوبة الجديدة .. وما أكثر المشروعات التي يمكن أن يسهم فيها أبناؤنا الموجودون بالخارج . إنهم يستطيعون استثمار أموالهم هنا في استصلاح الأراضى .. وفي مشروعات مصانع الملابس الجاهزة وتربية الأغنام والعجول وتسمينها ، وكذلك تربية الكتاكيت والحمام والارانب .. ولدينا مشروعات صناعية كثيرة تحتاج الى التمويل .. واستثمار الاخوة النوبيين لأموالهم في موطنهم بدلا من الاستثمار بعيدا عنه سيفيدهم ويفيد الآخرين .. ولو أسهم الجميع بجهودهم وأموالهم فستعود النوبة لتصبح في موطنها الجديد ... أرض الذهب .. والتعاون .. والحب ..... □

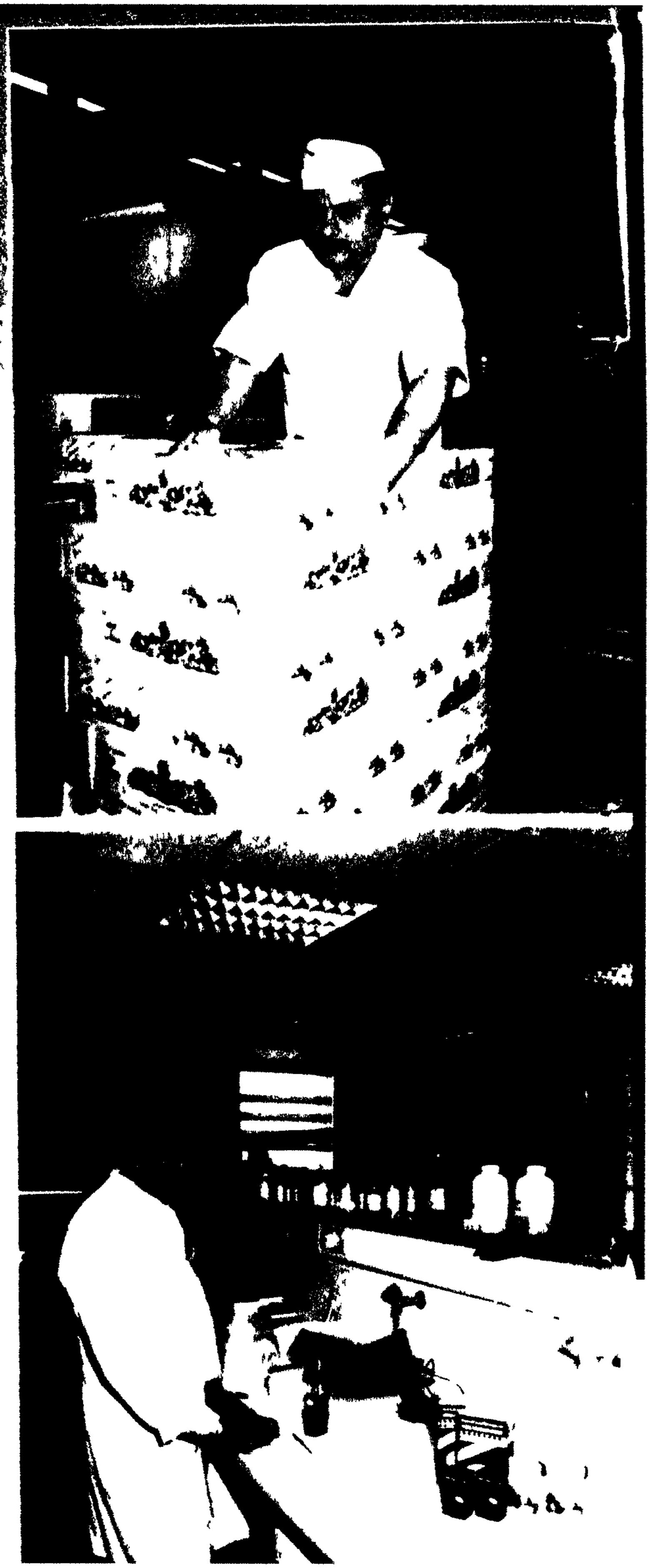




في مصنع شركة الألبان الدانماركية ، ينجز العمل باهتمام وحرص شديدين ، بدون كلل أو ملل ، وتسير جميع عمليات التصنيع بداية بالخلط ، وانتهاء بالتعليب والتوزيع ، وفق نظام آلي ومخبري يضمن للمستهلك سلامة المنتجات .



صناعة



استطلاع : ريم الكيلاني
ثريا البقصمي
تصوير : سليمان حيدر

يبقى الغذاء حاجة أساسية وضرورة قصوى للانسان في كل مكان وعبر كل الأزمنة ، وأية أمة تسعى نحو الأفضل فإنها تدرك أهمية الغذاء وتعمل قدر المستطاع على توفيره واستمرار وجوده وتكامله ، ونقف هنا برهة لنتساءل : هل تستطيع دولة كالكويت بظروفهاالبيئية المعروفة أن توفر عنصرا أساسيا منه كالحليب مثلا ؟ وهل هي مضطرة لايجاد صناعة في هذا المجال ومنتجاتها في النفط توفر لها إمكانية استيراد أنواع الأغذية المختلفة ومنها الحليب ومشتقاته ؟ .

إن الكويت برغم مداخيلها المالية العالية تبقى ذات مساحة وكثافة سكانية قليلتين نسبيا ، ومن ثم فإنه يبدو من الصعب أن تنتج غذاء من أهم أنواع الأغذية وهي لا تكاد تمتلك من مقومات الزراعة إلا القليل. قد يبدو الأمر للوهلة الأولى لغزا يصعب حله ، ولكن هناك قضية مهمة لابد من توكيدها ، تتمثل في المحاولة الحقيقية والجريئة التي تم اتخاذها في الكويت من أجل بلوغ كثير من الأهداف دون الاعتماد على النفط كمصدر وحيد للحياة .

القضية المهمة

يدور الحديث دائما في عصرنا هذا حول الأمن الغذائي ، وحول ضرورة توفيره في أقطار العالم الثالث . فماذا يعني الأمن الغذائي ؟ وهل تستطيع كل دولة أن توفر كل ما يحتاجه أبناؤها من الغذاء ؟

قد يكون ذلك ممكنا بشكل أو بآخر في الدول التي تجري فيها الأنهار وتسقط الأمطار فيها بغزارة ، وتحظى بتربة صالحة للزراعة ، فكيف يتحقق الأمن الغذائي في بلد مثل الكويت بصيفها القائظ وشتائها الذي تقل فيه الأمطار ؟

يقول الدكتور توحيد الصفي خبير الاقتصاد الزراعي في المعهد العربي للتخطيط :

قد يكون البحث في قضية الأمن الغذائي أمرا شديد التعقيد،ولكننا لو عرفنا ما لهذه المشكلة من أبعاد وآثار ناجمة عن عدم التوازن بين الموارد الطبيعية وبين السكان لوجدنا ضرورة القيام بدراسة مستفيضة من شأنها حل مشكلة الغذاء خاصة في الدول النامية . قالوا قديما : « ان الحاجة أم الاختراع » والكون مليء بالموارد المكتشفة والكامنة . والمهم دائما هو كيف يمكن للانسان أن يوفر أفضل استخدام واستثمار ممكن للموارد المتاحة بشرية كانت أو مادية .

إن اعتمادنا كأقطار نامية ـ على الواردات يعني بالتأكيد أن أمننا الغذائي في خطر لارتباطنا بانتاج ومخزون الاقطار المتقدمة .

ويستطرد الدكتور الصفي قائلا :

« إذا أردنا التحدث عن هذه القضية فلابد ان نذكر أولا أن الأمن الغذائي هو قدرة الدولة على مقابلة مستويات مستهدفة من الغذاء في فترة مستقبلية .

والكويت من خلال دعمها للانتاج المحلي لبعض السلع الغذائية الرئيسية وحرصها على توفير مستلزمات الانتاج ، ستساعد على ايجاد وفرة من تلك السلع الغذائية ، التي هي محل اهتمام مما يؤدي الى زيادة الاقبال على ما هو معروض منها محليا ومنها منتجات الألبان .

وهذا يعكس قدرة الدولة على تحقيق جزء من الأمن الغذائي في تلك السلعة وخاصة أن الكويت بلد صحراوي يكاد يكون إنتاجه الزراعي محدودا جدا . صحيح أن الطقس والمناخ هما عاملان من

عوامل كثيرة متشابكة تؤثر على الانتاج الزراعي ، ولكن هناك أيضا الامكانيات الزراعية والكلفة الاقتصادية،وهما عاملان رئيسيان في قضية الأمن الغذائي،هذا إلى جانب العمالة ورؤوس الأموال والمخصبات،والآلات والتطبيق الناجح للقواعد المتبقية في الزراعة،ونوعية المشروع والبحث العلمي الذي من شأنه رفع الانتاجية الزراعية ، ولكننا للاسف ما نزال نعتمد على المعطيات الطبيعية كالتربة والمناخ والموارد المائية المتوفرة وهذا هو الفرق بين الدول المتقدمة وأقطارنا النامية .

وقد حظيت مشكلة إنتاج الغذاء باهتمام بالغ في الكويت حتى أن الدولة باتت تنفق أموالا كبيرة لتسويق المنتجات المحلية ودعمها وتشجيع المنتجين على الاستمرار في إنتاجهم مما يشكل حافزا قويا لاصحاب المزارع والشركات لزيادة الانتاج،ولقد تحققت زيادة الانتاج من ناحيتين : زاد عدد المنتجين اولا ثم ازدادت كميات الانتاج من الحليب والالبان الطازجة ومشتقاتها .

ويضيف الدكتور الصفي :

إن لدى الكويت بعض المزايا النسبية التي تستطيع بواسطتها أن تحقق أمنا غذائيا ، وذلك من خلال استثمار الثروة السمكية المتاحة وخاصة أن للكويت شواطيء ممتدة . أما بالنسبة لجانب الانتاج الحيواني ، فإن الحكومة تدعم الجهود الانتاجية لتطوير الثروة الحيوانية ومنتجات الألبان الطازجة منها على وجه الخصوص وهي تحاول أن توفر خبرات فنية وتستخدم تقنيات حديثة مثل الزراعة المحمية والزراعة بدون تربة لاستزراع بعض السلع التي يتم إنتاجها محليا ، كما توسعت في استخدام تلك الأساليب بعدما تأكدت من الجدوى الاقتصادية لمثل ذلك التوسع . وينهي الدكتور الصفي حديثه قائلا :

« إن إمكانيات تحقيق الأمن الغذائي متوفرة بالنسبة لدولة الكويت في بعض السلع الغذائية ، وأن امكانية الاستثمار الزراعي من خلال مشاريع عربية مشتركة سواء في إطار دول مجلس التعاون الخليجي أو على المستوى العربي بوجه عام قائمة أيضا مما يؤدي إلى زيادة الفرص المتاحة لضمان الأمن الغذائي ، وأن توفر العوائد النفطية يعد عاملا مهما في تطوير المشاريع القائمة أو إقامة مشاريع جديدة في اطار استخدام التقنية الحديثة بحيث يتم تحقيق مستويات إنتاجية عالية .

مفخرة صناعية

كانت عملية تربية الأبقار وإنتاج الحليب الطازج أمرا أشبه بالمستحيل ، فكيف لدولة كالكويت بظروفها البيئية والمناخية أن تمتلك قطعانا من الأبقار المنتجة أو الحلوبة طوال العام تكفي لتغطية حاجات المواطنين من تلك المادة الضرورية وهي الحليب ؟

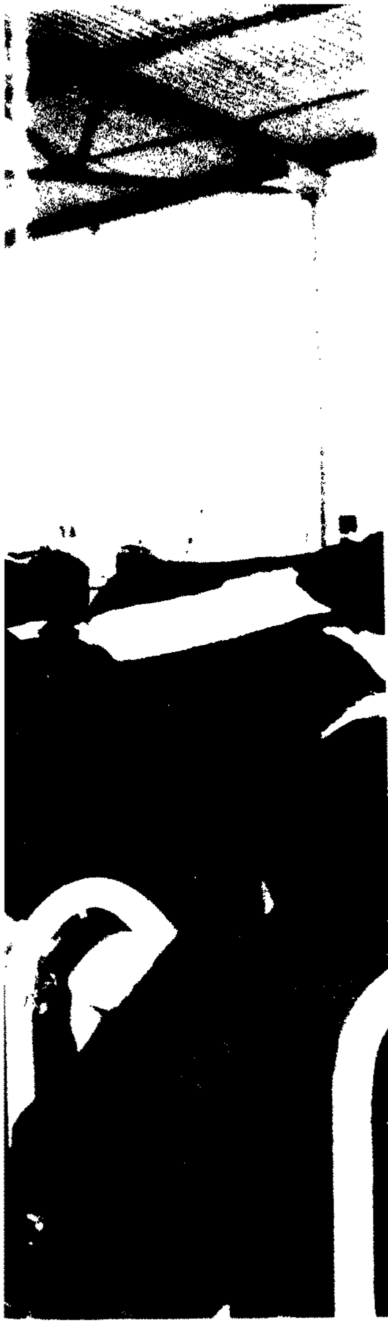
ماكان موجوداً لم يكن يتعدى عددا بسيطا من الأبقار تربى في المنازل،وتحلب بالطريقة التقليدية اليدوية دون مراعاة لظروف النظافة والسلامة في بعض الأحيان .

البقرة الميكانيكية

يقول السيد / عزت جعفر المؤسس الأول لصناعة الألبان في الكويت ورئيس مجلس إدارة شركة الألبان الكويتية الدانماركية : كان لابد أن نجد مخرجا لهذه الأزمة ، وعدد الأبقار المصابة بالبروسيلا (١) في تزايد ، وكنت أبحث دائما عن وسيلة من شأنها أن توفر لنا هذا النوع من الغذاء بعيدا عن الجراثيم وبأسلوب صحي عصري .

وبينما كنت أتصفح احدى المجلات الأجنبية قرأت موضوعا بعنوان « البقرة الميكانيكية » ، ولما كان اهتمامي منصبا على صناعة الحليب فقد أخذت في متابعة الموضوع حتى آخر كلمة فيه .

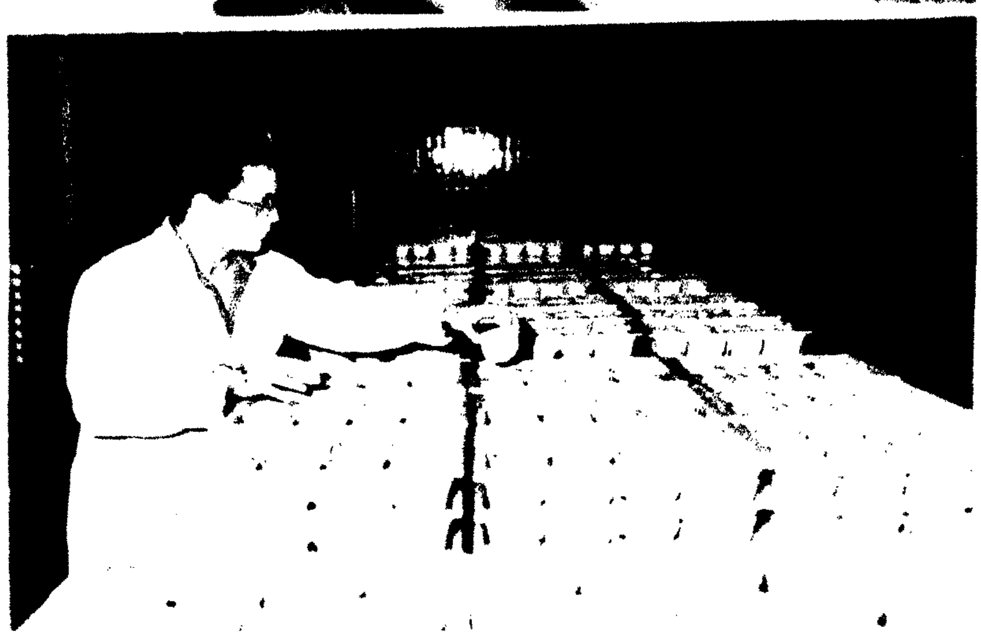
كان يحكى قصة إعادة تكوين الحليب باستعمال الحليب المجفف والمقشود . وكانت هذه القراءة هي نقطة البداية،والخطوة الأولى التي بدأنا








FROM
FRESH
MILK
KUWAIT DAIRY CO.






ICE

منها هذا المشوار الطويل .

كانت بداية المشوار في عام ١٩٦٢ حين تأسست شركة الألبان الدانماركية الكويتية برأسمال كويتي دانماركي مقداره ٢٠٠ الف دينار . ولما كانت خبرتنا في هذا المجال ضئيلة فقد اتجهنا للاستعانة بخبرات الشريك الأجنبي في مجال إنتاج الألبان لاقامة هذا المشروع الذي كان يعد الأول من نوعه تقريبا في أقطار الوطن العربي .

كانت البداية مصنعا صغيرا في الشويخ للحليب واللبن والمثلجات (الأيس كريم) ولكن الطموح كان أبعد من ذلك بكثير . كان لابد من توسيع هذه الصناعة وتطويرها والارتقاء إلى المستوى الذي يتناسب وحاجة الأفراد . فقمنا ببناء مصنع جديد لزيادة وتنويع الانتاج ، ومع اكتساب الخبرة أمكن الاستغناء عن الشريك الأجنبي لتصبح الشركة كويتية تماما عام ١٩٨٣ .

للشركة اليوم مصنعان،أحدهما لصناعة منتجات الألبان ويقع في منطقة صبحان الصناعية على أرض تبلغ مساحتها ٣٤٠٠٠م٢ وهو متخصص في إنتاج الألبان والأجبان وعصير الفواكه الطبيعي ، ومصنع للبلاستيك لصناعة العبوات اللازمة للألبان والأجبان والمثلجات بمختلف الأحجام والأشكال ، وكانت تلك خطوة ضرورية لتوفير الوقت وتقليل نفقات استيراد هذه العبوات .

وعليه فقد قمنا باستيراد آلة صنع هذه العبوات وتركيبها،كما عملنا على شراء المتاح من المواد الخام بحيث يصبح المصنع قادرا على تغطية الحاجة الحقيقية للشركة من الأوعية البلاستيكية وهي ٢٥٠ مليون كوب في السنة ، أي أننا ننتج ٣٠٠ قطعة في الساعة قياس « ١ و ٢ و ٤ و ٦ ليتر » . كذلك ألحقنا بمصانعنا وحدة متخصصة لتنقية وتقطير المياه اللازمة للانتاج ، وتخضع هذه المياه قبل استعمالها إلى فحوص مخبرية للتأكد من سلامتها ونقائها .

والمصنع الثاني خاص بصناعة المثلجات « وأقماع » البسكويت ويقع في منطقة الشويخ الصناعية على أرض تبلغ مساحتها ١١٢٥٠م٢ ، والمصنعان مجهزان بأحدث المعدات والآلات .

إن ما يميز منتجاتنا ويجعلها صالحة لمدة أطول أنها جميعا معبأة بعبوات مبطنة بصفائح من الألمنيوم تمنع دخول الهواء والبكتريا الضارة إليها ، مما يساعد هذه المنتجات على الاحتفاظ بجميع خصائصها الغذائية .

إنتاج متنوع . . لأذواق مختلفة

ويحدثنا السيد جراهام بوليتي مدير الانتاج بشكل أكثر تفصيلا عن العمل الانتاجي في الشركة . يقول السيد بوليتي .

« إنتاجنا من الألبان يعتمد على ذوق المستهلك . ولا نبالغ إذا ما قلنا اننا نمتلك القدرة والامكانية لانتاج كل ما تحتاجه البلاد من الألبان حيث اننا نتسلم اسبوعيامن دائرة المبيعات قائمة بحاجة السوق من منتجات الشركة ونقوم بتلبيتها جميعها .

إنتاجنا الرئيسي في الشركة هو الحليب المعقم والقشدة ، ولدينا قسم لانتاج سبعة أنواع من المشروبات الخفيفة والطبيعية لتلائم رغبات المستهلك . يوجد كذلك قسم خاص للمنتجات التحويلية كاللبن الرائب والزبدة ، وقسم آخر لمنتجات الأجبان الطرية « وأجبان » البحر المتوسط » « واللبنة » . إن آخر وأنجح منتجاتنا هو معجون الطماطم الذي راعينا في انتاجه جودة المذاق والتعليب .

وقد بدأت الشركة عملها بطاقة انتاجية لا تزيد عن ٢٠٠ ليتر يوميا زادت إلى أن وصلت اليوم إلى ٢٠٠,٠٠٠ليتر يوميا كحد أقصى للانتاج ، وهذا يعني توسعا كبيرا في الطاقة الانتاجية للمصنع .

ونحن في الشركة نقدم كل يوم دراسة جديدة ، وبحثا علميا لنعمل على تطوير العمل وتحسين الانتاج . ومن أهم البحوث التي قدمت ولاقت نجاحا كبيرا وحازت على رضا المستهلك دراسة حول

إنتاج الحليب السائل ليصبح صالحا لمدة طويلة لا تقل عن ستة أشهر دون الحاجة إلى تخزينه في مبردات .

وكان تركيب وحدة التحكم بالكمبيوتر من أهم وأجرأ الخطوات التي اتخذت ، وهي الكفيلة بتأدية جميع عمليات التصنيع من مزج وخلط وتوزيع لكميات المياه،ودرجات الحرارة بواسطة شاشات جهاز الفيديو الذي يوضح للفني كل ما يجري في المصنع ، وهو في غرفة بعيدة . كما يطلق هذا الجهاز إنذارا في حالة حدوث أي خلل في أي مرحلة من مراحل التصنيع .

مادتنا الخام في المصنع حليب الأبقار المجفف ، وهو من أجود الأنواع حيث اننا ننقيه من مصادره الطبيعية ، وفي كل الحالات نعمل على مضاعفة البسترة حيث يتم تعريض الحليب لدرجة حرارة عالية تصل إلى ١٤٥ ْم لمدة لا تتجاوز أربع ثوان ، وهذه الفترة كافية تماما للتخلص من كل البكتريا الضارة .

وللحفاظ على سلامة منتجاتنا وملاءمتها للاستعمال الآدمي نقوم بعملية التعليب وفق نظام دقيق ومتطور لمعدات التعبئة حيث يتم استعمال نوع خاص من الورق المقوى المكسو بطبقة من صفائح الألمنيوم ، وهي عبوات محكمة الاغلاق تماما ، وتؤمن حماية جيدة للمنتجات .

تقنية عالية

ولما كان الحاسب الآلي « الكمبيوتر » هو الرئة التي من خلالها يتنفس مصنع شركة الألبان ، فقد كان لابد من الاطلاع على الآلات والأجهزة المستخدمة في التصنيع التي يعتبرها كل العاملين الشريان النابض بحياة وصحة كل المنتجات . يقول السيد معتز جعفر مدير الحاسب الآلي في الشركة : « قبل تشغيل أية آلة تصنيع أو انتاج نقوم بالتأكد من سلامة المواد الخام حتى لا تسبب عطبا في الآلات،ويتم الاشراف على العمل الآلي في الشركة فنيا بواسطة أجهزة الحاسب الآلي حيث يمر هذا النظام بثماني مراحل ، إذ يعطي كل جهاز معلوماته إلى الجهاز التالي إلى أن يصل إلى الجهاز الأخير ، حيث تكون كل المعلومات المطلوبة عن سير الانتاج قد بلغت النهاية مما يؤكد سلامة سير العمل وعدم وقوع أي خطأ » .

وقد قمنا بجولة في أرجاء المصنع اطلعنا خلالها على كيفية سير العمل،وبمرورنا على الأجهزة التي تشرف على مراحل التصنيع وجدنا وضوح صور الانتاج على شاشات تليفزيونية ، فلا تترك مجالا من مجالات الاشراف الفني إلا وتتابعه بدقة من أول مِرحلة من مراحل الانتاج إلى أن يخرج معلبا جاهزا للتوزيع .

ولا تقتصر المراقبة على الانتاج فقط بل تشمل مرحلة ما قبل الانتاج وما بعده .

ويضيف السيد معتز : « نحن مثلا نراقب كمية المياه التي نستعملها كما نراقب كمية الانتاج التي تخرج من الآلات خلال كل دقيقة لنتعرف على مستواها وصحة تركيبها ، فإن حدث ما يخل بمستوى الانتاج وتم اكتشافه في مرحلة متأخرة قمنا فورا بوقف العمل . وبحثنا عن أسباب الخلل وعملنا على إصلاحه .

ونقوم باستبعاد كل المنتجات التي يقل مستوى جودتها عن المقاييس والمعايير التي وضعتها الشركة لمنتجاتها .

ولما كانت أنظمتنا وأجهزتنا من أرقى وأحدث ما أنتج في العالم،إضافة الى نظام الصيانة المستمرة من قبل الفنيين ، فإن منتجاتنا تتمتع بجودة عالية خالية من أية شوائب أو بكتريا ضارة .

فلو حدث خلل في خزان الماء أو العصير أو أن غطاء أحد الخزانات لم يكن محكما أو مكشوفا ومعرضا للتأثر بالأحوال الجوية ، فسرعان ما يعطي الحاسب إنذارا للمشرف ليقوم بوقف عملية الانتاج فورا وإصلاح الخلل حيث يوجد،قبل وقوع أية خسائر أو أضرار .

يبدأ العمل في المصنع مثلا في ساعة مبكرة ويستمر الى الثامنة مساء حيث تبدأ بعدها عمليات إعداد وصيانة بعض الآلات لليوم التالي .

مراقبة صحية

من المعروف أن المستهلك هو الحكم الأول والأخير في تقدير مدى نجاح أية سلعة ، وكلما كانت السلعة تتمتع بمذاق جيد وقيمة غذائية عالية زاد عليها الاقبال عليها وارتفعت معدلات الاستهلاك ، ومن ثم الانتاج ، ولما كانت شركة الألبان الكويتية الدانماركية شديدة الحرص على سلامة منتجاتها لتظل محل اهتمام وطلب ، فقد اوجدت قسما خاصا لمراقبة الانتاج والاشراف على جميع منتجات الشركة للتأكد من سلامة المواد الخام ومواكبة عملية التصنيع والتعبئة والتخزين قبل التوزيع .

يقول السيد راي جودفري مسئول المختبر الكيميائي في الشركة « نحن نقوم بفحص عينة من كل منتج للتأكد من ملاءمته وتطابقه مع أذواق المستهلكين . ونجري كل فحوصنا الصحية والمخبرية على المنتجات قبل توزيعها على السوق .

ولا أنكر أن مصاعب كثيرة كانت تواجهنا عند اكتشاف أي خطأ حتى ولو كان بسيطا في أي من منتجاتنا . ولكننا لا نتوانى عن تصحيح الخطأ أو التغلب عليه وغالبا ما نقوم باتلاف المنتج اذا تعذر ، تلافي ما وقع من اخطاء أثناء انتاجه . ولابد أن أشير هنا الى ان كل منتجاتنا تتم آليا ولا تمسها يد بشرية .

ان تسرب أي نوع من البكتريا من خلال الآلات إلى المنتجات يعني فساد المنتج ، وفي مثل هذه الحالة نوقف العمل إلى أن يتم إعادة إصلاح الآلة وتعقيمها قبل استعمالها ثانية .

إن عملنا فني آلي على درجة عالية من التقنية العلمية ونحن نتابع العمل بكفاءة عالية على المستويين الصحي والكيميائي ، وفنيا على المستوى الميكانيكي المتطور . والعاملون في المختبر جميعهم من خريجي الجامعات المتخصصة في هذا النوع من التحليلات وهم على درجة عالية من الكفاءة .

قامت صناعة الألبان في الكويت على الحليب المجفف بعد أن كانت إمكانية توفير الكميات المناسبة من الحليب الطازج أمرا يكاد يكون مستحيلا حيث ان ظروف البيئة لم تكن تساعد على توفير الكميات الكافية منه . وكانت الأبقار القليلة العدد التي تربى في المنازل ، لاتفى بحاجة السكان من الحليب وتشكل خطورة في نقل الأمراض المختلفة الى الناس احيانا .

لقد كان أمر اقامة صناعة ألبان من الحليب الطازج حلما طالما راود خيال بعض أبناء الكويت ، ولكنه كان حلما مستحيلا أثر الزيارة التي قامت بها مجموعة من الخبراء الأجانب اطلعوا من خلالها على البيئة الكويتية،وظروفها المناخية وقرروا استحالة إقامة هذه الصناعة ، وكان هذا يعني أن تستمر الكويت في الاعتماد على استيراد الحليب ، وهو من أهم المصادر الغذائية . والحقيقة أن مثل هذا القرار لم يكن يحمل في طياته إلا أطماعا استعمارية بغيضة .

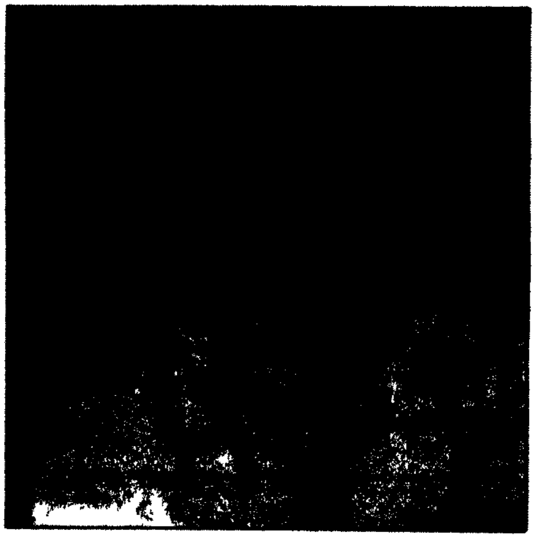
ولم تفتر همة الكويتيين برغم كل المعوقات التي ذكرها الخبراء الأجانب ، بل واصلوا مسيرة التحدى محاولين إقامة مزارع للأبقار تقوم على منتجاتها صناعة الألبان فيما بعد .

بدأت الفكرة في الستينيات بعدد قليل من الأبقار لم يكن يتجاوز المائة بقرة . تأسس بعد ذلك اتحاد منتجي مزارع الألبان في عام ١٩٧٨ الذى وضع قانونا صارما في مجال تربية وحلب الأبقار .

وكان من أهم شروطه عدم السماح لأى حليب بالدخول الى المصنع واستعماله ، دون أن يكون تابعا للاتحاد ، كما فرضت ضرورة تقديم أجود أنواع الأعلاف وأفضلها . وقام أعضاء اتحاد منتجي مزارع الألبان باستيراد الأبقار من هولندة ونيوزيلندة وأمريكا .



ـ الدكتور عبد الرحمن السلمان



ـ السيد ياسر حداش

التجربة والقرار

ما هي قصة هذا الاتحاد ، وكيف استطاع القائمون عليه أن يحققوا ما كان يوما مستحيلا ؟

يقول الدكتور عبد الرحمن السلمان من أوائل الذين احتضنوا فكرة تربية المواشي وتحمس لها : التقيت صدفة عام ١٩٥٩ في الجامعة الأمريكية ببيروت بالأستاذ يحيى غنام المسئول عن الزراعة في الكويت ، والذى حدثني عن زيارة مجموعة من الخبراء الدانماركيين للكويت وقرارهم الذى أصدروه باستحالة إقامة صناعة ألبان . ولما كانت دراستي ذات صلة وثيقة بعلاقة الحيوان بالبيئة وبالمؤثرات المناخية فقد عملت على وضع المعادلة التالية :

على الرغم من الظروف البيئية القاسية فإن الانسان مايزال يعيش في الكويت وبما أن الحيوان يوجد حينما يوجد الإنسان ، إذن فلابد من وجود الحيوان ، وقررت أن أتحدى كل مخططات الاستعمار الذى يهدف دائما الى إبقاء بلداننا سوقا رائجة لمنتجاته .

قامت تربية المواشي في بداية الستينيات . وكانت تابعة آنذاك لقسم الزراعة في وزارة الأشغال ، حيث تم استيراد عشرين بقرة من هولندا من نوع « جيرسي » « وفريزين »وتأسست بعدها لشركة الكويتية للألبان التي قامت بدورها باستيراد خمسين بقرة من النوع الدانماركي الأحمر .

لم تكن البداية ناجحة تماما ، وتعثرت مسيرة الاتحاد بعض الشيء لأسباب عديدة منها عدم توفر حظائر عصرية واسعة وعدم إلمام العاملين بأفضل طرق التربية وأنواع العلف وأساليب الحلب ، ولقد كان لابد للمحافظة على المواشي الموجودة وزيادة تناسلها من تنظيم حملات للتوعية واستمرار الفحص البيطري على الأبقار للتأكد من سلامتها وخلوها من أية أمراض وبائية وتطعيمها .

كما تم تنظيم برامج خاصة بيّنا فيها الطرق الصحية في الحلب وتعقيم الحليب ، وقد زاد بناء على ذلك ـ عدد المزارع في عام ١٩٦٨ وانتشرت في عدة مناطق في الكويت (خيطان ـ الشويخ ـ الفروانية) ولقد ارتأى الاتحاد ضرورة ضم هذه المزارع وجمعها في مكان واحد واختيار منطقة الصليبية لتكون موطنا للأبقار .

ولقد كادت أن تقع كارثة حقيقية عندما أصيبت الأبقار بمرض الطاعون البقري ، وأنقذت المواشي بإحضار لقاح خاص أسهم في الحد من انتشار الوباء .

تطورت بعد ذلك عملية تربية الأبقار وخاصة بعد ما أبدت الحكومة استعدادها الكامل لدعم المربين والمنتجين للأبقار والحليب،فزاد عدد الأبقار من ألف الى ١٧ ألف رأس من البقر وازدادت المزارع من ٧ الى ٢٤ مزرعة . وكان السبب الرئيسي في هذه الزيادة المطردة اختيار أنواع من الأبقار تستطيع أن تتلاءم مع ظروف الكويت المناخية .

ويستطرد الدكتور السلمان : كان الحليب آنذاك يسوّق في مزرعة واحدة وينقل في عبوات بدون تعقيم ، وفي عام ١٩٦٤ بدأنا بتعبئة الحليب في زجاجات ، وهي اليوم تعبأ في عبوات كرتونية ذات أوصاف عالمية .

إن عملية البسترة والتعقيم التي تقوم على حليب الأبقار تضمن بلاشك سلامة الحليب وارتفاع قيمته الغذائية .

الشركة الكويتية للألبان

بعد أن عشنا قصة التجربة . كان لابد لنا من الاطلاع على ثمرة ذلك الانجاز الرائع .

وعلى الجهود الانسانية المكثفة التي وضعت لتوفير عناصر غذائية هامة لاستمرار بقاء الانسان ووجوده ، ولهذا قمنا بزيارة الشركة الكويتية للألبان بمنطقة الصليبية حيث التقينا بالأستاذ « ياسر حنداش » ، نائب المدير العام للشركة الذي حدثنا عن فكرة تأسيس هذه الشركة التي انطلقت بعد أن تأسس اتحاد منتجي الألبان الطازجة .

في عام ١٩٧٨ وقد كان تعداد الأبقار في ذلك الوقت ٨,٥٠٠ بقرة بينما هو في الوقت الراهن ١٥,٠٠٠ بقرة حلوب وقد بلغ انتاجها في تلك السنوات ١٨,٠٠٠ ليتر ووصل حاليا الى ١٠٠,٠٠٠ ليتر . وشركة الألبان هي الشركة الوحيدة التي تنتج الحليب الطازج ومشتقاته،وهذه المشتقات هي اللبن الخاثر ، والمجفف والقشدة والروب بأنواعه والمثلجات والجبنة ذات القشدة المضاعفة والجبنة المغلية بأنواعها واللبنة الجامدة ، وينتج الحليب بنكهات الفواكه المختلفة،والحليب بنوعيه الدسم والخالي من الدسم .

عمليات البسترة

ويمر الحليب الطازج بعمليات بسترة وتعقيم ينتفي بعدها وجود أي نوع من الميكروبات . إن الرقابة البيطرية الحكومية للأبقار وعمليات التطعيم واستبعاد الأبقار المريضة في حالة اكتشاف المرض ، كل ذلك يضمن للمستهلك سلامة الحليب الذي ينقل مباشرة من المزارع المحيطة بالمصنع ، ويخضع لعدد من الفحوص المخبرية للتأكد من سلامته .

ترفع درجة حرارة الحليب الى ٧٥ درجة مئوية وتثبت لمدة ١٨ ثانية ثم تخفض الى درجة ٢ مئوية ، وهذا كفيل بالقضاء على الميكروبات الموجودة في الحليب،ثم يعلب في عبوات لها مواصفات عالمية ومحلية سهلة الاستعمال والفتح ، ويتم تعليب الحليب ومنتجاته آليا ، ويعمل في المصنع ٧٥ عاملا و ٣٠ فنيا ، وفي المصنع غرفة تحكم الكترونية . يراقب الفنيون من خلالها كميات الحليب المصنع وعمليات تخمير الروب ، في الحاضنات الالكترونية .

تتعاون وزارة الصحة معنا بشكل منتظم فتأخذ عينات من منتجاتنا يوميا ليتم فحصها في مختبراتها ، وكذلك يزورنا مندوبون من وزارة الصحة الوقائية باستمرار للتأكد من نظافة عمال المصنع .

هل يتحقق الأمل ؟

ويبقى أمامنا الايمان بهدفنا والتخطيط له ومن ثم العمل على إنجاحه ، ويظل الأمل في تحقيق أمن غذائي محلي وعربي حلم كل عربي يدرك أهمية هذا الهدف ويعي الأزمة الاقتصادية التي تطرق بعنف أبواب القرن الحادي والعشرين . □

البيت العربي

مجلة الأسرة والمجتمع





قبل أن تعاقبي طفلك

رسوم الأطفال..

دلالات عنهم وفرص لتوجيه سلوكهم

إعداد : زينب الكردي

« نخطيء كثيرا عندما لا نرى في رسوم أطفالنا إلا أنها مجرد خطوط بلا معنى ، ونظل نطاردهم كي لا يلوثوا جدران البيت بهذه الرسوم ، فرسوم الأطفال هذه أكثر جدية وأهمية مما نظن » .

أي مشاعر غضة نقية تلك التي تدفع بطفل لم يتجاوز الرابعة من عمره بعد،لأن ينقب هنا ، أو هناك عن قلم أو قطعة طباشير ، ليرسم بها « ماما » أو « بابا » أو « قطة» الجيران ؟ !

أي نوعية من العمليات النفسية أو العقلية تلك التي تفور داخله وهو مستغرق تماما مع خطوطه التي ينقشها فوق الجدران ، وجوانب الخزانات وخلفيات المقاعد ؟ !

تأمله وهو يقوم بعمله ، فالوجه منه جاد ، والأصابع التي تتحرك بحيوية وجرأة ، لتخط على الورق ، قد تبدو لنا نحن الكبار مفرطة في السذاجة ، إلا أنها مفعمة بسحر الألوان ، وبراءة الفؤاد . وبعد أن ينتهي يتراجع قليلا إلى الخلف ، ليتأمل خطوطه بإعجاب ، ثم يسرع إلى أمه ، ويجذبها في إصرار لتشاركه مشاعر الزهو والرضا ، فإذا بالأم تحملق في إحباط ، وقد تصرخ في وجهه

غاضبة وهي تغمغم متهمة إياه بالقذارة ، وسوء السلوك ، وتعب القلب .

ويبكي الطفل بخيبة أمل ، ومرارة ، فقد عوقب في اللحظة التي كان يتوقع فيها الثناء ، أو على الأقل كلمة إعجاب ، إنه لا يفهم - بالضبط - لماذا ثارت أمه ، لكنه يدرك جيدا أن تلك الخطوط التي عوقب بسببها كانت في لحظة ما وسيلته الوحيدة في التعبير عن نفسه ، وعن رؤيته الطفلية لهذا العالم الذي يعيشه ، ويحاول اكتشاف تفاصيله ، ومفرداته ، وبلغته الوحيدة التي يجيدها في مرحلة لا يعرف فيها قراءة ولا كتابة .

مثل هذه النوعية من الأمهات والآباء تتجاهل في غمرة ردود أفعالها الغاضبة أن الطفل قد يبدو - ظاهريا - أنه يرسم بدافع اللهو ، وأن خطوطه ليست أكثر من مجرد خطوط عشوائية لا معنى لها ، إلا أن الحقيقة هي أن كل خط يقوم برسمه ما هو إلا رمز من رموز لها دلالاتها التي تعبر بصدق عن طبيعته وما يشعر به أو يفكر فيه .

تعبير عن رؤيته للعالم

الطفل في عملية إدراكه الكلي لحقائق العالم الذي يعيش فيه ولا يفهم تفاصيله، يلجأ إلى عملية التعميم الفني ، فيُسقِط الصفات الثانوية ، ويؤكد على الصفات الجوهرية المشتركة فقط ، بخطوط حرة جريئة ، لم تعرف الخوف بعد ، ولا تتقيد بحدود الزمان أو المكان ، وهو يتخذ من ذلك وسيلة فعالة ، يحقق بها عملية التكيف الاجتماعي . فالرسم عند الطفل لغة تعبير ، وليست وسيلة لخلق شيء جميل ، ولعل هذا يفسر اهتمام الدول المتحضرة برسوم الأطفال ، واعتبارها وسيلة عملية مهمة في تكوين شخصية الطفل ، بل وتقويمه ، هذا الاهتمام الذي بلغ حد إعتبار هذه الرسوم سجلاً كاملاً ، يمكن الرجوع إليه لتشخيص أمراض الطفل النفسية ، وإحدى الوسائل في قياس درجة ذكائه ، ومعرفة قدراته النفسية والحسية والعقلية .

فالطفل - خصوصا في مراحله الأولى - لا يهتم برسم ما يراه ، بل رسم انطباعه لما يراه هو ، أي رسم صورة انطباع الشيء في ذهنه ، وليس صورة الشيء نفسه ، ولهذا نراه - في تلك المرحلة - يهتم بالتفاصيل ، ثم يلجأ - في مرحلة تالية - إلى التسطيح ، وبعدها يتدرج بالخبرة والممارسة والثقافة البصرية المستمرة إلى الاهتمام بالنسب والزوايا والأبعاد .

ما الذي يعنيه هذا الكلام بتوضيح وتركيز أكثر ؟

انه يعني أن رسوم الأطفال تخضع - كفن خاص بالأطفال - لتقاليد وقواعد خاصة ، فالطفل في سن الثانية مثلا وبسبب رغبته في تقليد الكبار يقوم برسم خطوط مشوشة وغير منظمة في البداية ، لكنها بمرور الوقت تأخذ اتجاهات مختلفة ، دافعها الإحساس العضلي ، بمعنى أنه يحرك يديه وأصابعه ، ويحاول السيطرة على الأداة التي يرسم بها ، ويمسك بها بين أصابعه ، وتتجه - عادة - خطوطه من اليمين إلى اليسار ، أو تأخذ ميلا واضحا ، وبالتدريج أيضا تبدأ خطوطه بأخذ شكل أفقي أو رأسي أو دائري ، وهذه التطورات لا تتم خلال أيام أو حتى شهور ، بل تأخذ وقتها اللازم حتى يصل إلى سن الرابعة ، وهي السن التي يبدأ فيها الاعتماد قليلا على خياله ، ثم يزداد هذا الاعتماد ، فنراه يحاول تجسيد تصوراته بهيئة رموز لها دلالات خاصة لديه ، ولهذا يتحمس لها ويطلق عليها أسماء خاصة .

ومن المتابعات التربوية المستمرة لرسوم الأطفال لوحظ أن الطفل يبدأ - فيما بين الرابعة والخامسة -

برسم الانسان بشكل بدائي ، دون تفاصيل جوهرية أو ثانوية ، كما لوحظ أيضا أنه في تلك المرحلة يصبح أكثر نضجا من الناحية العقلية والبدنية والجسمية والاجتماعية ، وهذا ينعكس بالطبع على رسومه ، فنجدها ذات دلالات رمزية ، لكن بوعي أكثر ، إلا أنه رغم هذا النضج الذى بلغه يظل إحساسه بالزمان والمكان ذاتيا محضا ، ويظل استعماله للألوان ذاتيا ، بمعنى أنه يلجأ إليها لمجرد التفرقة والمتعة ، ويختار الألوان التي يريدها هو ، وليست تلك الألوان الموجودة في الطبيعة ، والتي يراها بعينيه ، إلا أنه بشكل عام - كلما تقدم في العمر ازداد تحكما في عضلاته وحركات أصابعه ، وعندما يصل إلى سن الخامسة - وهي السن التي يكون فيها مهيئا لدخول المدرسة - يصبح الانسان هو موضوعه المفضل في كل ما يبدع من رسوم ، كذلك نلاحظ أنه يحاول أن يكيف الخطوط محاولا الحصول على تأثير خاص ، كبداية لاتخاذه من الرمز وسيلة تعبيرية.وحتى سن الثامنة نرى أنه يرسم مايعرفه لا مايراه ، إلا أنه أكثر احساسا وصدقا في تسجيل التفاصيل

تطور الرؤية وتطور الأداء

لكن ماالذي تصبح عليه رسومه فيما بين التاسعة والحادية عشرة من عمره ؟

في هذه السن نلاحظ أنه قد تطور كثيرا من حيث قدرته على التحكم في الخط ، وفي رسمه للتفاصيل ، ومراعاته للنسب ، والأبعاد ، وأصبح يستعمل ألوانه باقتدار أكثر ، كما نلاحظ أن خطوطه تتسم بالحرية ، والتلقائية التي ينحني أمام شفافيتها وصدقها كبار رسامي العالم وفنانيه ، بل إن معظمهم يعترف بصراحة بأنه يتمنى أن يدفع نصف عمره ثمنا ، مقابل أن يرتد إلى التلقائية ولو للحظة ، والمؤلم أننا - آباء ومعلمين - نفسد هذه التلقائية ، ونقضي عليها تماما بحسن نية أحيانا ، أو بدافع الجهل في أغلب الأحيان . كيف يكون ذلك ؟

ان الطفل في هذه المرحلة - وهذا يتوقف على تركيبته النفسية ، وظروفه ، ومستوى نضجه بالنسبة لعمره - يلجأ إلى التكرار والمبالغة ، ويلجأ أيضا إلى الجمع بين المسطحات المختلفة في حيز واحد وأهم تغيير يطرأ على رسومه في هذه المرحلة هو أنه يبدأ في النقل من الطبيعة ، ويرسم ما يراه وليس ما يعرفه ، ويتجه انتباهه للأشكال المتداخلة ، ويلاحظ المنظور ، ويبدأ في إستخدام التظليل ، لكن الغريب أنه فيما بين الحادية عشرة والرابعة عشرة تفتر الصلة بينه وبين الانسان في رسومه،وتتوثق أكثر مع الطبيعة بكل مافيها من سحر ، وغموض ، وجمال ، وكائنات حية . بدأ يتحول عن نظرته الذاتية للأشياء ، وإن كان في رسومه يحاول أن يؤكد الجنس الذي ينتمي إليه ، وبدأ أيضا يميز بين ماهو بعيد وماهو قريب بالخطوط والألوان ، ولم يعد يلجأ إلى المبالغة أو الحذف إلا مصطرا ، كما أخذت تلك الشفافية الرائعة التى كانت تضيء جوانب لوحاته تختفي بالتدريج ، لتحل محلها رؤية واقعية في اللون والمضمون

المساعدة وليس الضغط

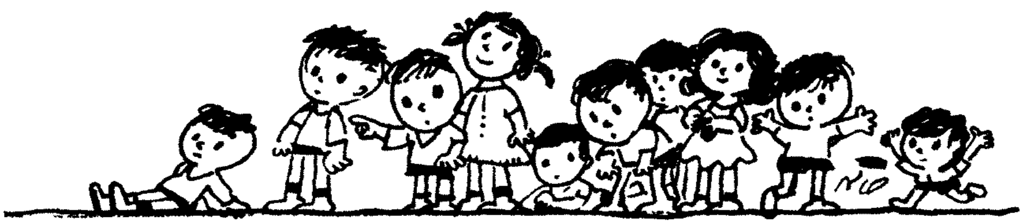
يجب ألا نضغط على الطفل لكي يكون رساما بارعا ، لأن هذا ليس هو الهدف من التربية الفنية ،



بل يجب أن يكون هذا آخر شيء نفكر فيه ، فالطفل يرسم ليعبر عن نفسه أولاً ، ومهمة المشرفين على توجيهه هي تدريبه على الخامات الموجودة بين يديه ، وليس التدخل في أسلوبه بالتعبير ، فنحن نعطيه الخامة سواءً كانت ألوانا جافة أو ألوانا مائية ، كما نعطيه بعض عيدان الكبريت وعلبه ، أو أعواداً من القش ، وأوراق القص واللزق ، أو القواقع البحرية ، ونطلب منه أن يتصرف فيها بالشكل الذي يراه ، ولا نتدخل أو نفرض عليه أسلوباً معينا ، لكن علينا أن نساعده على الابداع بطريقته هو ، وبالشكل الذي يراه ، وليس بالشكل الذي نراه نحن ، وأيا كانت النتيجة يجب أن نظهر له الاعجاب ، ونثني على جهده ، فالتربية الفنية وسيلتنا لنخلق منه ـ على المدى البعيد ـ مواطنا صالحا ، يضيف للحياة ويثريها ، بدلا من أن يتقاعس بحجة عدم الامكانيات ،ولا يشمر عن ساعده مستغلا كل الامكانيات الموجودة لديه مهما كانت ضئيلة أو عديمة النفع ، وندربه منذ الصغر على أنه هو الذي يجعل للأشياء معنى وقيمة ، وأن بإمكانه حتى لو أصبح طبيبا أو مهندسا أن يقوم في بيته بدور النجار ، والسباك ومصلح الأحذية والصباغ الذي يحيل بيته إلى جنة ، لكن هذا لايعني أن نتخذ موقفا سلبيا منه ، بل علينا أن نشجعه ، ونظهر فرحتنا بأي إنجاز يقوم به ، وخلال عملية الابداع يجب ألا نتدخل بالنقد ، ولا نحاول التصليح بحجة التوجيه ، كما يجب ألا تبدو منا أي إشارة أو نظرة تعطيه انطباعا بالاستخفاف ، فعلينا أن ندرك أنه يعبر عن عالمه هو ، لا عالمنا نحن ، وأنه وهو يقوم بذلك صادق تماما ، وعلينا أن ندرك أيضا أن عملية التعبير ذاتها هي أهم ما في الموضوع ، بغض النظر عن النتائج ، فالطفل الذي يكون إحساسه الوجداني غير مكتمل سيكون تكيفه مع مجتمعه أيضا غير مكتمل ، وبالتالي فإن انتباهه وإحساسه بالمسئولية تجاه هذا المجتمع سيكون إحساسا ضعيفا باهتا في ذهنه وضميره .

إن الطفل عندما يشرع في العمل ـ أي عمل ـ ينهمك ويستغرق فيه بمتعة فائقة ، لمجرد أن يرضي نفسه فقط أولاً وأخيراً ، ومن ابتسامة أمه المشجعة ونظرة الاعجاب من أبيه وعمه ، وأصدقاء أسرته يتأكد في أعماقه أن ما يقوم به شيء مهم ورائع ، مما يجعله يستمر في العمل محاولاً انتزاع مزيد من الاعجاب ، وبقدر ردة الفعل تكون توقعات النجاح ، والتفرد ، والابداع . وقد أكد علماء النفس والتربية هذه الحقيقة عندما قالوا بأن الانسان الناجح في حياته العملية هو ذلك الشخص الذي يمارس عمله بروح اللاعب العاشق للعبته ،وكلما أكدنا لدى الصغار هذه الروح كلما شبوا وهم يعشقون العمل كقيمة بغض النظر عن النتائج .

في مراحل الطفولة المبكرة يُتاح للأم أو للمعلم أن يوجه الطفل الوجهة الاجتماعية والنفسية السليمة ، من خلال متابعة رسومه وتحليلها ، كما يمكنه تعديل سلوكه ، وتلقينه قيما أكثر فعالية ، وأكثر سموا من خلال ما يرسم . لكل هذه الأسباب أهمس إليك عزيزتي الأم وأهمس إليك عزيزي الأب بألا تنهرا صغيركما إذا ما ضبطتماه متلبسا بالتخطيط على الجدران ، بل أعطياه أكبر مجموعة من الورق الأبيض، أو كراسة مع بعض الألوان ، وقولا له بحنان حقيقي : « ارسم هنا لتظهر الخطوط بشكل أوضح ، ولنستطيع أن نحتفظ بها، ونعلقها لك في مكان بارز ، حتى نريها للأصدقاء والأقارب ليتأكدوا أن لدينا فنانا رائعا ، سيهز العالم بفنه بعد أن يكبر .□



هل هناك خطورة .. في استعمال حبوب منع الحمل ؟

بقلم : الدكتور نجم عبدالله عبدالواحد

« رغم أن استخدام حبوب منع الحمل قد أصبح وسيلة أكثر شهرة وسهولة لدى كثير من النساء ، إلا أن كثيرا من المخاوف تنتاب بعض الناس من أن تكون هذه الحبوب مصدر خطر صحيٍّ وطبيٍّ .

لكن لا يوجد دليل طبي واحد على صحة هذه المخاوف » .



منذ أن ظهرت حبوب منع الحمل في أوائل الستينيات سرت شائعات حول خطورة هذه الحبوب ، ونظرا لتوفر الأدلة العلمية الصحيحة أصبح في مقدورنا الآن أن نتوصل إلى حكم صحيح ، ومما يجعلنا في موقع يسهل علينا القيام بدراسة آثار استعمال هذه الحبوب هو انتشار استعمالها ، فقد بلغ عدد النساء اللواتي استعملنها حوالي ١٥٠ مليون امرأة ، وذلك منذ بداية ظهور هذه الحبوب حتى الآن ، وخلال مدة زمنية مقدارها ٣٠ سنة ، كما أن عدد النساء اللواتي يستعملن حبوب منع الحمل حاليا يقدر بحوالي ٦٠ - ٨٠ مليون امرأة ، وأن كثيرا منهن قد استعملن هذه الحبوب فترة قد تصل إلى عشر سنوات متتالية أو أكثر . ومما يعزز البحث والتمحيص هو توفر الدراسات الميدانية الكثيرة المنشورة في المجلات الطبية ، وأهمها ثلاث دراسات إحصائية ميدانية متخصصة واسعة ، واحدة في أمريكا ، واثنتان في بريطانيا ، وكل واحدة من هذه الدراسات قد أجريت على عدد كثير من النساء فترة طويلة من الزمن بدأت منذ عام ١٩٦٨ .

إن هذه الشائعات التي تتحدث عن الخطورة المفترضة نستطيع نقلها من كتابات كثير من الاختصاصيين التي تداولتها الدوريات الطبية ، ويمكن تلخيصها بقولنا ان هذه الحبوب قد تضعف خصوبة المرأة ، وأنها قد تحدث السرطان ، كما أنها ذات آثار جانبية ، تسبب أضرارا للجسم .

ولهذا كانت هذه الخطورة المفترضة محط اهتمام الاختصاصيين ، منذ بداية استعمال هذه الحبوب ، لكن المتتبع لكل ما نشر في الدوريات الطبية العالمية خلال الـ ٢٢ سنة الماضية لا يستطيع أن يجد دليلا واحدا قاطعا بزيادة احتمال حدوث السرطان ، نتيجة لاستعمال حبوب منع الحمل ، وهذا ينطبق على كل ما نشر عن سرطان الثدي ، وسرطان الرحم ، وسرطان عنق الرحم ، وسرطان الكبد ، أما الثلاث دراسات الميدانية الواسعة التي ذكرناها فكلها لم توضح أي دليل على صحة هذه الشائعات ، أو الخطورة المفترضة ، كما لم توضح أنه ليس هناك علاقة مباشرة بين حبوب منع الحمل وبين أي نوع من أنواع السرطان .

والطريف في الأمر أن هناك دراسات تشير إلى وجود عوامل أخرى لها علاقة مباشرة بحدوث السرطان ، سواء كانت حبوب منع الحمل مستعملة أو غير مستعملة ، وعلى سبيل المثال هناك ثلاثة عوامل تزيد من احتمال حدوث سرطان عنق الرحم عند النساء :

١ - إذا مارسن الجنس وهن صغيرات في السن .

٢ - إذا مارسن الجنس مع عدد كثير من الرجال .

ضعف الخصوبة :

إذا نظرنا إلى خصوبة النساء ، واسترجاعهن القدرة على الحمل - وذلك بين النساء اللواتي توقفن عن استعمال حبوب منع الحمل أو اللولب - نجد أن رجوع الخصوبة للنساء اللواتي استعملن اللولب أسرع من رجوعها إلى النساء اللواتي استعملن حبوب منع الحمل ، وهذه الملاحظة متوقعة وبديهية ، حيث أن حبوب منع الحمل تعتمد على إخلال التوازن بين هرمونات الدماغ وهرمونات المبايض ، ولذلك لا بد من مرور بعض الوقت حتى يرجع التوازن الطبيعي بإفراز البويضة كل شهر ، بينما نجد عند استعمال اللولب أن الدورة الشهرية الذاتية تبقى منتظمة ، لأن منع الحمل يتم بواسطة منع البويضة الملقحة من العلوق في الرحم ، وعند إزالة هذا العائق (وهو اللولب) تصبح الدورة الشهرية القادمة خصبة ، واحتمال الحمل واردا .

وعلى الرغم من وجود هذا الفرق البديهي فإن الاحصائيات تدل على أن جميع النساء اللواتي توقفن عن استخدام كل وسائل منع الحمل ، - سواء في ذلك حبوب منع الحمل أو اللولب أو غيرها - تكون نسبة الحمل لديهن واحدة ، ولا يوجد هناك فرق بين هذه الطريقة وتلك ، وأن معدل مدة تأخير حدوث الحمل هي خمسة أشهر ونصف ، لذلك فإن النتيجة واحدة ، ولا يوجد هناك خطر على خصوبة المرأة ، كما أن حبوب منع الحمل لا تسبب تبكير سن اليأس ، ومن ناحية ثانية أثبتت الدراسات الطبية أن انقطاع الدورة الشهرية بعد التوقف عن استعمال حبوب منع الحمل عند بعض النساء يرجع في الغالب لأسباب عضوية ، موجودة - أصلا - قبل استعمال حبوب منع الحمل ، ولذلك لا يوجد دليل إحصائي أو طبي يؤكد أن حبوب منع الحمل هي السبب المباشر لحصول انقطاع الدورة الشهرية بعد التوقف عن استعمال هذه الحبوب .

وكذلك نجد أن نسبة الاجهاض عند النساء الحوامل بعد توقفهن عن استعمال حبوب منع الحمل



مثل نسبته عند النساء اللواتي لم يتعاطين تلك الحبوب ، وكذلك الحال بالنسبة لمن استخدمن وسائل أخرى لمنع الحمل-، كما أن نسبة التشوهات الخلقية في حديثي الولادة واحدة عند كل النساء أيضا .

أضرار أخرى :

نستطيع تقسيم الأضرار التي تصيب أجسام النساء اللواتي يتعاطين حبوب منع الحمل إلى قسمين هما :

أ ـ الجلطة .

ب ـ الآثار الجانبية .

أ ـ الجلطة :

إن الدراسات والاحصائيات في جميع أنحاء العالم تتفق على أن هناك خطورة من حدوث الجلطة عند النساء اللواتي يستعملن حبوب منع الحمل وأعمارهن أكثر من ٣٥ سنة ، وذلك إذا كن يدخن السجائر ، أو كن مصابات بارتفاع ضغط الدم ، أو بمرض السكري ، أو بمرض زيادة الدهنيات بالدم ، وبخاصة الكوليسترول .

أما ما عدا هذه الشريحة من النساء فلا يوجد أي دليل على حدوث مثل هذه المضاعفات لديهن ، لذلك نستطيع القول بأن النساء اللواتي لم تبلغ أعمارهن ٣٥ سنة يستطعن استعمال حبوب منع الحمل دون خوف ، حتى وإن كن يدخن السجائر . أما النساء اللواتي بلغت أعمارهن أكثر من ٣٥ سنة فيستطعن استعمال حبوب منع الحمل إذا كن لا يدخن السجائر ، وليس هناك ما يثبت أن لديهن ارتفاعا في ضغط الدم ، ولسن مصابات بالسكري ، أو بزيادة الدهنيات في الدم . كما أثبتت الدراسات أنه ليس هناك خوف من الاصابة بالجلطة عند استعمال حبوب منع الحمل مدة طويلة من الزمن ، قد تصل إلى عشر سنوات متتالية .

ب ـ الآثار الجانبية :

لقد تناولت كتابات كثيرة ـ عربية وأجنبية ـ هذه الآثار الجانبية ، وأستطيع القول بأن هذه الآثار الجانبية تختلف من امرأة إلى أخرى ، وأنها تقل إذا كان الاختيار لنوع هذه الحبوب موفقا ، لا سيما أن القاعدة الأساسية تقول بأن أقل جرعة ممكنة من هذه الحبوب هي الأنسب،والأقل تسببا لهذه الآثار الجانبية ، وعلاوة على ذلك فهناك أنواع جديدة متوفرة بالأسواق ، تتميز بجرعات مختلفة لكل شهر (**Triphasic pills**) ، وهذه الجرعات المختلفة تعتبر أقرب إلى التكوين الوظيفي الطبيعي للدورة الشهرية للمرأة ، وبالتالي فإن الآثار الجانبية تكاد تكون مختفية تماما إذا قارنا بينها وبين حبوب منع الحمل المستعملة في أوائل الستينيات ، والتي كانت تحتوى على جرعات عالية من الاستروجين والبروجسترون .

• وخلاصة القول أنه لا داعي للقلق أو الخوف عند استعمال حبوب منع الحمل ، خصوصا بعد الخبرة الواسعة في استعمالها ، فالدراسات الشاملة أصبحت كثيرة ، وكلها مطمئنة ، هذا بالاضافة الى معرفة حقيقة مكمن الخطر في بعض الحالات .

ولتحقيق السلامة للنساء اللواتي يستعملن حبوب منع الحمل يجب عليهن مراجعة الأطباء ، واستشارتهم قبل الشروع في استعمالها ، تفاديا للخطر ، ومنعا لحدوث الآثار الجانبية ، فدرهم وقاية خير من قنطار علاج □

العربي - العدد ٣٤٣ - يونيو ١٩٨٧



هو..

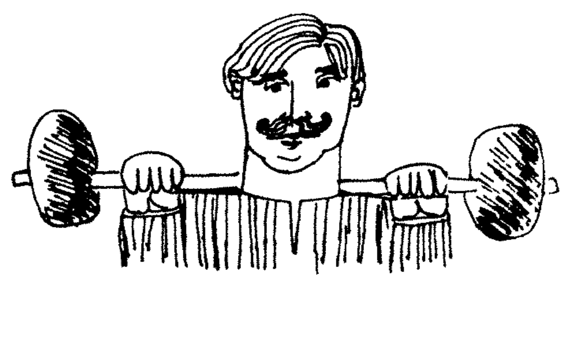
ليس الموت ، لكنه امرأة !

● لا أدري ماذا أصابه ؟ هل هو داء الوسوسة ، أم خوف الموت ؟ رغم أن سني عمره لا تتجاوز الخامسة والأربعين ، لكنه أصبح شديد الحيطة والخوف من كل عارض يصيبه ، أو يطرأ عليه .

بدأ منذ عامين يلزم البيت بنظام غذائي ، أو على الأقل لا يأكل هو إلا وفقا لذلك النظام ، ومن غير المنطقي طبعا أن أطهو الطعام بطريقتين ، فصرنا جميعا نأكل معه طعامه الصحي ، كما يحلو له أن يسميه ، وعرف طريق الزيارات الدورية للأطباء ، وإجراء الفحوصات والتحاليل .

وتحول ركن من البيت إلى صيدلية ، تحوي قدرا كبيرا من الأدوية المختلفة ، فيتامينات ومقويات ، و . . و . . ، وكلما أتى بدواء جديد نزع منه نشرته الطبية الداخلية ، كي لا أعرف لماذا يتعاطى هذا الدواء أو ذاك ؟ وامتلأت أرفف البيت بتقارير أطباء ، وصور (أشعة) ، ونتائج تحاليل طبية ، ويوم ذهابه للطبيب يقلب البيت رأسا على عقب ، يبحث عن هذا التقرير أو ذاك ، وبدأت أحاديثنا تتعرض لترتيبات حياتنا فيما لو توفي هو ، وأحاول جاهدة أن أقول له إن الأعمار بيد الله ، وأنه لوظل مستسلما لفكرة الموت التي تسيطر عليه لتحولت حياتنا إلى جحيم ، وأنه من المهم أن نتذكر الموت كلحظة ونهاية ، ولكن لا نجلس بانتظاره .

وآخر تقاليعه التي زرعت الريبة في نفسي هي بداية نشاطاته الرياضية ، فقد بدأ مؤخرا يستيقظ مبكرا ، ويمارس بعض التمرينات الرياضية ، قد خصص يومين في الاسبوع يهبط إلى الشارع فيهما ويجري ، ثم يعود ليستحم ، ويتناول إفطاره ، ثم يذهب إلى عمله . في البداية قلت إنها حالة طارئة ، لن تستمر ، لكن استمراره بها فترة زادت عن أربعة أشهر جعلني أصاب بالقلق ، وخاصة أن قوامه عاد رشيقا ، والترهل االذي قد بدأ يصيبه تلاشى ، واسترد حيوية سنوات مضت ، وانخفض معدل تدخينه ، وهنا تحولت ريبتي إلى شك ، وبدأت أفتش في جيوبه ، وأتعقب ملابسه ، وأتشمم رائحته ، فلم يعد ينطلي علي ما يقوله ، بأن هذا كله إنما هو خوف من الموت والمرض ، فالحقيقة التي وصل إليها قلبي ، الذي لا يخطيء - هي أن في الأمر امرأة أخرى ، وخاصة بعد أن مر علينا جميعا زمن طويل يحاول هو أن يوقفه .



هي



هي..

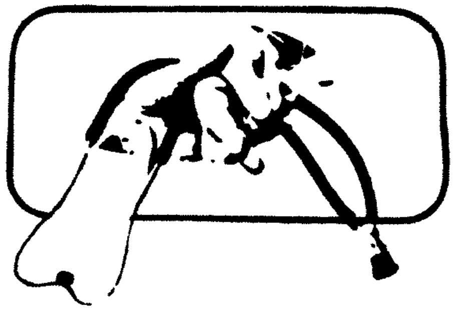
ماذا لو ذهب الجمال ؟

● حكمة قديمة ، لكنها ما زالت صحيحة ، فهي حتى لو كانت في طريقها إلى حبل المشنقة ، فإنها سوف تطلب « أحمر شفاه » . أتعامل مع هذه الحكمة بشكل يومي ، منذ فترة قرأت في مجلة طبية متخصصة أنه يستحسن للانسان بعد سن الأربعين أن يتحكم في نظامه الغذائي ، ويمارس قدرا من الرياضة ، لأن استعداده للاصابة بأمراض القلب وضغط الدم كبير ، وبالفعل دعوت الأسرة إلى مراعاة قليل من القواعد الصحية في الطعام ، وكأنني يوم حديثي هذا فاجأت زوجتي ، فقد ذهلت عندما أدركت أنها تقترب من الأربعين ، منذ ذلك اليوم بدأت مشاهدات وطرائف لا تقل عن أي مشهد (سيرك) محترف في العالم ، أصحو من النوم ليلا فأجدها واقفة أمام المرآة ، تتأمل جسدها ، ولترى أي الأماكن فيه قد ترهلت ، وأدخل عليها الغرفة عصرا فأجدها ممسكة بمرآة ، تتأمل التجعيدات تحت جفنها ، وحول رقبتها ، ومع مضي الوقت نسيت هي النظام الغذائي وضرورة (التخسيس) .

قبل أن تمارس الرياضة المنزلية التي تكفل للدورة الدموية قدرا من الحركة والنشاط لم يكن همها إلا بوجهها والتجعيدات التي تصيبه ، ومع انتظامي في برنامجي الذي ألزمت نفسي به ، وبدأت أجني ثماره متمثلة في مرونة وحيوية ، وقدرة على الحركة ، وانتظام نشاط ، بدأت هي تدخل في طور متابعة المجلات النسائية ، وتجربة وصفات محاربة التجاعيد ، وبدأت أحاديثنا تشهد حوارا عجيبا . . ماذا لو تسللت التجاعيد إلى وجهي ، وخاصة أن المرأة يصيبها الكبر قبل الرجل ؟ هل ستتزوج ؟ وهل سترتبط بسيدة أخرى ؟ وكلما ضحكت من أفكارها ازدادت حدة ، وأخذت تتساءل : لماذا إذن تهتم بنفسك كل هذا القدر من الاهتمام ؟! ولماذا تخاف على صحتك ؟ ولماذا تنتظم في ممارسة الرياضة ؟ لا بد أن في حياتك سيدة أخرى ، ويمر الوقت وهي تزداد هلعاً ، ترقب وجهها ، وتفتش ورائي ، وأقول لها إن عناية الانسان بصحته في سن معين أمر حيوي وضروري ، وخاصة أننا لم نكن معتادين أن نعتني بأنفسنا منذ الصغر ، وأن عاداتنا الغذائية القديمة قد أفسدتنا ، لكنها لا تسمع كل هذا ، ولا ترى إلا شبح الزمن ، يهبط عليها ، يملأها خوفا من أن يضيع جمالها ، ويتشوه وجهها ، وأنني سأنصرف عنها إلى امرأة أخرى ـ أرايتم مثل هذه الفكاهة من قبل ؟

هو





طبيب الأسرة

قضايا منزلية

للحذاء مع القدم حكاية !

لو تجاوزنا دور الحماية الذي تقوم به الأحذية للأقدام من عوادي البيئة ، والاصابات ، فإن القول بأن الحذاء عبء على القدم يصبح صحيحا ، أو ـ على الأقل ـ أن الحذاء لا يقدم خدمة صحية تذكر ، وإنما قد يكون سببا في المرض

فالأصل في القدم أن تكون حافية ، عارية ، دون قيد ، شأن كافة المخلوقات ، بل لعل أفضل رياضة للقدم هي السير على أرض لينة ، ودون حذاء ، لأن الحذاء ظاهرة حضارية فرضتها طبيعة الحياة العصرية ، ومتطلبات (الموضة) ، ومنذ استخدم الانسان الحذاء،بدأت مشاكل الأقدام تشكل عبئا على صاحبها إذا لم يحسن اختيار ما يتوافق مع طبيعة قدمه وحجمها ووظيفتها وقد تبدأ عادة استخدام الأحذية للأطفال قبل البدء في المشي ، وهنا لا بد من الحرص على اختيار حذاء مناسب ، من القماش ، لا ضيق فيه ولا ضغط ، حتى يسمح بالنمو الطبيعي ، ودورةالدم الطبيعية في القدم . وتعود بنا الذاكرة إلى الأحذية الحديدية التي كان أهل الصين يستعملونها لأطفالهم ، وما كانت تتركه من تشوه للأقدام ، فقد كانوا يتوهمون أنها تحافظ على جمال الأقدام ، وإبقائها صغيرة دقيقة .

عند الابتداء في المشي يفضل استخدام الحذاء المصنوع من جلد لين ، أو قماش ، لا كعب له ، ولا تقوس فيه ، ويجب التحذير من محاكاة أحذية الكبار ، والحرص على تغيير الحذاء كل ثلاثة أشهر ، لتتناسب مع حجم القدم النامية ، دون اعتبار للحذاء القديم أو سلامته .

أما أحذية الكبار ومشاكل أقدامهم فإن فهمها يبدأ بفهم تركيب القدم ، ووظيفتها :

أولا : إن القدم هي التي تتحمل ثقل الجسم، فقد جعلها الخالق في عدد من العظام والمفاصل والعضلات والأربطة ، بنظام خاص .

في كل قدم حوالي ٢٦ عظمة وعظيمة ، مختلفة طولا وشكلا ، تتجمع ويتصل بعضها ببعض في ٣٣

مفصلا ، تربطها أربطة مرنة مطاطة ، قد تزيد عن المائة عدداً ، ويحكم حركتها حوالي ١٩ عضلة مختلفة .

وهنا نرى أن تركيب العظام في القدم يتشكل على هيئة قوسين ، أحدهما طولي الاتجاه ، والثاني عرضي الاتجاه ، وهما متعامدان ، فإذا فقدت القدم أحد تقوساتها حدث لها ما يسمى تفرطح القدم .

وسوء اختيار الأحذية ، والتأثيرات الضارة نتيجة لذلك ، تنعكس على تركيب القدم الطبيعية ، وسلامة تأديتها لوظيفتها .

وأهم المشاكل تنشأ غالبا عن عدم توافق مقاس الحذاء مع حجم القدم ، وعدم تناسب ارتفاع الحذاء عن الارض مع طبيعة تقوس العظام ، فالحذاء الضيق يضغط على أصابع القدم ، فيعاني صاحبها من التواء الأصابع ، كما يضغط على الجلد فيؤدي إلى ظهور ما يعرف بعين السمكة ، أو (الكالو) ، وهو زيادة سماكة الجلد وموته في مواضع معينة منه .

أما التواء الأصابع فإنه يؤدي إلى حالة تعرف في الطب باسم الابهام الأروح ، أو تراكم الأصابع ، وننصح في مثل هذه الحال باختيار حذاء أطول من طول القدم بما يتراوح بين سنتيمتر واحد إلى سنتيمترين ، وقد ينصح بعضهم بشراء الحذاء في فترة المساء حيث تكون القدم قد تضخمت ، وأصبحت في أكبر حجم لها ، بتأثير العمل والمشي اللذين أديا إلى احتقانها ، فقد قدر أن حجم القدم في المساء يزيد (نمرة) واحدة عن حجمها في الصباح ، ويجب الحرص على تجربة الحذاء في القدمين معا ، حيث أن قدمي الانسان غير متساويتين تماما ، وعلى عكس ما يتوهم الناس .

لكن مشكلة ارتفاع الكعب تعتبر قضية نسائية غالبا ، ويعتبر الكعب مرتفعا إذا زاد ارتفاعه عن خمسة سنتيمترات ، وبالكعب المرتفع يندفع ثقل الجسم إلى الأمام فتحمله أطراف الأصابع ، بدلا من توزيعه على القدم كلها ، بل إن نصيب الابهام في القدم من ثقل الجسم يتنقل إلى السلاميات في الأصابع الأخرى ، وهذا يؤدي إلى شعور بالتعب ، ووجع في الظهر ، وصداع في الرأس ، والنتيجة معاناة شبه عامة عند أغلب السيدات من مستعملات الكعب العالي .

وأهم مشاكل الأقدام بسبب الأحذية غير المناسبة كما يلي :

أولا : الابهام الأروح

هو انحناء الابهام ، وتضخم مفصله ، مما يضغط على الأصابع الأخرى ، وربما أدى إلى ركوب الأصبع الثاني على الثالث ، و هو أمر يؤدي إلى الألم والتشوه والتورم .

ثانيا : الابهام المتصلب

ضيق الحذاء قد يؤدي إلى التهاب مفاصل الأصابع ، وبخاصة الابهام ، فبعد وقت طويل يصاب بالتليف ، ثم التصلب ، وصعوبة الحركة .

ثالثا : الابهام المطرقة

وهو تصلب الأصبع في وضع الأنحناء ، بسبب ضيق الحذاء ، وقصر طوله عن طول القدم .

رابعا : الظفر المنغرس

قد يؤدي ضيق الحذاء إلى ضغط على ظفر الأصبع ، وانغراز طرفه في اللحم ، فينشأ الالتهاب والورم الذي يصاحبه ألم شديد ، لا ينفع فيه سوى عملية جراحية ، يستأصل فيها الظفر ، أو جزء كبير منه .

خامسا : عين السمكة (الكالو) والقروح

سادسا : الغنغرينا أو الموت و يصاب بها خاصة مرضى السكر ، بسبب انحباس الدورة الدموية .

بريد طبيب الأسرة

الآيس كريم ومرض السكر

○ كنت أحب أكل الآيس كريم كثيراً إلى أن أصبت بمرض السكر ونصحني الأطباء بتجنب الحلويات فهل هذا يعني حرماني من تناول هذه الحلوى قطعيا ؟

س . أ . ن

الكويت

ـ مرض السكر يعني عجز البنكرياس عن إفراز هرمون الأنسولين بما يكفي للتعامل الطبيعي مع سكر الدم ، المعروف بالجلوكوز ، من حيث حرقه أو خزنه ، وبالتالي فإن مريض السكر يعاني من تراكم سكر الجلوكوز في الدم ، غير أن علاج السكر بالعقاقير المنشطة أو بوساطة حقن الأنسولين يعادل من هذا الضعف ، ويتغلب على هذا الخلل ،

والأطباء بأسلوبهم التقليدي يحظرون على مريض السكر أي إسراف في تناول الحلوى والنشويات التي تتحول بعد هضمها إلى سكر الجلوكوز ، ولما كان الآيس كريم حلوى غنية بالسكريات والدهنيات فمن الطبيعي أن يشملها الحظر والتقييد ، مما ينعكس حرمانا نفسيا واجتماعيا ، وهو الأمر الذي دفع بمجموعة من الباحثين إلى دراسة تأثير تناول الآيس كريم على مريض السكر ، حتى لا يشعر بالحرمان مما يتمتع به الأصحاء .

إن الاسراف في تناول الآيس كريم لا جدال في ضرره على مريض السكر ، غير أن تناول كمية متوسطة في حدود مائة جرام ، وفي ظروف مريض بالسكر تحت العلاج المتوزان ، يؤدي إلى رفع مستوى سكر الدم مائة مللجرام خلال ساعة أو ساعة ونصف ، وهذا هو نفس مستوى السكر لدى الانسان الصحيح ، مما اعتبره الباحثون أمرا طبيعيا ، لا يصح أن يحرم مريض السكر بسببه من متعة لا تضره ضررا بالغاً ، وبخاصة إذا كان ملتزما بالعلاج الدقيق . وياحبذا لو تعاطى مريض السكر حقنة صغيرة من الأنسولين الذائب قبل تعاطي الآيس كريم بنصف ساعة تقريبا ، فإن هذا يضمن عدم اختلال مستوى السكر في الدم .

إن الأساس الحديث لعلاج الأمراض المزمنة ـ بما فيها مرض السكر ـ هو عدم عزل المريض عن مجتمعه ، وعدم إشعاره بالحرمان من متع الحياة وطيباتها ، مراعاة لردود الفعل النفسية الضارة التي تصاحب الحرمان .

لهذا لا مانع من تناول قدر معقول من الآيس كريم ، مع الحرص على اعتباره جزءا من الطاقة التي تحددها ظروف المرض ، على أن تحسب من مقادير الطعام المسموح بها .

مساحة ود

في الوطن متسع للجميع

كأن وطننا العربي لا يكفيه مابه ، وكأن تحدي التنمية الذي يواجه وطننا ليس جديرا بأن يجعل كل أبناء الوطن يتكاتفون للخروج به من المأزق الذي يواجهه ، فنحن في نهاية الثمانينيات غرقى في الديون ، باستثناء قطرين أو ثلاثة ، هياكل اقتصادياتنا عاجزة عن الوفاء بحاجات السكان ، واعتمادنا على الواردات يتزايد ، وحتى طعامنا فاننا عاجزون عن إنتاجه ، واعتمادنا على الغير يتعاظم ، وأطماع قوى العصر من حولنا في المكان العربي والثروات العربية تزداد شراسة .

وسط كل هذا ـ وهذا كله كفيل بأن يرفع نداء أن الوطن في خطر ـ تتهدد الفتنة وطننا ، وبدأنا ـ في السنوات العشر الماضية ـ نسمع عن تعصبات عرقية أو دينية أو مذهبية ، تعصف بالوطن ، وتشرخ جداراً من الاخوّة والمحبة ، ظل قائما قرونا عديدة ، فتاريخ الوطن العربي قائم على قدرته العظيمة على التآلف والتآخي والسماحة ، واتساع قلب الوطن ، لكي يضم كل أبنائه دونما نظر إلى عرق أودين أو مذهب ، وتاريخ الوطن الذي يلوثه بعضهم ـ للأسف ـ يزخر بميراث عبقري هائل من الانجاز الحضاري الانساني ، وإن البشر الذين أنتجوا هذا الرقي والجمال لا يمكن أن يلوثوه بالدم والكراهية اليوم .

والغريب أنه في الوقت الذي يسود العالم كله اتجاه نحو التكتلات ، وتذويب الخلافات ، ويشهد قدرا من اتفاق الغرماء ، وتحالفات أعداء الأمس الذين أصبحوا أصدقاء اليوم ، في هذا الوقت ننغمس نحن في تمزيق الوشائج بين اخوة وأصدقاء أمس واليوم ، لكي يصبحوا أعداء الغد . إن العالم قد أدرك أن الخروج من أزماته لا يمكن أن يتم إلا بالحوار بين كل أبناء الوطن الواحد ، وتكاتف كل أبناء الوطن الواحد .

لكن يبدو أن معنى الوطن لدى بعضنا غائب ، وإحساسه بعمق أزمتنا مفقود ، وإصراره على خوض معارك صغيرة لأسباب واهية كبير ، وفي تقديري أن تجاوز هذه الأزمة التي تعصف بالوطن كله يبدأ بعمل ، يسهم فيه رجال السياسة والاعلام والفن والفكر ، كما يسهم فيه البيت والمدرسة والمصنع ، وأن ننشد جميعا ـ من جديد ـ لحنا واحدا ، يتغنى للوطن ، فالوطن فوق كل صغائرنا ، وأن ندرك كلنا أن في الوطن متسعا للجميع ، وأن السماحة التي كانت تراثا مميزا لنا هي بوابة الخلاص من هذا الليل الأسود الذي يوشك أن يلفنا جميعا . □

محمود عبدالوهاب

جمال العربية

بقلم : محمد خليفة التونسي

أسئلة وأجوبة

هذا هو السؤال الثالث من أسئلة السيد/ فخري رمضان محمد الأغا (دبي/ دولة الامارات العربية المتحدة)

السِّياقة لا السِّواقة

١ - أيها أصحّ : معاهد السياقة أم معاهد السواقة . ولماذا ؟

هذه قضية صوتية صرفية ، والمعروف صرفيا أن المصدر الدالّ على حرفة يكون على وزن (فِعالة) مثل : زراعة ، وتجارة ، ونساجة . وعلى هذا القياس يكون المصدر الدالّ على الحرفة من الأصل « س . و . ق) هو « سياقة » مع أن هذا الأصل واويّ الجوف أو العين/ ويلاحظ أن الياء حرف لين ، وهي أنسب للكسرة قبلها صوتيا في مثل هذا المصدر ونحوه غالبا ، لتخفيف الجهد العضلي على جهاز النطق ، ولو كان جوف الأصل واويا . وعلى ذلك نقول « ساق ، يسوق ، سياقة . وحاك ، يحوك ، حياكة ، وقاد ، يقود ، قيادة ، وساد ، يسود ، سيادة . وساس . يسوس ، سياسة ، وعاد ، يعود ، عيادة ، وزار ، يزور ، زيارة ، وقام ، يقوم ، قيامة . وكذلك نقول : ثوب ، وثياب . وحوض ، وحياض . وكذلك نقول في الياء اذا كانت حرف مد ، مثل : حوض ، وحيضان . وعود ، وعيدان . ومثله : وزن ، وميزان . ووعد ، وميعاد .

ونقول إن ذلك يجري غالبا ، فقد تسبق الكسرة الواو وتبقى الواو كما هي ، مثل : « سِواك ، جِوار ، جِوار ، قِوام » ، ولكن الأخف والأنسب صوتيا أن تكون مع الواو (حرف لين) ضمة قبلها ، مثل : « خُوار ، صُوَاع ، دُوار ، عُوادة » وكذلك مع الواو (حرف مد) مثل : « سُوق وعُود ، وبُوق » .

ولا أعرف في لغتنا « سواقة » (بكسر السين أو ضمها)

العرب عاملوا المثنى كالجمع :

ومن السيد/ شتوح احمد (الجلفة/ البيرين/ الجزائر) جاء هذا السؤال

في سورة الحج جاءت هذه الآية الكريمة « هذان

خصمان اختصموا في ربهم » فلماذا لم يقل : « هذا خصمان اختصما » ؟ .

ـ من المعروف أن القرآن الكريم نزل عربيا على النبي عليه السلام فهو يجري على اساليب العرب في لغتهم وان كان في المنزلة العليا من البلاغة ، وقد جرى العرب احيانا على معاملة المثنى معاملة الجمع في الشعر والنثر ، سواء كان مفرد المثنى دالاً على واحد ، او على جمع ، ومن شواهد ذلك ماذكره الثعالبي في كتابه « فقه اللغة وسر العربية » من ان الامام الشعبي فقيه العراق كان في مجلس عبدالملك بن مروان فقال : « رجلان جاءوني » فقال عبدالملك : « لحنت ياشعبي » ، فأجابه « يا أمير المؤمنين ، لم ألحن ، مع قول الله تعالى : هذان خصمان اختصموا في ربهم » فقال عبدالملك « لله درك ، يافقيه العراقين ، قد شَفَيْت وكفيت » .

ومثل هذا في القرآن الكريم قوله تعالى : « وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما »

و « الخصم » مفرد لفظا ولكنه يدل على المفرد وعلى الجمع معنى ، ومثله كثير في تراثنا القديم كلفظ « الطفل » في قوله تعالى « أو الطفل الذين لم يظهروا على عورات النساء » وقوله « ثم نخرجكم طفلا » أي أطفالا ، وكقول السمهري بن بشر العجلي (من الشعراء اللصوص في بداية العصر الأموي)

ولو أن ليلَى أبصرتنيَ غُدوةً
وصحبيَ والصفُّ الذين أمارس
اذن لبكت ليلى عليَّ ، وأعولت
وما نالت الثوبَ الذي أنا لابس

ففي الآية وصف « الطفل » بالذين « وكذلك في البيت الأول هنا وصف « الصف » بالذين .

ويلاحظ هنا أن « المثنى » يكاد يكون خاصا بلغتنا العربية ، ولا يوجد في اللغات الأخرى غالبا الا المفرد والجمع ، ويلاحظ أيضا في الضمائر الشخصية للمتكلم أن احدها للمتكلم وحده (انا) والثاني للمتكلم مع غيره وهو (نحن) وهكذا بقية ضمائر التكلم وليس للاثنين المتكلمين ضمير خاص ، كما يلاحظ أن التقسيم الى مفرد ومثنى وجمع تقسيم نحوي ، ولكن التقسيم اللغوي مفرد وجمع ، أو مفرد وغير مفرد ، ويدخل في غير المفرد الاثنان والجمع .

للمتكلم مع غيره وهو (نحن) وليس للاثنين المتكلمين ضمير خاص .

ومن طريف الملاحظات في لغتنا بعامة قول العلامة ابن جنى « القوم (العرب) كانوا يعتبرون المعاني ، فاذا حصَّنوها تساهلوا في العبارة عنها » .

وقد وضحنا معاملة العرب للمثنى معاملة الجمع في بحثين سابقين في العربي (العدد ٢٠٠ص ٥٨ ـ ٥٩/ يولية سنة ١٩٧٥ ، والعدد ٢٠٩ ص ١١٨ ـ ١١٩/ ابريل سنة ١٩٧٦)

المتوفِّي والمتوفَّى صحيحان :

ومن الاستاذ ابراهيم عبدالكريم ناصر ، المحرر بجريدة الاهرام (القاهرة/ مصر) جاءنا بحث طويل في تصويب كلمة « المتوفِّي » (الفاعل) وصفا للميت ، كما أن « المتوفَّى » (المفعول) صواب ايضا ، وكانت العربي (العدد ٣٣٦) قد نشرت بحثا لغويا بعنوان « أخطاء شائعة » ذكر فيه كاتبه ان من الخطأ وصف الميت بأنه « المتوفِّي » (الفاعل) وان الصواب وصفه بأنه المتوفَّى (المفعول) ورأى الاستاذ ابراهيم هو الصحيح ، وتوضيح المسألة يظهر من ان الفعل « توفَّى » ينظر فيه الى ناحيتين :

يقال : « توفَّى الله فلانا » فالله هو المتوفِّي (الفاعل) ، وفلان هو المتوفَّى (المفعول)

ويقال : توفَّى فلانٌ عمره ، اي استوفاه ، فهنا فلان هو المتوفِّي اي المتوفِّي أجله (فاعل) والعمر هو المتوفَّى اي المستوفَى (المفعول) ، ومن هذا التوجيه يظهر أن الكلمتين ـ وصفا للميت ـ صواب . □

ش ع ر

جمال العربية

هكذا غنى الآباء

لواعج الحب

لابن الدُّمَيْنة

شاعر رقيق النسيب اشتهر بكنيته « ابن الدمينة » ، نسبة إلى أمه « الدمينة » وكانت من بنى سلول ، واسمه عبيد الله بن عبد الله بن عمرو بن مالك من بنى خثعم المشهورين بالبأس في الجاهلية ، وكانوا ينزلون في عصره جنوبى الحجاز مما يلى اليمن ، على طريق مكة ، عند بيشة ووادى تُربة (من بلاد عسير اليوم) ، وقد كانت قبيلتا أبيه وأمه من اليمن وقد عاشتا متجاورتين منذ الجاهلية الى أيام العباسيين .

كان الشاعر يعيش في أواخر الدولة الأموية ، وقد مات قتيلا نحو سنة ١٨٠هـ في عهد هارون الرشيد العباسى ، وكان من أجمل الرجال وأشدهم بأسا وأنفة وغيرة وأفصحهم لسانا مع حُسْن الحديث ، واللباقة في تصريفه ، مما جعله محببا إلى النساء ، وكان هو يحب الحديث إليهن وكان من شقائه أن اتهم امرأته بخيانته مع رجل من سلول فقتلها وقتل ابنته منها ، فاضطر إلى التوحش في البادية حذرا من الثأر ، وكان الناس في عهده يستحسنون شعره ويرددونه ، وكان معظمه في النسيب ، ولا سيما حبه « أميمة » التى بلغت من قلبه مالم تبلغه امرأة غيرها ممن أحبهن في فترات مختلفة ، وأكثر نسيبه فيها ، ولها فيه نسيب وقد تزوجها أخيرا ، ومات عنها .

وإذا ميزنا بين أنواع التّشبيب في الشعر وجدناها ثلاثة :

(١) النسيب ، وهو شعر الحب ، كما هو عند العذريين : جميل بثينة وكثير عزة ، ومجنون ليلى ، (٢) شعر الغزل ، وهو شعر المولعين بالنساء كافة أو طبقة منهن ، ومن هؤلاء : امرؤ القيس وخاله المهلهل بن ربيعة ، والأحوص وبشار (٣) التصابي ، وأصحابه يتظاهرون بالصبوة إلى النساء ويتحدثون بها ، وهو كثير في مقدمات القصائد التى تنظم في أغراض أخرى كالمدح والفخر ، كما هو كثير

في غير هذه القصائد .

وإذا تأملنا شعر ابن الدمينة في التشبيب وجدنا أنه يصدر عن قلب جرب الحب وكابد لواعجه كما تدلنا • أبياته هنا وكثير غيرها من شعره .

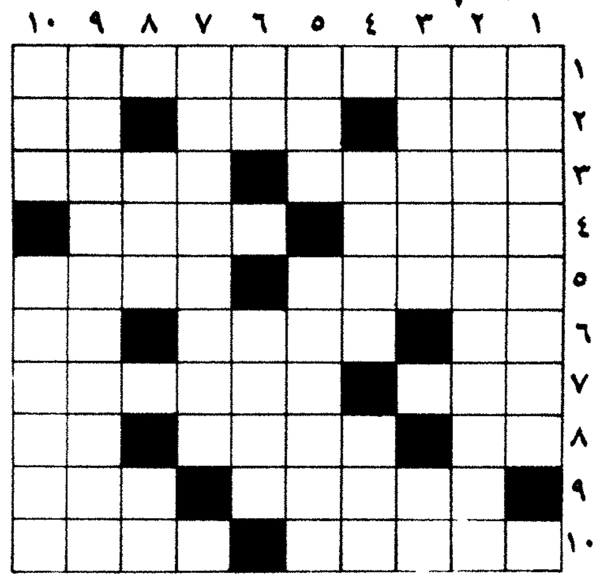
وقد نسبت هذه القصيدة إليه وإلى غيره ولا سيما « ابن الطثرية » ، ونرجح لأسبابنا أن صاحبها هو ابن « الدمينة » ، وقد آثرنا في اختيار أبياتها وترتيبها أشهر الروايات وآنسها ألفاظا .

للشاعر ديوان مطبوع أشرف على تحقيقه العلامة الجليل الأستاذ أحمد راتب النفاخ ، وكتب له مقدمة مطولة في حياة الشاعر،ومصادر ترجمته ومنهجه في التحقيق .

ألا ، يا صَبا نجدٍ ، متى هِجْتَ من نجد ؟ ... فقد زادَنى مَسْراكَ وَجْدا على وجْد
أإن هتفت ورقاءُ في رونقِ الضُّحى ... على فَنَنٍ غضِّ النبات من الرَّنْد (١)
بكيتَ كما يبكى الوليدُ ، ولم تكنْ ... جليدا ، وأبديت الذى لم يكنْ تُبْدِى ؟
ألا هل من البينْ المفرِّق من بُدٍّ ... وهل لِليالٍ قد تسلَفن من رَدٍّ ؟
وهل مِثْلُ أيّامٍ بِنَعْفِ سُوَيْقَةٍ ... رواجع أيام كما كنَّ بالسعْد ؟(٢)
وهلْ أَخواكَ اليومَ - إن قلتَ « عرِّجا ... على الأثْلِ من وَدَّان والمشربِ البرد»(٣)
مُقِيمان حتّى يقضيا من لُبانةٍ ... فَيَسْتَوْجِبَا أَجْرى ، وَيَسْتَكْمِلا حمدى ؟ (٤)
وإن لا فَسِيرا ، فالسّلام عليكما ... فما لكُما غَيِّى ، وما لكما رُشْدى
وَمَا بِيدىَّ اليومَ من حَبْلِىَ الذى ... أُنازَعُ من إرخائه ، لا ، ولا شدِّى
ولكنْ بِكَفَّىْ أمِّ عمرو ، فليتها ... إذا وَلِيَتْ رَهْناً تلى الرَّهْنَ بالقَصد•
ألاَ ، لَيْت شعرى ما الذى تُحْدِثنَّ لى ... نوَى غربة الدارِ المشِتَّةِ والبعد (٥)
نَوى أمِّ عمرو ، حيثُ تقتربُ النّوى ... بهَا ، ثمّ يخلُو الكاشِحُونَ بها بعدى ؟ (٦)
أتصرم للاتى الذين هم العِدا ... لتُشمتهمْ بِ ، أم تدومُ على وُدّى ؟ (٧)
وَظَنِّى بها ، والله،أن لن يَضِيرنى ... وُشاةٌ لَدَيْها لا يَضِيرونَها عِنْدى (٨)
وَقدْ زَعمُوا أنّ المُحِبَّ إذا دَنا ... يَملُّ ، وَأنّ النّأى يَشفِى من الوَجد (٩)
بِكُلٍّ تَداوَيْنا ، فَلَمْ يُشْفَ ما بِنَا ... عَلَى أنَّ قُرْبَ الدَّارِ خَيْرٌ مِنَ الْبُعْدِ
عَلَى أنَّ قربَ الدارِ ليسَ بنافعٍ ... إذا كان من تَهواهُ ليس بذى وُدّ
هَوَاىَ بهذا الغَوْرِ غوْرِ تِهامَةٍ ... وَلَيْس بهذا الحىِّ من مستوى نَجْد
فَوَالله رَبِّ البيتِ لا تَجِدِينَنى ... تَطَلَّبْتُ قَطْع الحبل منكِ عَلَى عَمْد
وَلاَ أشْترى أمرا يكون قطيعةً ... لِما بَيْننا ، حتّى أُغَيَّبَ في لحدى
فَمِنْ حُبِّها أحْبَبْتُ من لا يُحِبّنى ... وصانَعْتُ من قد كُنْتُ أُبْعِدُهُ جُهدى
ألاَ رُبَّما أهْدَى لِىَ الشَوْقَ والجوى ... عَلَى النَّأى منها ذُكرةٌ قلَّما تُجدى

(١) فنن : غصن (٢) نعف سويقة : موضع في اليمامة
(٣) عرجا عليه : ميلا اليه . الأثل : شجر . ودان : موضع بين مكة والمدينة
(٤) اللبانة : الحاجة (٥) نوى : فراق - المشتة : المفرقة (٦) الكاشح : العدو المضمر للبغض
(٧) الشماتة : الفرح بمصيبة العدو (٨) ضاره : آذاه (٩) النأي : البعد .

الكلمات المتقاطعة



يهدف هذا اللغز الى تسليتك وامتاعك بالاضافة إلى إثراء معلوماتك وربطك بتراثك الفكري والحضاري عن طريق البحث الجاد المثمر في المعاجم والموسوعات وغيرها من المراجع الهامة والمطلوب منك الاجابة على أسئلة هذه اللغز ومقارنتها بالحل الصحيح الذي سينشر في العدد القادم .

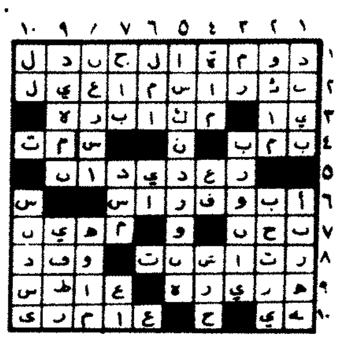
كلمات أفقية

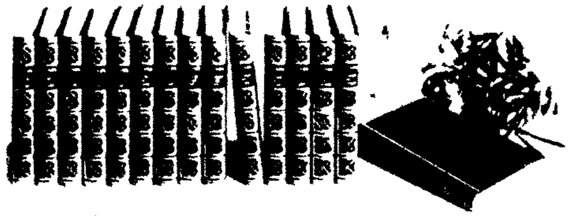
١ ـ فرعون اكتشفت مومياؤه حديثا
٢ ـ ينجب ، عطاء ، الثوب القديم
٣ ـ عكسها صلابة ، محترم
٤ ـ لمعان خفيف ، حيوان بحري لبون
٥ ـ سنافر موزعة ، رضاب موزعة
٦ ـ بمعنى إذا ، غافل ، الأمر من نام
٧ ـ شلن مقلوبة ، بمعنى عزّاب موزّعة
٨ ـ حرفان متشابهان ، غير عسكري ، تجدها في واحد
٩ ـ عكسها لاهوت ، امتلأ واحتشد
١٠ ـ يقال إنها أقدم مدينة ، سيد أو عبد

كلمات رأسية

١ ـ فاتح مغولي مسلم
٢ ـ روائي أمريكي حصل على جائزة نوبل عام ١٩٤٩
٣ ـ كتابه ، أعني
٤ ـ المرض الشديد ، أزال
٥ ـ لفت النظر ، مدّوا يد العوْن
٦ ـ (تناول) في صيغة الأمر ، أصبحت سهلة أو رخيصة
٧ ـ مؤرخ عربي صاحب « السلوك لمعرفة دول الملوك »
٨ ـ لَمع ، تجدها في صوت
٩ ـ رجل بشّر بنبوّة محمد (صلعم)
١٠ ـ صنو الشعْر ، كل ما أملك

حل مسابقة العدد الماضي مايو ١٩٨٧



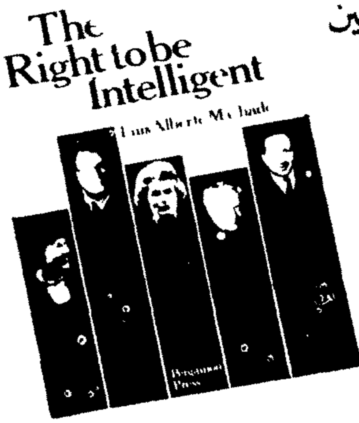


كتاب الشهر

تأليف : لويس البرتو ماتشادو

عرض وتقديم :

د. عادل عبد الكريم ياسين



من حقك أن تكون ذكياً !

هل الذكاء وراثي يتميز به عرق أو شعب بحكم عامل الوراثه فقط ، أم هو قدرة يمكن اكتسابها وتعلمها كما يتعلم الناس العلم والأدب والموسيقا ؟

للإجابة عن هذا السؤال الخالد صاغ المؤلف ما يمكن اعتباره بياناً حول الذكاء ، ضمنه في كتاب تقدم « العربي » عرضاً لما جاء فيه .

الذكاء كلمة سحرية براقة ، ومع ذلك ما تزال غامضة بما هو أضخم بكثير من سحرها وبريقها، وما يزال الجدل يحتدم حول هذا المفهوم . ومن القناعات الراسخة بين عدد من الناس تلك التي تقول بأن الذكاء وراثي أو « بيولوجي » .

وقد وصل هذا إلى صعيد الأمم لتعتقد أمة بأنها تتميز عن غيرها ، بسبب « صفات وراثية » خاصة.

ويدرك « ماتشادو » الفيلسوف الشاعر مدى صعوبة اقتلاع موروثة رسخت في الذهن حول وراثية الذكاء التي لها نتائج خطيرة على المجتمع ، فنجده يواصل ـ بإلحاح ـ دحض هذه الدعوى في سبيل بناء مجتمع جديد ذكي .وينطلق من القناعة بأنه يمكن لكل فرد أن يكون ذكياً ، وأن الذكاء مهارة قابلة للاكتساب ، ومن ثم فإن الذكاء حق طبيعي لكل فرد .

يقع الكتاب في ٦٣ صفحة ، ويشتمل على ٧٨ فقرة من شعر منثور أو نثر يحمل روح الشاعر الفيلسوف في طياته ، وهو يدافع عن القضية التي يعرضها بمنطق المحامي وحماسه ـ وهو محام فعلاً ـ يؤمن بعدالة ما يدعو اليه ، ويبدأ كتابه بتحديد صلب لموقفه الرافض لمقولة الذكاء الوراثي ، وذلك في الفقرة الأولى ، ونصها :

« الذكاء هبة الوراثة : هذا ما اعتقدته البشرية طوال الوقت ، إلا أن أحداً لم يستطع تقديم دليل علمي واحد يؤيد هذا الاعتقاد ، فإن جاء شخص ما وقدم في يوم ما مثل هذا الدليل فقد هذا الكتاب قيمته بصورة تامة » .

فإذا كانت نوازع البشر مقدرة منذ لحظة الولادة فما الذي يبقى للحرية ؟ وإذا كان الذكاء وراثياً فهل نستطيع أن نكون حقاً سادة أقدارنا ؟ وليس من معنى لوجود رجل حر إذا كان الذكاء فطرياً ، وإذا كان الناس مختلفين جذرياً في ذكائهم فإنه لن يستقيم أي معنى للمطالبة « بالديمقراطية » ، وإذا كان الناس غير متساوين في عنصر أساسي من التكوين الإنساني بفعل الوراثة فإنه لا يسمح أي منطق بأن تكون لهم أصوات متساوية ، فإذا كانت المساواة فإن الديمقراطية مستحيلة كذلك .

وينتقل « ماتشادو » لتنفيذ هذه الآراء والنتائج المترتبة عليها ليقول بأن التساوي بين الناس لا يعني تماثل الكيانات العضوية لهم ، لكن ذلك يعني بأن الإمكانيات متماثلة ، فما دام البشر بشراً فلا بد أن تتماثل إمكانياتهم ، أما إذا كانوا غير متساوين ضمن هذا المفهوم فيتعين أن يكون هناك حق للبعض لأن يكون أسعد من الآخرين ، يفعل ما يستطيعه لإشباع ذلك الحق حتى لو كان على حساب الباقين الذين يختلفون عنه في الإمكانيات . ولقد حدث هذا على الدوام على مر العصور ، بل إن أجزاء كبيرة من جدران قلعة التاريخ قد شيدت بطين ماؤه من عرق ذلك الاعتقاد ومن دمه .

ويعود « ماتشادو » إلى العلم لدحض هذه الفرضيات ، إذ يتزايد الوضوح في العلوم « البيولوجية » على عدم وجود رجال متفوقين ، فلم يستطع أحد تقديم دليل علمي يقول بأن جنساً ما أكمل من جنس آخر . « فالبيولوجيا » تسير خطوة خطوة لتدمير العناصر التي قامت عليها ادعاءات أي نمط عنصري ، ومع أن العلم قد أدان العنصرية مراراً وتكراراً إلا أنها تعود على الدوام لترفع رأسها من جديد ، ومن ثم فهو يرى في الاعتقاد بالذكاء الوراثي « جرعة عنصرية » ، إذ سيقود ذلك حتماً إلى الاعتقاد بتفوق جنس على آخر ، ومثل هذا التفوق ينسجم مع تدبير الطبيعة ، فتسيء البشرية لنفسها بإنجاب أفراد أقل ذكاء ، وسيقود هذا الأمر إلى نوع من « العنصرية الاجتماعية » التي يعتبرها المؤلف أخطر من العنصرية العرقية

قهر التعصب :

فإذا أردنا أن نقهر التعصب وجب أن لا نقبل بفرضية أن الطبيعة هي أول من يتعصب ، وذلك بجعلها هي المسئولة الأولى عن اختلاف الناس في ذكائهم ، إذ سيكون الظلم الطبيعي بديلاً للظلم الاجتماعي ، ومن ثم فإن الخطوة الأولى في قهر الظلم تبدأ بالإنسان نفسه ، فهو لم يتغير « بيولوجياً » منذ أكثر من أربعين ألف عام ، ولم يتغير دماغه منذ نهاية العصر الحجري القديم ، وبالدماغ نفسه تزايد الرجال المبدعون كماً ونوعاً ، وهنا يؤكد « ماتشادو » على التربية :

فمن الذي ينتج هؤلاء « الكرموسومات » أم التربية ؟ لقد ظل تطور الإنسان ثابتاً على الدوام ، وظل الإنسان ينمو ، وليست العوامل الوراثية هي التي تفعل ذلك ، فدماغ الإنسان باق كما هو ، لكن حياة الإنسان هي التي طرأ عليها تغير جذري وأسباب هذا التغير ليست « بيولوجية » ، إذن فالتربية هي المفتاح ، والذي تغير وكان سبباً في هذا التغير هو التربية لا الدماغ ، فلقد ظل الدماغ والجسم على حالها على الدوام ، لكن الإنسان استمر في تطوره .

فالعملية التربوية ثورة الإنسان بفعل الحاجة ، إنها انتصار الثقافة على « البيولوجيا » .

تعلم الحريـــة :

العقلانية ليست ضرباً من الذكاء البسيط ، بل هي ذكاء حر ، في كائن حر ، ويسعى ذكاء الإنسان ليظل حراً ، فالخاصة الرئيسية للإنسانية هي الحرية ، وليست الذكاء ، وهذا هو الاختلاف الجوهري بين الإنسان والآلة والحيوان ، فإذا انعدمت حرية الإنسان فلن يختلف عن أي منها ، ولعله يكون أكثر ذكاء فقط ، فالحرية مقصورة على الإنسان ، وهي الحقيقة التي تجعله عظيماً ، فهي جوهره الخاص .

والحرية قابلة للتعلم ، فالحرية الحقيقية تكمن في وضع الإنسان لنفسه .

وفي الحقيقة أننا ما نزال عاجزين عن فهم الكيفية التي وجدت فيها العبودية ، لتبقى مقبولة إلى عهد قريب ، وإذا كان الأمر يبدو مستهجناً وهو للأسف كذلك ، فلم يتضح لأساقفة المسيحية كيف أن إله العدل يجعل الناس غير متساوين ، ولم يقم الصراع ضد الظلم على أساس من تطابق الناس ، بل قام على أساس أنه ليس هناك إنسان أرفع من إنسان ، فاذا اختلف الناس بسبب الفروق البدنية أو البيئية فلا يعني ذلك أن هناك إنساناً « أوضع » من آخر ، وليست الطبيعة هي الإثم ، فالإثم يكمن في الناس أنفسهم وبمن أشرفوا على تربيتهم ، فالحياة ـ وليست الطبيعة ـ هي التي تنتج الفروق الاجتماعية بين الناس .

ويطرح « ماتشادو » السؤال : كيف نتجنب فرص الاستغلال ؟ ويجيب عنه بأن التربية هي المفتاح السحري لتحقيق الذكاء الجماعي للأمة ، إلا أنه يلقي ضوءاً ساطعاً على موروثة تربوية ، تعيق مثل هذا التقدم : « لقد شيد النظام التربوي حتى اليوم على افتراض أنه لا يمكن تعليم الكائن الإنساني الذكاء بطريقة محددة ، كل بنية اجتماعية على مثيل هذا الأساس .

وفي الحقيقة أن الأذكياء قلة وإذا لم نعدل في هذا الواقع فإنه لن يطاق انفاق المصادر الضرورية لتقديم فرص تربوية متساوية للمواطنين قاطبة ، وطبقاً للنظام الحالي فإن درجة ذكاء الطالب تبقى راسخة الاختلاف ، ومع ذلك فإن نسق الأسلوب بقي قائماً للكل .

من يستحق التربية :

وإذا كان الافتراض المسبق صحيحاً فإن مثل هذه العملية ستكون خرقاء ، ولن يكون هناك مبرر للنفقات المتماثلة في التربية للطفل غير القادر على الإفادة من هذا الاستثمار ، وفي التربية للطفل الذي له إنتاجية عالية مضمونة مسبقاً ، ويبدو الأمر في

النهاية وكأن من ولدوا للإفادة من التربية هم الذين يستحقونها بصفة خاصة » .

وهو يرى في النظام التربوي القائم نظاماً خاملاً ، لا يوقظ أي نوع من الفضول ، أو لا يقدر على إشباعه ، ومع أن هناك دولاً رفيعة في المستوى الثقافي فإنها تتردى تحت زوبعة من العنف ، والبنى التربوية هناك مسئولة عن ذلك .

لقد تعلم « اينشتاين » الذكاء بالطريقة التي بمقدور المرء أن يتعلم فيها العزف على البيانو ، أي بالأذن ، « فأين سيكسون « اينيشتاين » ، أو أي شخص آخر ، لو أنه تعلم الذكاء نظامياً في مجرى تثقيفه الكلي ؟

بدلاً من أن تهتم الدولة بشؤون الأمن والكبت عليها أن تنزع فتيل العدوان بالعمل على رفع مستوى ذكاء الإنسان بالتطوير التربوي ، لكي يشاد المجتمع على أساس ما يكونه الإنسان حقاً ، ويتعين على السياسي الاقتراب من العلم من أجل المبادىء الأساسية للتوجه الاجتماعي ، فالسياسة تصبح مستحيلة دون مشاركة أساسية من العقل « الألكتروني » ، وأي جهل من السياسيين بتقدم العلم ليس إلا ضرباً من الغباء .

فالمسألة إذن سياسية ، ولا مفر من إقناع الدولة بالواجب الذي لا فكاك لها منه ، وهو الاضطلاع بمسئوليتها في الإصلاح العاجل للنظام بانتشاله من القاع ، « والمهمة الأساسية للدولة هي التربية ، والحكم هو التربية ، وليس بالمستطاع أن تكون هناك مهمة للحكومة أعظم شأناً من الكفاح لرفع مستوى ذكاء الشعب ، ومن ثم فإنه يتوجب أن يكون تعلم الذكاء هو شعارها اليوم ، ويتعين أن تكون الأفضلية الأولى لكل محرك اجتماعي هو تحقيق هذا الهدف ، أي الزيادة الجوهرية في معامل ذكاء الشعب ، فإذا توفر الذكاء للقلة كان ذلك أشد أدوات الابتزاز .

ويتساءل « ماتشادو » عن أسباب تفوق من يدرسون الرياضيات في بوسطن على أقرانهم ممن يدرسونها في يونيسايرس والقاهرة ، كما يتساءل عن الأسباب التي تجعل عدداً غفيراً ممن تشكلوا في الجامعات المتطورة أكثر إسهاماً في التطور العلمي ، ويجيب عن ذلك بأن الموقف ثمرة لعملية مسبقة مبدعة في المجتمع المتطور ، « فليس كل اختراع أو اكتشاف إلا نتيجة لدراسة تأملية لفرد أو مجموعة من الأفراد الذين لهم قدرة على الإبداع ، وليست هناك استثناءات ، ولا مفر من الحقيقة » .

أما السر الحقيقي فإنه يكمن في التربية ، فالذين أبدعو قد تعلموا مسبقاً كيف يفكرون ، وهنا مكمن الإبداع » .

ويفترض « ماتشادو » أنه لا يوجد شعب أذكى من شعب آخر ، ولا يوجد شعب غير مؤهل للإبداع ، وكل ما في الأمر هو أن هناك شعوباً لم يتح لها تطوير ملكاتها العقلية ، ومع ذلك فإن عليها أن تفخر بهويتها ، وأن تحافظ عليها ، وأن ترفض التمتع بثمار العلم دون مساهمة فيه ، « ولكي يتوفر هذا ، فإنه يتعذر على أي شخص التخلف عن الإسهام في خطة تطوير الفكر » ، ويتوجب على الدول المتخلفة أن لا تستسلم فتتخلف عن مسيرة العلم والتقنية ، فالقرار قرارهم وحدهم ، فمن الممكن التمتع ـ بطريقة أو بأخرى ـ بثمار العلم دون مشاركة في إبداعه ، إلا أن في هذا مدعاة للخجل .

ويلح « ماتشادو » على الدولة لكي تتدخل ، لمنع استغلال القوي للضعيف ، وتمتنع عن استغلالها للمجتمع إذ أنها أقوى من الجميع ، « ونظرياً فإنه يمكن حجب الاستغلال عن الآخرين ، لكن كيف يمكننا أن نتحكم بذلك إذا ما كانت سلطة أي حاكم

حالي تفوق حتى تلك التي كانت « للويس » الرابع عشر ؟ » ، ولا سبيل لذلك إلا بالعمل على رفع مستوى الذكاء الجماعي ، لتخليص الأفراد من كل أنواع الاستغلال ، فالذكاء الجماعي يفرض أخلاقية ومواقف شريفة على الدوام ، ولا يمكن وصف حكومة « بالديموقراطية » إلا إذا سارت في هذا الاتجاه .

الذي يفكر والذي لا يفكر :

ولعلنا نفهم جيداً كيف يرغب بعض القادة في إبقاء شعوبهم متخلفة الذكاء ، حتى لو أبدعت في مجال آخر كالاقتصاد مثلاً ، ولا عجب أن هتلر قد قال بأنه « لمن دواعي الحظ أن تكون الجماهير لا تفكر ، وإلا لاختفت الانسانية من الوجود » . ولسنا ندري من الذي يفعل ذلك أهي الشعوب التي لا تفكر ، أم المستبدون الذين يصرون على احتكار التفكير .

فالحقوق المتساوية التي يولد بها الناس شروط أساسية للمثل « الديموقراطية » السامية : ولا معنى للتساوي دون أن يوجد ذلك التساوي عملياً ، فالحرية كانت مثلاً أسمى في التاريخ ، ومع ذلك فقد كانت عبئاً لا يطيقه كل الناس ، ولكل امريء الحق في أن يكون حراً أو لا يكون كذلك ، ولكن « ما نفع حرية الفكر إذا لم يتيسر التعليم للناس لإنتاج أفكارهم الخاصة ؟

ويجب لحرية التفكير منح فرص التفكير ، فباستخدام الذكاء نرفع من مستوى إعداد المرء للحرية ، والحرية هي كل ما هو ضروري ، ونحن نملك كل شيء إذا ما بقيت لنا حرية . أما الذكاء فهو أداة الحرية ، بل إنه السبب الوحيد لوجودها .

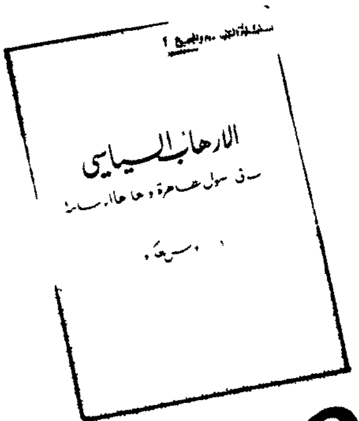
ويؤمن « ماتشادو » بالدور الذي يجب أن يلعبه الشعب لتأكيد حريته ، لأن الشعوب كافحت من أجل الحرية والعدل وما تزال كذلك « فلا حدود لطاقات الناس في العمل من أجل التحولات العظيمة ، كما أن كفاح من يسعون لتحقيق المجتمع الأفضل لن يكون دون جدوى ، وإلا خلا الكفاح من المعنى».

« والتطوير بوعي وتنسيق لذكاء الأفراد في كل الأمم يعني بلوغ الحقوق التي تقرها كل المبادىء المعلنة رسمياً ، وتنفيذ تلك المسلمات تحت أي لون « أيديولوجي » يعني الاعتراف بالحق في تطوير الهوية الشخصية ، وهذا هو الطريق إلى الضروري ، بل إنه الانبثاق العفوي (للرجل الجديد) الذي طال البحث عنه في الدروب المسدودة ، وهو الحلم بمجتمع عادل يوقظ ضمير الشعب ويجعله حقيقة ملموسة .

هذا هو ما يمكننا أن نطلق عليه « مانيفستو » ، أو « بيان الذكاء لماتشادو » ، وقد كان يحلم بأن بلاده ستتصدر العالم في الذكاء إذا ما قدر لبرنامجه الطموح أن يحقق أهدافه .

وأخيراً يتعين علينا إعادة النظر بصورة جذرية في النظام التربوي إذا كنا نرغب ـ حقاً ـ ببناء مجتمع أكثر منعة ، لمجابهة تحديات المستقبل ، كما يتعين علينا بأن يكون « برنامج تعليم التفكير » في قمة أولوياتنا . إننا ندعو للإفادة من « برامج تعليم التفكير » أو تعليم الذكاء ـ كما يقول ماتشادو ـ كتلك البرامج المتوفرة في فنزويلا وكمبردج وهارفارد وغيرها ، وإلا فإن الهوة ستزداد متسارعة بيننا وبين الأمم الطموحة ، والمستقبل لا يحمل في طياته مكاناً لمن يتخلف ذكاؤهم .

ولقد خطت كلية الطب في جامعة الكويت ـ ما أراه فالا حسناً ـ في تنظيمها لمشروع تخطيط المنهج في يونيو ١٩٨٦ ، إذ لاحظت اهتمام المشروع بطريقة بناء التفكير . فهل تعمم مثل هذه الخطوة لبناء المعلم الذي يفكر جيداً ، والطالب الذي يفكر جيداً ، « لنعيش في قلب العصر وليس على جوانبه » . □



من المكتبة العربية

الإرهاب السياسي

بحث في أصول الظاهرة وأبعادها الانسانية

تأليف : د. أدونيس العكره

عرض وتعليق : محمد وليد جداع

الارهاب اليوم حديث الناس في كل مكان ، حديث الحكومات والمنظمات ، وحديث الارهابيين ، وحديث من يقع عليهم الارهاب . . لكن الارهاب ، أو الارهاب السياسي ، يستأهل من البحث أكثر من مجرد التحليلات الصحفية والأخبار . . هو ظاهرة إنسانية قائمة منذ زمن بعيد . . وجديرة بأن يخصص لها باحث معروف ، مثل الدكتور أدونيس العكره ، كتاباً من حجم كبير .

الارهاب يحمل عنفاً ، بل قد لا يفرق الناس بينه وبين العنف ، وهما مرتبطان في النهاية بمعنى القوة ، ولذا فإن الكاتب يبدأ في تحليل علاقة القوة بالأفكار ، فيقول : إن مشكلة العالم الحديث ؛ أنه يرفض الاعتراف بحقائق اجتماعية سياسية ، ولا يقرُّ بها إلا بلغة القوة . ولأن الحقيقة الاجتماعية ـ السياسية تتجسد في مجموعة من الناس تطالب بها ، فلابد لتحقيقها من ضربة قوية ضد الرافضين لها . . وهكذا فالوجود السياسي ، يفترض وجود نزاع من شأنه أن يخلق حالة مستمرة من العنف ، تغري الدول القوية فتستعمله علناً أو خفية ، من أجل ترسيخ سيطرتها ، وتوسيعها على الكيانات السياسية الأقل نمواً وتقدماً . فالدول القوية وصلت أصلاً الى ما هي عليه باستعمالها للعنف ، وتنظيمها له ، وجعله يشيع ويمتد في طرق التفكير والعمل ، والانتاج ، والمؤسسات .

فالعنف السياسي أضحى جزءاً لا يتجزأ من الاستراتيجية السياسية التي تمارسها الحكومات ، ليس ضد العدو الخارجي فحسب ، وإنما في مجريات السياسة الداخلية ، وضمن الكيان السياسي الواحد ، حيث تحتكره الدولة ، وتجعله إجراء قانونياً شرعياً منظماً ، يكسبه صفة الضرورة في بعض الأحيان .

ولكن الكاتب يشك في فعالية العنف ، فإذا نجح العنف أحياناً في حل المشكلات الاجتماعية والسياسية المطروحة ، وذلك نظراً لفعاليته

الفورية ، فهذا لا يعني أنه قد نجح بشكل نهائي ، بل لابد للعنف أن يزيد في حدة الظروف السياسية ، والأوضاع الاجتماعية العامة . . فالعنف في النهاية يدعو للعنف المضاد .

ويميز المؤلف بين الارهاب السياسي ، والارهاب الفردي المتعلق بالحق العام . فالارهاب السياسي يرتكز على معطيات اجتماعية وسياسية ، ويرمي الى بلوغ هدف سياسي يتعلق بحياة الجماعة أو المجتمع ، بينما ينطلق الثاني من دوافع فردية شخصية لتحقيق الثروة أو الانتقام ، وهو عمل إجرامي لا مكان له في هذه الدراسة .

ولا يريد الباحث أن يكون حكماً على الارهاب السياسي ، مؤيداً أو معارضاً . . بل يهدف الى استخراج المعنى السياسي من الأحداث التاريخية ، وربطها منطقياً بالواقع الاجتماعي والسياسي الذي ينشأ فيه الارهاب . ومنهجه هو اعتبار الارهاب السياسي ظاهرة من الظواهر السياسية ، بطريقة غير منحازة الى التأييد أو المعارضة ، دون أن يعني ذلك موقف اللامبالاة .

خصوصيات الارهاب السياسي

وللارهاب السياسي عند الكاتب خصوصيات ، فهو ليس حرباً بالمعنى الشائع ، حيث للحرب قواعد وتقنيات ، وهو يختلف عن حرب العصابات التي يفترض تمتعها بالتأييد الشعبي . والارهاب ليس الاغتيال فقط ، وإن كان الاغتيال احدى وسائله . والارهاب عموماً ، سواء كان ارهاب ضعفاء أو أقوياء ، يتضمن استعمال العنف ، تهديداً أو تنفيذاً ، ويتميز بتضمنه عنصر الترهيب والتخويف ، فالسلاح الفعال الذي يتميز به الارهاب هو السلاح النفسي ، وحالة الرعب التي يصنعها ، بالرغم من الاخفاق العملياتي أحياناً .

يقدم الكاتب عدداً لا بأس به من التعريفات المتداولة للارهاب السياسي ولكنه يعتبر أن تقديم تعريف نهائي ليس مستطاعاً ؛ لاحتمال ظهور عناصر وتفصيلات لم يستطع التعريف أن يشملها . إلا أنه يقترح أخيراً التعريف التالي : [الارهاب السياسي منهج نزاع عنيف ، يرمي الفاعل بمقتضاه ، وبواسطة الرهبة الناجمة عن العنف ، إلى تغليب رأيه السياسي ، أو إلى فرض سيطرته على المجتمع أو الدولة ، من أجل المحافظة على علاقات اجتماعية عامة ، أو من أجل تغييرها ، أو تدميرها] .

يرى الكاتب أن الارهاب يندرج في مجال الصراع السياسي ، على اعتباره فعلاً عنيفاً ، يهدف إلى إرغام العدو ؛ على تحقيق المطالب التي يرغب الفاعل في تحقيقها ، وهو حالة خاصة من حالات الصراع . إنه نوعية قصوى من اللجوء إلى العنف . فهو ـ عند مسوغيه ـ آخر الدواء . والارهاب لا يتخذ صفة (السياسي) إلا عندما يكون له معنى معين في مجال السياسة . فهو لا يتوقف عند حد القتل ، ولا يقتصر هدفه على ذلك . إنه حاسم ومثير للغاية ، وهذا ما يسهل إمكانية استغلاله في حقل السياسة . . إنه وسيلة بامكانها أن تلعب دوراً مهماً في إيجاد مخرج للنزاعات السياسية القائمة على العنف . وهو يقدم عنصراً مسانداً لمجموع إجراءات الصراع ضد العدو السياسي .

فالارهاب السياسي عند الكاتب ، لا يرمي في الواقع إلى بلوغ الهدف النهائي للسياسة ، بل يرمي إلى ايجاد مخرج لنزاع قائم بين طرفين ، لم يستطع أي منها أن يجد هذا المخرج ، بالوسائل والاجراءات القانونية والعادية ، ودوره هو متابعة الصراع السياسي بوسائل أكثر فعالية . بل إنه في بعض الأحيان ، يتبنى وحده مهمة القيام بمقتضيات الصراع ضد العدو السياسي . ويلاحظ الكاتب (ميزة جوهرية) للارهاب ، فهو إجراء خاص استثنائي ، يدخل في مجال السياسة من خارج قواعدها وأصولها العادية .

للارهاب السياسي أسباب يدعوها الكاتب (عينية مباشرة) ، أولها : إرهاب الدولة ، فهو ـ

نظراً لشراسته ، وتأثيره الواضح ـ يشكل السبب الرئيسي لنشوء العنف عند الأفراد ، وبالتالي لنشوء إرهاب (الضعفاء) . . فطالما أن هناك حكومات قادرة على التفرغ لممارسة الارهاب ، فإن الارهاب المضاد يبقى الرد الوحيد الممكن من قبل ضحاياها . وهناك أيضاً الاستعمار ، فالحال أننا نعاين أحياناً أشكالا عدة مختلفة من الاستعمار ، علنية أحياناً ومستترة أحياناً أخرى ، لا ينتج عنها سوى التنكر لحق الشعوب الشرعي ، في تقرير مصيرها واستقلالها ، وفي التنكر لحقوق الانسان ، وحرياته الأساسية . فالمستعمِر ، ثم المستعمَر ، يمارسان الارهاب ، مع فارق أن الأول يهدف إلى تحقيق مصالحه على حساب الآخرين ، بينما الثاني يهدف إلى استعادة حقوقه الحياتية غير القابلة للتنازل عنها . . ولعل إعلان الجزائريين في مواجهتهم للفرنسيين ، يعبر عن هذا المعنى أوضح تعبير : « إن الحصول على بندقية ، والانضمام إلى جيش التحرير الوطني ، هما الحظ الوحيد الذي يبقى للجزائري في إعطاء معنى لموته . . لقد أصبحت الحياة منذ زمن بعيد ، فارغة من معناها ، بسبب السيطرة الفرنسية » .

ومن الأسباب أيضاً ؛ الأنظمة السياسية القائمة على الدكتاتورية من جميع وجوهها ، ولا سيما الدكتاتورية العسكرية ، التي هي الشكل الحديث المتطور للاستبداد والطغيان السياسيين . والأنظمة هذه ـ مُعلنةً الديمقراطية أو متسترة بردائها ـ تضرب المعارضة السياسية بعنف ، بحيث لا يبقى أمام الشعب أية إمكانية حرة للاختيار . . وينشأ ثَمَّ العنف ، أو الارهاب المضاد للارهاب الحكومي .

والأسباب المباشرة هذه ، إنما تحدد الظروف الموضوعية ، التي تثير الدوافع التحتية الكامنة ، وتقودها إلى تفجير الارهاب ، وإعطائه معناه السياسي والأخلاقي . ولكن هناك بعداً أعمق للارهاب السياسي ، يشرحه الكاتب بالحديث عن : الارادة في اكتساب قدرة سياسية ، تستطيع تغليب وجهة نظر سياسية وفرضها ، وهذا يصح على مستوى الحكام ، وعلى مستوى المحكومين ، الذين يسعون باسم حقوقهم التي يعتبرونها شرعية ، إلى تحقيق قدرة سياسية ، تتيح لحقوقهم إمكانية صيرورتها شرعية قانونية .

في جوَّانية الارهاب

يبدو ـ للوهلة الأولى ـ لمن يراقب الأعمال الارهابية التي تحصل اليوم ، في مختلف أنحاء العالم ، أن طبيعة هذه الظاهرة تختلف اختلافاً جذرياً ، عن المناخ الحضاري الذي نشأت وتطورت فيه . وهذا الانطباع لا يخلو في رأي الكاتب من بعض الأسس والمسوغات ؛ ذلك أنه في حين تتجه حضارة اليوم نحو تحسين الحياة الانسانية ، وتخفيف وطأتها على الفرد والجماعة معاً ، يصبح من البديهي أن يعتبر غريباً ، كل ما يسيء إلى هذا التطور ، وأن يواجه على اعتباره عائقاً خارجياً طارئاً ، يجب التخلص منه بكل الوسائل . . إن الكاتب يرى أنه من خلال نظرة شاملة إلى مسيرة الحضارة الطويلة ، يظهر واضحاً أن الحضارة تنجب حُفَّار قبرها بنفسها !

إن موضع القلب من مسألة الارهاب السياسي ، يبرز لنا بشكل حاد ، في ارهاب الضعفاء ، أي الشعوب والأقليات المضطهدة والمقهورة . فهؤلاء لا يملكون وسائل القوة والسيطرة ، كما يملكها الأقوياء بمؤسساتهم وقواهم العسكرية . ولكنهم يملكون بالمقابل ؛ قضية يعتبرونها عادلة ، وجديرة بالدفاع عنها ، عن طريق الكفاح المسلح ، وهو كفاح شرعي .

ففي مناخ الارهاب ، حيث حرية الأقليات والشعوب المتمردة مدجنة مقهورة ، وحقوقها في الحياة السياسية الكاملة ، وفي نمو شخصيتها المعنوية والاجتماعية ـ على مستوى المواطنية ـ مهضومة مطموسة ، وحيث يفرض الأقوياء نظاماً يجعلون فيه قوانين وضعية ، تجعل المخالف لها مجرماً خارجاً عن القانون والنظام العام . . في هذا الوضع ، يجد

الضعفاء أنفسهم مضطرين لايجاد منطلقات وقوانين خاصة بهم ، يتبعونها من أجل تحقيق عدالة ، هم يريدونها ويرتضونها .

والكاتب الدكتور أدونيس العكرة يبدي تفهماً واضحاً ، وتعاطفاً ، مع ارهاب (الضعفاء) . .

ويقول : إن ما نراه (لا عقلانية) في الفعل السياسي عند الضعفاء ، هو المميزات التي يتفرد بها الارهاب الذي يقوم به الضعفاء . . هذا الارهاب الذي يفعل كل شيء ، ولا يتوانى عن أي شيء ، من أجل انتصار قضيته ، إذ ما حيلة المستعبد عندما يصار إلى اتفاق عام ـ خفي وعلني ـ على استعباده ؟ ولكن يجب أن يفهم أن الارهاب لا يخلق القضايا العادلة ، بل القضايا العادلة هي التي تقود إلى الارهاب ، عندما تعلن بقية الوسائل عن إفلاسها وعدم جدواها .

وإنه ، في عالم لا تجد فيه الجماعات مكاناً لقيمها ، وحرياتها ، وحقوقها المشروعة في الأرض والانتماء وتقرير المصير ، والحياة السياسية الكاملة ؛ لا يسعها إلا أن تجد في قضيتها الحقيقة المطلقة ، فتنقاد إلى استعمال الارهاب ، كحل أخير تلوح فيه بوارق الأمل .

ويمضي الكاتب في التفصيل وتحليل الارهاب عند (الضعفاء) . . مناقشاً مسألة الهوية ، وما تفرضه من سلوك . . فالهوية تحتل المرتبة الأولى في لائحة مطالب الشعوب والجماعات ، إذ لا شيء يغني الانسان الفرد ، عن هاجس السعي إلى تحقيق وجوده الجماعي . فالهوية تشكل بحد ذاتها ، دافعاً رئيسيا يدعو إلى النضال بعنف من أجل تحقيقها ، أو المحافظة عليها . . فمن أجل الهوية ، تصبح أعمال العنف ، ليست مسوغة قانوناً وعرفاً وأخلاقاً فحسب ، بل تصبح حقاً طبيعياً لا يمكن التنازل عنه . وبقدر ما تتهدد الهوية ، يكون العنف أشرس ، وأكثر جنوناً ولا عقلانية .

أخلاقية الارهاب السياسي

إنه بسبب القضية التي يحملها الارهاب السياسي ، المتمثلة بتقويض ما يعتبره مصدر الشرور وتدميره تدميراً كاملاً ؛ يستحيل فهم موقف الارهاب بالنسبة للأخلاق المجردة ، المبنية على الخير أو الشر ، إذ ليس بإمكان هذه الأخلاق أن تسوغ العنف ، وإلا وقعت في التناقض . إلا أن الارهاب من شأنه أن يستعيد لنفسه بعض المدلولات الأخلاقية ، بسبب القضية التي يحملها وينقل الكاتب عن روبسبير وتروتسكي رأيهما في أن الهدف حين يكون خيرا أخلاقياً ، فإن الوسيلة تكتسب بعداً أخلاقياً ، بفعل كونها مرتبطة جوهرياً وعملياً بهدف خيِّر .

وعلى صعيد إرهاب الضعفاء ، تظهر هذه الناحية بشكل أكثر إثارة وحدة . . فالحياة السياسية الحرة العامة ، تأتي بالنسبة إلى الضعفاء ، قبل الأخلاق العامة . فأخلاقية الضعفاء تقوم بالأساس على البحث عن هويتهم بجميع الوسائل الفعالة . كما أنه ليست أخلاق الآخرين هي التي تحدد لهم قضيتهم ، بل إن قضيتهم هي التي تملي عليهم أخلاقها . وإذا لم يكن إنقاذ الحرية بجميع الوسائل الممكنة ، ضرورة منطقية ، فهو على كل حال واجب أخلاقي .

ويتراجع الكاتب عن هذا الحماس قليلاً ، ويقول : إن (المناقضة) بين العنف والأخلاق لا يمكن تجاوزها ، ولذا فلابد من تحاشي الموازنة بين أخلاقية الارهاب السياسي والأخلاق المجردة . . ويبقى الارهاب وسيلة ، ينظر إليها من ناحية فعاليتها ، وليس من ناحية أخلاقيتها .

بل يتراجع الكاتب أكثر قليلاً حين يقول : بينما ينتهي إرهاب الأقوياء ، إلى نقض مبادئه وقيمه وأخلاقياته ، بسبب مبدأ الاتهام العام ، فإن إرهاب الضعفاء يفقد قيمه وينقض أخلاقياته ، بسبب مبدأ عدم التمييز بين الأهداف ، أو بسبب مبدأ الضربة العمياء . □

مكتبة العربي

مختارات

الكتاب : تراث البادية

المؤلف : مجموعة من الباحثين باشراف : ألطاف الصباح

تقديم : د . أحمد أبوزيد

الناشر : مطابع كويت تايمز التجارية ـ الكويت

عدد الصفحات : ٢١٤ من القطع الكبير

سنة النشر : ١٩٨٧

هذا الكتاب المتخصص هو حصيلة جهد جماعي على أكثر من مستوى . فهو يضم بحوثا تتناول جوانب مختلفة من حياة البادية ، ألقيت في ندوة نظمها بيت السدو في الكويت بالتعاون مع جامعة الكويت ، بهدف التعريف العلمي بتراث البادية الذي ظل الى وقت قريب مرتبطا بانطباعات الرحالين الأجانب الذين فتنهم جو الصحراء المترامي .

كما ضم الكتاب الذي قدم له الدكتور أحمد أبوزيد بيليوغرافيا مختارة عن البدو تعتبر دليلاً مفيدا للقارىء العربي والباحث في هذا المجال .

■■

الكتاب / لعبة النسيان (رواية)

المؤلف / محمد برادة

عدد الصفحات / ١٤٩ صفحة

سنة النشر / ١٩٨٧م

الناشر / دار الأمان ـ الرباط ـ المغرب

خلفية رواية الناقد المغربي محمد برادة الجديدة هي مدينتا فاس والرباط ، أما حيزها الزمني فهو المغرب ما بعد الحرب العالمية الثانية ، ويمتد هذا الفضاء إلى الفترة الراهنة .

الشخصية الرئيسية في هذه الرواية هي « الهادي » ، ويمكن استبدال هذا الاسم « بالدليل » ، أو « الزعيم » ، حسب التسميات الراهنة ، ويوحي اسم « الطايع » شقيق الهادي بدلالات مناقضة ، كالخضوع والتبعية ، وفي آخر الرواية ينجب « الطايع » شخصية متمردة هي ابنه « فتاح » ، وتنتهي الرواية باعتقال « فتاح » من أجل أفكاره .

تحتل الأم في رواية « برادة » مكانة مركزية ، والاحالة على الأم ضمن الرواية متواترة ، إلى درجة يحق لنا معها أن نتساءل عما إذا لم تكن تمثل الركيزة التي تزود العالم والموجودات بالتوازن ؟ وينتقي الكاتب شخوص روايته من العالم الذي ينهار ، والذي تنتشل الرواية أشلاءه من تراب النسيان ، فمحمد برادة يفتح هنا باب الذاكرة ، فيعود السرد ، وتتابع الصور ، كما في الشعر ، وعندئذ يستجيب البناء الروائي لفضاء فاس .

■■

الكتاب : بداية الطباعة العربية في استانبول وبلاد الشام .

الكاتب : د . وحيد قدورة

الناشر : المعهد الأعلى للتوثيق ـ تونس

سنة النشر : ١٩٨٥

الحجم : ٣١٧ صفحة من القطع الكبير

اللغة : الفرنسية مع ملخص باللغة العربية

يحاول المؤرخ التونسي د . وحيد قدورة في كتابه الجديد « بداية الطباعة العربية في استانبول وبلاد الشام » أن يؤكد أن الوطن العربي عرف المطبعة سنة ١٧٠٦ أي قبل نحو تسعين سنة من حملة نابليون على مصر ، ويوضح المؤلف أن فن الطباعة بالحروف العربية لم يظهر في المشرق الا بعد نحو قرنين ونصف

من ظهوره في أوروبا ، وقد بادرت الطائفة الأرثوذكسية في سوريا بتأسيس أول مطبعة عربية سنة ١١١٨ هـ/ ١٧٠٦ م في حلب . ثم تلاها المسلمون سنة ١١٤٠ هـ/ ١٧٢٦ م بإنشاء مطبعة بالحرف العربي في استانبول ، وظهرت بعد ذلك مطبعتان مسيحيتان أخريان في جبل لبنان (في الشوير) سنة ١١٤٧ هـ/ ١٧٣٤ م وبيروت سنة ١١٦٥ هـ/ ١٧٥١ م .

وينصب اهتمام المؤلف في هذا الكتاب على تحليل الظروف التي حفت بنشأة المطبعة العربية في المشرق ، وأسباب تأخير ظهورها بالنسبة لأوروبا ، وتناول الباحث أيضا مضمون الحرف العربي المطبوع ، وتأثيره على مجرى الحياة الثقافية في القرن الثامن عشر الميلادي .

■■

الكتاب : مدخل الى نظرية القصة
المؤلف : سمير المرزوقي وجميل شاكر
الناشر : الدار التونسية للنشر
سنة النشر : ١٩٨٥
عدد الصفحات : ٢٤٢ صفحة من القطع الوسط .

للقصة اليوم من النظريات الحديثة ما لم يعد جائزا تجاهله ، والهدف من كتاب الباحثين التونسيين سمير المرزوقي وجميل شاكر هو عرض أهم نظريات القصة في الغرب ، وخصوصا عند أحد اعلام مدرسة الشكلانيين الروس فلاديمير بروب ، الذي اهتم بدراسة مجموعة من الحكايات الشعبية العجيبة الروسية ، واعتمد في دراسته هذه أساسا النظرة البنيوية الوصفية ، فالحكاية عنده هيكل وبنية معقدة يمكن تفكيك واستنباط العلاقات التي تربط بين مختلف وظائفها في مسار قصصي معين .

ولكن المؤلفين لا يكتفيان بعرض نظرية « بروب » وانما يبينان أيضا حدودها وسلبياتها ، ثم ينتقلان الى تحليل النص القصصي (الحكاية ، السرد ، الترتيب الزمني ، التواتر ، الديمومة ، التوقف . . .) .

■■

الكتاب : جذور لسمائي ـ شعر
المؤلفة : نجاة العدواني
الناشر : دار العودة ـ بيروت
عدد الصفحات : ١٠١ من القطع الصغير
سنة النشر : ١٩٨٦

يضم هذا الكتاب الشعري الصغير مجموعة من قصائد تنتمي الى ما اصطلح على تسميته قصيدة النثر . وهي قصائد تتحدث عن أكثر من هم ، وأكثر من موضوع ، وان يكن هم الاغتراب المتمثل في الرحيل المتواصل هو الغالب على قصائد الديوان .

وتتراوح القصائد من حيث موضوعاتها بين الخاطرة الخفيفة والتعبير عن الاحساس بدقائق الحياة الصغيرة ، وبين الموضوعات ذات العمق الثقافي .

■■

الكتاب : خير الزاد من حكايات شهر زاد
المؤلف : بو علي ياسين
الناشر : دار الحوار للنشر والتوزيع ـ اللاذقية
عدد الصفحات : ٣٤٣ من القطع الكبير

كما جاء في العنوان الفرعي لهذا الكتاب فانه « دراسة في مجتمع ألف ليلة وليلة » حيث يفترض المؤلف وجود مجتمع شهرزاد ومدينة شهرزاد ودولة شهرزاد ثم يبدأ بدراسة دور الحكاية والعلاقات الجنسية ، والنظرة الى العالم ، ونظام الحكم والطبقات في هذا المجتمع ، والدولة والمدينة .

ويقول المؤلف انه فوجىء بأن مجتمع شهرزاد يتطابق الى حد بعيد مع مجتمعنا العربي الماضي ، ومع مجتمعنا الشعبي الحالي . ومن خلال هذه الملاحظات يقدم لنا بوعلي ياسين كتابا مهما عن هذا الأثر الأدبي العظيم الذي نكاد نعرفه دون غيره في العالم . □

مسابقة العربي الثقافية

العـــدد ٣٤٣
يونيـو ١٩٨٧

جوائز المسابقة :

الجائزة الأولى ٥٠ ديناراً
الجائزة الثانية ٣٠ ديناراً
الجائزة الثالثة ٢٠ ديناراً
٨ جوائز تشجيعية
قيمة كل منها ١٠ دنانير .

الشروط :

الاجابة عن عشرة أسئلة من الأسئلة المنشورة ، ترسل الاجابات على العنوان التالي :

مجلة العربي صندوق بريد ٧٤٨ - الرمز البريدي 13008 الكويت « مسابقة العربي العدد ٣٤٣ » ، وآخر موعد لوصول الاجابات الينا هو ١٥ يوليو ١٩٨٧ .

١ - تحدث السلف الصالح عن (مجريط) و (اقريطش) وبلاد الكرج .. فأي البلدان قصدوا بهذ التسميات ؟

٢ - الهند والبرازيل ترى أيهما أكبر مساحة ؟

* البرازيل وتبلغ مساحتها نحو ضعفي ونصف ضعف مساحة الهند .

* الهند وتبلغ مساحتها نحو ضعفي ونصف ضعف مساحة البرازيل .

* متساويتا المساحة تقريبا

٣ - احدى الدول الاوروبية مكونة من
٦ - جمهوريات وتشمل
٥ - قوميات وتتكلم ٤ لغات وتدين ٣ أديان

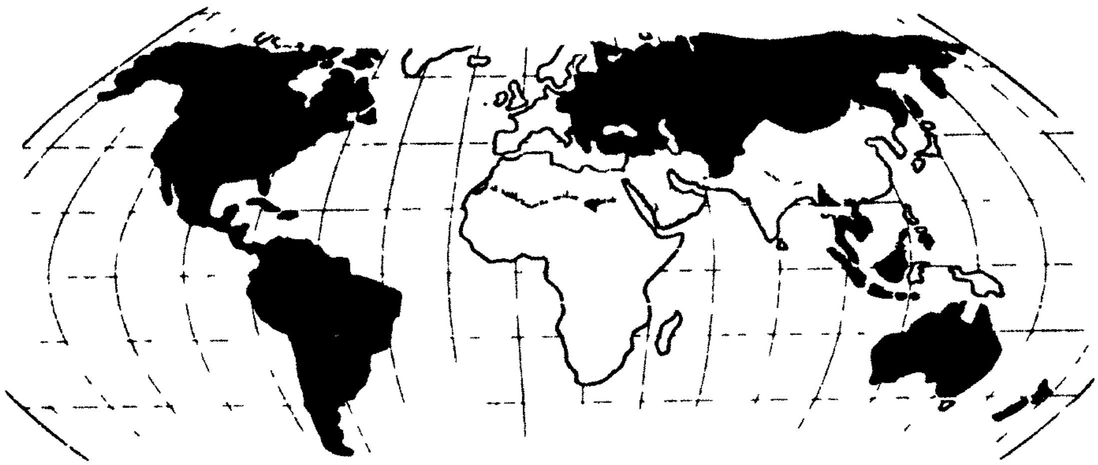
فأي دولة تلك ؟

٤ - دولة أفريقية سموها مجددا باسم بوركينا فاسو فما اسمها القديم ؟ ودولة افريقية أخرى كان اسمها القديم داهومي فما اسمها الجديد ؟

٥ - سميت بحيرة (نيازا) سنة ١٨٥٩ ولكنهم غيروا اسمها واستبدلوا به اسما آخر سنة ١٩٦٤ ترى ماهو هذا الاسم الآخر الذي يطلق حاليا على بحيرة نيازا ؟

أرفق الحل مع هذا الكوبون

كوبون مسابقة العربي
العـــدد
٣٤٣



٦ ـ « البندقية الصغيرة » هو الاسم الذي تعرف به احدى دول امريكا الجنوبية ترى أي دولة تلك ؟

٧ ـ باراجواي هي الدولة الوحيدة في العالم التي يختلف وجه علمها عن ظهره فما هو هذا الاختلاف ؟

٨ ـ الولايات المتحدة الأمريكية والاتحاد السوفياتي تقصر المسافة الفاصلة بين حدودهما حتى تبلغ ٤ كيلومترات فقط . وذلك عند جزيرتين صغيرتين احداهما امريكية والاخرى سوفياتية ترى مااسم هاتين الجزيرتين ؟

٩ ـ أي دولة اوروبية سبق أن احتفت من الوجود تماما طوال القرن التاسع عشر ولم تعد الى الحياة ثانية الا في مطلع القرن العشرين سنة ١٩١٨ بالتحديد . علما بأنها كانت في طليعة الدول الاوروبية مساحة وعدد سكان ، حتى اواخر القرن الثامن عشر حين قامت الحروب بينها وبين جاراتها ، وأدت الى ابتلاع هذه الجارات لكافة اراضيها ؟

١٠ ـ احدى دول امريكا الجنوبية بلغت مساحتها عند استقلالها سنة ١٨٢٥ حوالي ضعفي مساحتها الحالية البالغة نحو مليون كيلومتر مربع أو تزيد قليلا . وقد تقلصت مساحتها بهذا القدر نتيجة الحروب التي نشبت بينها وبين جاراتها تشيلي والبرازيل وبراجواي فأي دولة تلك ؟

١١ ـ فانوتو هي مجموعة جزر تقع في جنوب غرب المحيط الهادي ترى ماهي عاصمتها ؟

١٢ ـ « أحشنة » قرية صغيرة ولكنها اشتهرت بأن الشيخ الرئيس ابن سينا ولد فيها فأين تقع قرية أخشنة هذه ؟

حل مسابقة العدد ٣٤٠

١ - الكعب ليس العقب كما يظن الكثيرون ولا هو الرسغ وانما هو الكاحل .

٢ - يصاب المرء بالدوار اذا هو اكثر من الدوران حول نفسه ، لأن السائل الموجود في داخل الأذن العميقة أو الداخلية . . يتحرك عندما يتحرك جسم الانسان ، فاذا فقد السائل توازنه في أقنيته فقد الجسم توازنه وشعر صاحبه بالدوار .

٣ - يبكي المولود عقب ولادته ليتمكن من مباشرة التنفس

٤ - يذوق المرء طعم الحلاوة بمقدمة اللسان ، ويذوق طعم المرارة بمؤخرته . . أما طعم الملوحة وطعم الحموضة فيذوقهما بجانبي اللسان . وتتم عملية التذوق هذه بواسطة حليمات التذوق المنتشرة على ظهارة اللسان في المواقع الأربعة المذكورة ويبلغ عدد هذه الحليمات نحو (٨٠٠٠) حليمة وذلك في سن الشباب وتنقص حتى تبلغ (٦٥٠٠) حليمة في سن الاربعين .

٥ - جوزة العنق تؤوي أو تحفظ الحبال الصوتية ، ولا يخفى أن هذه الحبال الصوتية هي التي ننطق ونتكلم بواسطتها .

٦ - قلب الطفل هو الاسرع ، يليه قلب المرأة فقلب الرجل . فبينما ينبض قلب الرجل بمعدل ٧٠ - ٧٢ نبضة في الدقيقة ، وينبض قلب المرأة بمعدل ٧٨ - ٨٢ نبضة،نرى أن قلب الطفل ينبض بمعدل ١٣٠ - ١٤٠ نبضة في الدقيقة . ومن طريف مايذكر ان مجموع ماينبضه قلب الانسان على مدى الحياة يبلغ بالمتوسط حوالي (٢٠٠٠) مليون نبضة !

٧ - طبلة الأذن تقع في الأذن .

٨ - يتميز جنس الجنين فيعرف أنه ذكر أو انثى لدى بلوغه ٨ - ١٠ اسابيع من العمر . . وتجدر الاشارة الى ان الجنين مدين بجنسه الى الأب لا الأم . فالموروثات او الكروموزومات التي تحدد جنسه انما يتلقاها من ابيه لا من امه .

٩ - احماض المعدة لاتستطيع اذابة بطانة المعدة لان هذه البطانة تتجدد خلاياها باستمرار ، وبأسرع مما يسمح للأحماض بالعبث بها . . وغني عن البيان ان حامض الهيدروكلوريك هو احد الاحماض التي تفرزها المعدة ، ان لم نقل اهمها . . ويقدر العلماء السرعة التي تتجدد بها خلايا بطانة المعدة بحوالي نصف مليون خلية في الدقيقة الواحدة .

١٠ - عظم الانسان هو الأقوى . . فهو يفوق الاسمنت المسلح بأربع مرات من حيث قوة الاحتمال . وقد اجرى العلماء تجاربهم على قطعة من العظم بحجم علبة الكبريت فبلغت قوة

مـــارس ١٩٨٧

احتمالها (٩) اطنان اي مايعادل الجرانيت من حيث القوة .

١١ ـ مقدار الحديد في الجسم البشري يكفي لصنع دبوس او مسمار بطول ٢٥ مليمترا أو مايبلغ وزنه ٤ ـ ٥ جرامات ، ذلك أن الجسم البشري الكامل النمو يحتوي على ٤ ـ ٥ جرامات من الحديد .

١٢ ـ القفاء (بفتح القاف) لايقع في أسفل الظهر وفوق الساقين ، كما يظن الكثيرون ، وانما في أعلى الظهر وخلف الرقبة مباشرة .

الفائزون في مسابقة العدد ٣٤٠ مـــارس ١٩٨٧

الجائزة الاولى : سيف بن عامر بن سيف الجهضمي/ المنطقة الوسطى/ ولاية المضيبي/ سلطنة عمان .

الجائزة الثانية : عبدالله أحمد عباد العرامي/ ص.ب ٧٠٥/ صنعاء/ الجمهورية العربية اليمنية .

الجائزة الثالثة : مسقم رشيد/ فاس/ المملكة المغربية .

الفائزون بالجوائز التشجيعية

١ ـ روضة الزيتوني/ حي عين مناخ/ الجمهورية التونسية .

٢ ـ سميرة مصطفى هجرس/ العمرانية الشرقية/ الجيزة/ جمهورية مصر العربية .

٣ ـ منيرة محمود حامد/ دولة الكويت .

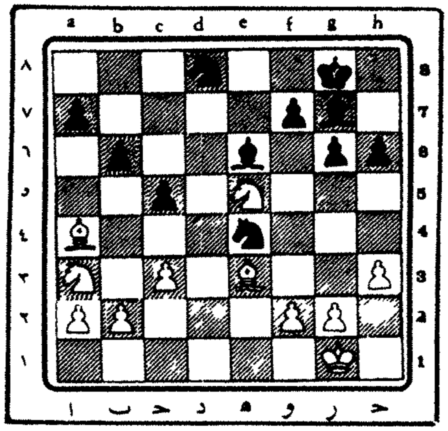
٤ ـ عطا محمد الأعرج/ طرابلس/ ليبيا .

٥ ـ فرحان سعد يونس/ الحسكة/ عامودا/ الجمهورية العربية السورية .

٦ ـ علي حسين عيدان الحدباني/ الدمام/ المملكة العربية السعودية .

٧ ـ شحاتة رفاعي اسماعيل/ بروكسل/ بلجيكا .

٨ ـ جيلة رزيقة/ ولاية تيبازة/ الجزائر .

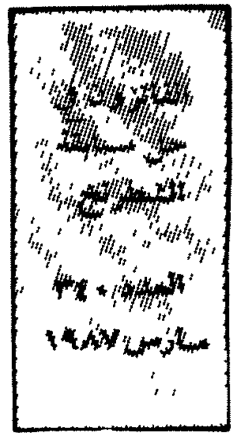


أقيمت البطولة العربية الفردية الرابعة للشطرنج في العاصمة التونسيّة ، فيما بين ٢٧ ديسمبر و٨ يناير من العام الحالي ، في أعقاب الأولمبياد الشطرنجي الضخم الذي عقد في مدينة دبي (من ١٤ نوفمبر الى ١ ديسمبر ١٩٨٦) ، والذي اشتركت فيه سبع عشرة دولة عربية ، تصدرتها العراق برصيد قدره ٣٠ نقطة ، وتلتها مصر (٢٩,٥ نقطة) ، ثم لبنان وتونس (٢٩ نقطة) ، ثم سوريا والمغرب واليمن الجنوبي وفلسطين (٢٧,٥ نقطة) غير أن عدد الدول العربية المشتركة في بطولة العرب الرابعة لم يتجاوز إحدى عشرة دولة ، مثّل كل دولة منها لاعب واحد ، عدا الدولة المضيفة التي مثلها ثلاثة لاعبين ، هم الاستاذ الدولي سليم بوعزيز ، والاستاذ الدولي صلاح الدين حمادي ، واللاعب فارابي مالك ، وقد فاز أولهم ببطولة العرب الرابعة (٧ نقاط) ، وفاز الثاني بالمرتبة الثانية (٦,٥ نقاط) ، في حين جاء اللاعب السوري ميكائيل شادوروفيان في المرتبة الثالثة (٦,٥ نقاط)

ومن الجدير بالملاحظة أن اللاعب السوري المذكور قد أثبت حضوراً أفضل في مهرجان دبي ، حيث حقق أفضل النتائج الفنية التي حققها أي لاعب عربي في الأولمبياد بفوزه على نخبة من الأساتذة الدوليين والاساتذة الكبار الذين يفوقونه في الرتبة والتصنيف الدولي ، من أمثال الاستاذ الكبير زاباتا

والدور التالي هو الدور الذي لعبه الفائز ببطولة العرب سليم بوعزيز مع مواطنه صلاح الدين حمادي ، الذي يعتبر من أفضل أدوار المباراة وأكثرها إثارة (انظر الشكل أعلاه)

	□ سليم بوعزيز	■ صلاح الدين حمادي
٢١	ح - جـ ٦	ح × جـ ٦
٢٢	ف × جـ ٦	ح - د٦
٢٣	ف - و٤	ف - و٨
٢٤	ح - ب٥	ح × ب٥
٢٥	ف × ب٥	ف - جـ٨
٢٦	ف - جـ ٦	ف - هـ ٧؟
	متخلياً عن البيدق ومن ثَمّ الدور	
٢٧	أ ٤	ف - د٨
٢٨	ف × حـ ٦	ز ٥



الفائزون باشتراك سنة كاملة :

١ـ د . هانية السعيد ـ القادسية/ الكويت .

٢ـ محمود مسلمي ـ الزقازيق/ ج م ع .

٣ـ أمين كيوان ـ دمشق/ سوريا .

٤ـ د . لينا القباني ـ موسكو/ الاتحاد السوفييتي .

٥ـ عبد الرحمن التميمي ـ سورابايا/ اندونيسيا .

الفائزون باشتراك ستة أشهر :

١ـ أحمد العاقب ـ الخرطوم/ السودان .

٢ـ علي الحمزاوي ـ القيروان/ تونس .

٣ـ فؤاد سلامة ـ عمان/ الأردن .

٤ـ عبد السلام عليو ـ الرياض/ السعودية .

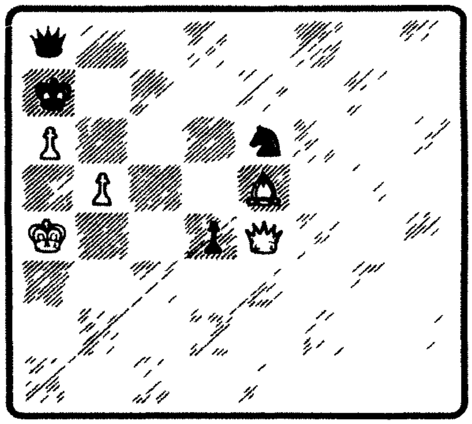
٥ـ صلاح المبروك ـ صرمان/ الجماهرية

لحصر الفيل ثم أخذه ولكن هيهات

٢٩ . و ٤ !	و ٦
٣٠ . و × ز٥	و × ز٥
٣١ . ف ـ د٥+	م ـ حـ ٧
٣٢ . ف ـ و٨	ف ـ د٧
٣٣ . أ٥ (لتحطيم هيكل البيادق)	م ـ ز٦
٣٤ ف ـ د٦	م ـ و٥
٣٥ . م ـ و٢	ف ـ هـ ٦
٣٦ . ف ـ و٣	ف ـ جـ ٤
٣٧ . أ × ب٦	أ × ب ٦
٣٨ . م ـ هـ ٣	ف ـ و ١
٣٩ . ف ـ ز٤+	م ـ ز٦
٤٠ . ز ٣	ف ـ و٦ ؟
٤١ . ف ـ د٧	م ـ و٧
٤٢ . ف ـ ز٤	ف ـ ز٢
٤٣ . م ـ د٣	ف ـ و١+ (يائسة)
٤٤ . م ـ هـ ٤	ف ـ ز٢+
٤٥ . م ـ و٥	ف ـ ب ٧ ؟

كان الأجدر به الفرار بالفيل الأسود

٤٦ . ف ـ حـ٥+ !	م ـ ز٧
٤٧ . ف ـ و٨ +	يستسلم



مسألة العدد ٣٤٣ يونيو ١٩٨٧

مات ٣

من إعداد القاريء عاطف سالم (القاهرة)

حل مسألة العدد ٣٤١

(ابريل ١٩٨٧)

و ـ هـ ٥ ثم « كش مات » في النقلة التالية .

على هذه الصفحات .. ترحب "العربي"

العربي
ص.ب ٧٤٨ الصفاة
الكويت

حوار القراء ..

« تعقيب من سفارة بوتان »

تعقيبا على استطلاع « بوتان الحياة وسط المتناقضات » المنشور في عدد مارس ١٩٨٧ أرسل سعادة سفير مملكة « بوتان » لدى الكويت إيضاحا حول عدد من الأمور التي تناولها الاستطلاع .

يقول السفير : إن « بوتان » لم تخضع لحكم مهراجانات الهند ولا للاحتلال البريطاني ، لكن كان هناك مواجهة رئيسية بين « بوتان » والهند البريطانية عام ١٨٦٤ م وذلك عندما اضطرت « بوتان » إلى الدخول في حرب من أجل السيطرة على سهول ديور ، وقد تخلت « بوتان » عن هذه المقاطعات مقابل تقديم بريطانيا مساعدة سنوية لبوتان ، لتعويضها عن خسارتها في تلك المقاطعات .

وعلى عكس ما أورد الاستطلاع فإن سياسة « بوتان » الخارجية مستقلة تماما ، وأن كل ما يربطها بالهند هو علاقات الصداقة الحميمة ، والتعاون ، وروح حسن الجوار .

ولبوتان خمسة سفراء في العالم كما أورد الاستطلاع ، هم : ممثلها الدائم في الأمم المتحدة في « نيويورك » ، وممثلها في « جنيف » ، وسفراؤها في الهند والكويت و « دكا » ، وليس الصين ، وأخيرا أكد سفير مملكة « بوتان » أن البوتانيين هم من البوذيين الأتقياء ، وأن للدين دورا مهما في حياتهم ، ورغم ذلك فإن رجال الدين لا يتمتعون بأي سلطة داخل الدولة ، بل تنحصر وظائفهم في القضايا ذات الطبيعة الدينية فقط .

« أنت تسأل ونحن نجيب »

من الواضح أن مجلة العربي قد قفزت في السنوات الأخيرة قفزة نوعية في الشكل والمضمون ، وزادت رونقا وجمالا ، ولا أظن أنني بهذا أضيف جديدا ، إلا أن التعبير عن هذا المعنى يلح أحيانا على القارىء ، كلما أراد أن يكتب ناقدا لشيء أو معلنا فقده لشيء في مجلته ، فرغم أنكم تعلنون مرارا وتكرارا بأنكم تلبون رغبات القراء في كل ما يتصل بتحرير المجلة وتبويبها ، إلا أنني لاحظت أن واقع المجلة يختلف عن ذلك ، فمثلا استحدثتم أبوابا بالمجلة لا أظنها تليق بمجلة ثقافية ، مثل « الشطرنج » ، « والكلمات المتقاطعة » ، فهل تم ذلك باستشارة القراء ، في حين أنني قد كتبت إليكم مرارا أطالب بإعادة باب « أنت تسأل ونحن نجيب » وإعادة نشر صورة « الصفحة الثانية » لكنكم لم تلبوا طلباتنا ، فلماذا ؟

محمد تيوسارين

الجزائر / مدينة المديّة

العربي

نشكر للقارىء العزيز ثقته وملاحظته معا ، ونود في البداية أن نوضح أننا لا نعد بتلبية كل مطالب القراء ، بل نقول دائما بأننا ندرس اقتراحات القراء بعناية ، نضعها دائما محل الاعتبار ، وننفذ منها ما هو أكثر ملاءمة وإمكانية .

أما بالنسبة لبابي « الشطرنج » و « الكلمات المتقاطعة » فقد تكون ملاحظة القارىء صحيحة إلى حد ما ، لكن استحداث هذين البابين تم بناء على رغبة كاسحة من محبي هذين البابين ، وهذا يدل على أننا نأخذ بعين الاعتبار رغبات القراء ، بالاضافة إلى يسر إمكانية تنفيذ البابين و صغر المساحة المخصصة لهما نسبيا .

أما فيما يتصل بباب « أنت تسأل ونحن نجيب » فنحن نناقش مدى الحاجة إلى مثل هذا الباب ؟ وكيف سيكون ؟ وبخاصة في عصرنا هذا ، وهو عصر تفجر المعرفة وتعقدها في وقت واحد ، فثمة صعوبات وإشكالات تتصل بإمكانية تنفيذه على الوجه الصحيح ، وبنوع المعلومات التي يمكن أن يقدمها .

ثم إننا لسنا في عصر الكاتب الموسوعي الذي يمكن أن يجيب عن أسئلة من القراء في شتى المجالات ، مثلما كان يفعل الكاتب الكبير عباس محمود العقاد في بابه الشهير « يسألونك » .

فقد أصبح توفير المعلومة في عصرنا مهمة من مهام المكتبات العامة أو المتخصصة ، حيث يقوم أمين المكتبة ـ مستعينا بما لديه من مراجع وفهارس وأحيانا « كمبيوتر » ـ بتوفير المعلومة أو مصدرها ، ثم تصويرها وتقديمها لمن يحتاجها وفق نظام معين ميسر .

ثم إن المجلة ـ أيضا ـ لا تملك جهازا متفرغا ، يقوم باستلام أسئلة القراء ، وتوزيعها على متخصصين ، ليجيبوا عنها ، ثم يقوم بنشر ردودهم عليها حين تصله تلك الردود في حينها ، هذا فضلا عن صعوبة متابعة مثل هؤلاء المتخصصين للحصول على إجاباتهم في الوقت والحجم المناسبين .

في ضوء هذه الاعتبارات كلها يبقي أن نقول بأن المجلة يمكنها أن تنشر من أسئلة القراء ما يتصل بما ينشر فيها على الأقل ، أو بالقضايا التي تملك بشأنها مراجع أو مواقف واتجاهات ، وتجيب عنها ، وهذا ما يتحقق بشكل ما في باب « حوار القراء » .

ومع ذلك فالموضوع كله ما يزال قيد الدراسة والبحث ، ولعلنا نصل بشأنه إلى ما يرضي القارىء ، ويسهم في تحقيق أهداف المجلة الثقافية .

حول « مقال التغذية والأسنان »

بادىء ذي بدء اسمحوا لي أن أعرب عن عميق تقديري لمجلتكم « العربي » ، لما تبثه من ثقافة علمية وأدبية وفكرية ، تسهم في تعزيز أواصر رابطة العروبة ، وتغذي الشعور بالاعتزاز بلغتنا وثقافتنا العربيتين .

واسمحوا لي أن ألفت النظر إلى موضوع قرأته في العدد ٣٣٩/ شباط/ ١٩٨٧ ، تحت عنوان (التغذية والأسنان) ، بقلم الدكتور محمد محمد منصور ، على صفحة ٦٥ ، وحيث انني طبيب أسنان ، أسهم في تحرير مجلة « طب الفم » السورية ، فقد سمحت لنفسي أن أبدي ملاحظاتي على بعض ما ورد في ذلك المقال :

أولا : بما أن مجلتنا « العربي » تعتمد اللغة العربية أساسا لإيصال كل ما هو مفيد ، إلى كل عربي ، فقد راعني أن أجد في المقال كلمات أجنبية ، مخطوطة بالحروف العربية ، وبشكل مشوه ، يستحيل على

حوار القراء ..

القــارىء العادي أن يفهم معنــاها ، ومقصــدهــا ، وبالتالي يتعذر عليه فهم المقال بالصورة المطلوبة ، مثل :

١ ـ كلمــة (الأنــامــل) وقــد قصــد بهــا كلمــة ENAMEL بالأجنبية التي يقابلها في اللغة العربيــة عبارة « طبقة الميناء » ، أي ميناء الأسنان .

٢ ـ كلمــة (الأسمنت) ، وقــد قــصــد بهــا CEMENTUM بالأجنبية التي يقــابلها في العــربية كلمة « الملاط » .

٣ ـ كلمة « الدنتين) ويقصد بها DENTINE بالأجنبية التي يقابلها في العربية كلمة « العاج » .

٤ ـ كلمة (ميتابلزم) ويقصد بها METABOL-ISM بالأجنبية ، ويقابلها في العربية « الأيض » أو الاستقلاب » .

٥ ـ كلمة (الكربوهيدرات) ويقابلها بالعربيــة « ماثيات الفحم » .

وكلمات أخرى لم أشأ ذكرها منعا للاطالة .

ثــانيا : من حيث الأرقــام الــواردة تحت عنــوان « عناصر تركيب الأسنان » فأفيد بــأن « طبقة ميناء الأسنان » تحتوي ـ وزنيا ـ على ٩٦٪ مواد غير عضوية (معدنية) ، و ١٪ مواد عضوية ، و ٣٪ ماء ، أما طبقة العاج فتحتــوي على ٧٠٪ مــواد غير عضــوية (معدنية) ، و ١٨٪ مواد عضوية « كولاجينية » ، و ١٢٪ مـاء . وأما المـلاط فيحتوي عـلى ٦٥٪ مــواد معــدنية (غــير عضويــة) ، و ٢٣٪ مواد عضــوية « كولاجينية » ، و ١٢٪ ماء .

ثــالثا : إن المـادة العضويـة الموجـودة في « طبقة الميناء » هي نوع خاص من البروتين (الأجين) ، وليست الكيراتين وذلك حسب المرجـع (ORAL ANATOMY) .

رابعا : إن للسن قدرة محدودة على تجديد نسيجه العاجي ، أو زيادته ، وهو ما يسمى العاج الثانوي DENTINE SECONDARY الذي يتشكل بصورة طبيعية بعد بزوغ السن والعاج الثالثي أو المرمم ، والــذي يتشكــل كــرد فعــل دفــاعي تجــاه النخــر ، والعوامل المؤذية لسطح السن ، كالسحل والتآكل .

خامسا : وعلى كل حال فإننــا نثمن غاليــا ذلك المقــال ، لأن أمــراض الفم والأسنــان تعتبــر من الأمراض الواسعة الانتشار في الأقطار العربية ، مع ملاحظة وجود جهل كبير بمبادىء المحافظة على صحة تلك اللآلىء .

سادسا : تطويراً لرسالة مجلة « العربي » أقتــرح إدراج باب جديد بعنوان « التعــريب » ، تنشر بــه المصطلحات اللغوية الأجنبية ، ويذكر ما يقابلها في لغتنــا من مصطلحــات عربيــة ، أقــرتهــا المجــامــع اللغوية ، بحيث تتناول كل حلقة فرعا أو تخصصا علميا ، وبشكل متناوب .

سابعا : أقترح ـ أيضا ـ قبل نشر أي موضوع ذي صبغة متخصصة أن يعرض على ذوي الاختصاص ، للتأكد من خلوه من الثغــرات ، حرصــا على الأداء الكامل للرسالة . وشكرا .

د/ عزمي عبد الكريم فريد

سوريا/ الزبداني

العربي.

نشكر للقاريء العزيز اهتمامه ومتابعته ، وبالنسبة لاقتراحه بتقديم باب جديد بعنوان « التعريب » فمع إدراكنــا لأهمية نشــر المصطلحــات العلمية الجــديدة باللغة العربية مع مقابلها الأجنبي ، إلا أننا نرى أن هذا يخرج ـ نوعا مــا ـ عن مهمة مجلة « العــربي » ،

فهذه المصطلحات تهم بالدرجة الأولى الاختصاصيين الذين بإمكانهم الحصول عليها ـ بشكل أفضل ـ من المعاجم العربية المتخصصة .

أما بالنسبة لعرض الموضوعات على ذوي الاختصاص مما يرد على المجلة من مقالات متخصصة ، فمع أن من يكتبها ـ أصلا ـ من المتخصصين أنفسهم ، إلا أننا نقوم بمثل هذا العرض أحيانا ، حين نشعر بمثل هذه الحاجة ، وعند توافر الامكانية ، وجدير بالذكر أنه وصلتنا رسالة أيضا من الدكتور محمد الحكم طليمات ، من كلية الطب ، بجامعة حلب ، تتضمن بعض ما ورد في الرسالة السالفة الذكر من ملاحظات ، لذا اكتفينا بنشر الرسالة الأولى .

« العربي » باللغة التركية

أنا محاضر في لغة القرآن الكريم ، في كلية الالهيات ، بجامعة أنقرة ، وبحكم هذا التخصص يجب علي الوقوف على كل ما يمت إلى العرب والعربية بصلة ، وبخاصة ما يستجد في تعلمها ، وتعليمها ، وفي منشوراتكم التي أراها أحيانا ، وأسمع عنها كثيرا ، أجد النافذة المثالية المطلة على العالم العربي . فنهيب بكم يا أبناء الضاد إرسال كل ما يمت إلى العربية بصلة ، وبخاصة مجلة « العربي » الغراء ، وأيضا مجلة « عالم الفكر » ، كما أقترح فتح مكتب للعربي في أنقرة ، لاصدار مجلة « العربي » باللغة التركية ، وأعتقد أن ذلك سيحقق نتائج طيبة .

مساعد رئيس قسم اللغة العربية

سليمان باييارا

أنقرة/تركيا

العربي

نشكر للقارىء الكريم اهتمامه ، وقد أرسلنا إليه ـ على عنوانه الذي في رسالته ـ بعض أعداد مجلة « العربي » الأخيرة ، وكتاب « العربي » .

ويمكنه بالنسبة لمجلة « عالم الفكر » أن يكتب للسيد رئيس تحرير المجلة ، لعلهم يوافونه بما يلبي حاجته منها ، أما فيما يتصل باقتراحه بفتح مكتب في أنقرة ، لاصدار مجلة « العربي » باللغة التركية فلا نظن أنه من المقترحات الممكنة ـ على الأقل ـ في الوقت الحاضر .

الوجود العلمي العربي في الخارج

إنها لفكرة رائعة من مجلة « العربي » أن تطرق باب الوجود العربي في دول الغرب ، وذلك من خلال الاستطلاع المصور الذي قدمه صلاح حزين عن الوجود العربي في أمريكا .

وبهذه المناسبة أرجو أن تطرق المجلة باب الوجود العلمي العربي في تلك الدول ، وبخاصة أننا نسمع كثيراً عن علماء عرب ، لهم بصمات جيدة في المجالات العلمية المختلفة في الغرب ، وفي أمريكا ، مثل الدكتور فاروق الباز ، وغيره .

إن مناقشة هؤلاء في الظروف التي دفعتهم إلى الهجرة من بلادهم ، والنجاح الذي أحرزوه في الخارج ، قد تكون من أفضل السبل لدفع بلادنا إلى تقديم رعاية أكبر للنابغين من أبنائها ، كما أنها تدعم الثقة بقدرة الانسان العربي على الابداع والانجاز إذا ما توفرت له الظروف المناسبة ، وشكرا .

منتصر قطان

حلب / سوريا

العربي

نشكر للقارىء الكريم اهتمامه ، ونعده بأن تكون وجهة نظره ، محل دراسة في مجلس التحرير .

عالم المعرفة
سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - دولة الكويت

يونيو ١٩٨٧ م

الرياضيّات في حياتنا

تأليف: زلاتكا شبورير
ترجمة: د. فاطمة عبدالقادر المما

٥٠٠ فلس

الكتاب ١١٤

المراسلات: باسم السيد الأمين العام للمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب - ص.ب ٢٣٩٩٦ الكويت

من المسرح العالمي

سلسلة ثقافية
تصدرها في مطلع كل شهر

وزارة الإعلام - الكويت

العدد ٢١٣ أول يونيو ١٩٨٧

سيدات متقاعدات

تأليف : إدوارد بيرسي ، ريجنالد دنهام
ترجمة : سالم علي سالم
مراجعة وتقديم : د. أحمد النادي



لوحة الصرخة

تنفيذ سعود بن سعد رجيع